نموذج ترخيص

أنا الطالب : أحمد محمد مطلق صالح المطري أمنح الجامعة الأردنية و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي و عنوانها.

المرجعيات الدينية في شعر بشار بن برد
دراسة ثقافية نقدية

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: أحمد محمد مطلق المطري

التوقيع:

التاريخ: ١٢ / ٨ / ٢٠١٥

المرجعيات الدينيّة في شعر بشار بن برد

"دراسة نقدية ثقافية "

إعداد

أحمد حمد مطلق صالح المطيري

المشرف

الدكتور محمد الشريدة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربيّة

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

آب، ٢٠١٥

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/الأطروحة وعنوانها " **المرجعيات الدينية في ديوان الشاعر بشار بن برد دراسة نقدية ثقافية** " وأجيزت بتاريخ: ٢٠١٥/٨/١٠.

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
الدكتور محمد علي سعيد الشريدة استاذ مشارك- الأدب العباسي	**مشرفا/ ورئيسا**	....
الدكتور محمد أحمد عبد العزيز القضاة استاذ - الأدب الحديث	**عضوا**	....
الدكتورة فريال عبد الله هديب استاذ مشارك - الأدب الأموي	**عضوا**	....
الدكتور رشدي علي حسن استاذ - الأدب العباسي جامعة الزيتونة	**عضوا خارجيا**	....

الإهداء

إلى من ربط الله بين طاعتهما والجنة ،والدتي الحنون ووالدي الرؤوم

الوالد... والوالدة، أهديكم ثمار ليالي السهر والتعب وأنا أشعر بالفخر

الذي راودني عندما خططت اسمي متبوعاً باسمك والدي...وعندما أكملت

رسالتي هذه ما كان التوفيق حليفي لولا دعاؤكما والداي...

إلى رفيقة العمر..سندي في كلّ شأن، الداعم الأول لي

" حنان "

إلى أخواني وأخواتي ....

وإلى كل من ساعدني في إنجاز هذه الرسالة

أقول لكم : هذا بعض غرسكم

فلكم محبة خالصة

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي ألهمني رشدًا، ويسر لي أمرًا، وأعانني على انجاز رسالتي التي أسال الله أن يجعلها علمًا ينتفع به، وشفيعًا لي يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.

أتقدم بالشكر إلى كلّ من ساهم بمساعدتي لإنجاز هذه الرسالة ،سائلًا المولى القدير التوفيق وسداد لهم.

قائمة المحتويات

الموضـــــوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
قائمة المحتويات	هـــ
الملخص باللغة العربية	ز
المقدمـــــــة	١
الفصل الأول: بشار بن برد	٣
أصله ونسبته	٤
اسمه وكنيته ولقبه وأسرته وولاءُه	٥
مولده، وصفته وخلقه ووفاته:	٥
وفاته	٦
ثقافته	٧
مكانته بين الشعراء:	٩
معتقده	١١
أهم المعطيات البيئية والثقافية السائدة في عصره	١٣
آراء النقاد والدارسين في بشار بن برد	١٦
الفصل الثاني: تعريف المرجعية	٢٩
المرجعية الإسلامية	٣٢
المرجعية الفارسية	٤٤
المرجعية العربية	٥٧
صدى هذه المرجعيات في شعره (المديح، الهجاء، الرثاء، الفخر، الغزل، المجون، الوصف، النسيب، الحكمة).	٦٧
الزندقة والشعوبية عند بشار.	٧٨
الفصل الثالث:القراءة النقدية الثقافية	٨٥

الموضـــــوع	الصفحة
الصدق والكذب	٨٦
الانسجام والتناقض	١٠٠
الإثبات والنفي	١١٥
نتائج الدراسة	١٢٥
الخاتمة	١٣١
المصادر والمراجع	١٣٣
الملاحق	١٣٥
الملخص باللغة الإنجليزية	١٤٩

المرجعيات الدينيّة في ديوان الشاعر بشار بن برد

دراسة نقدية ثقافية

إعداد

أحمد حمد مطلق صالح المطيري

المشرف

الدكتور محمد الشريدة

ملخّص

" المرجعيات الدينية في شعر بشار بن برد دراسة تحليلية نقدية ثقافية" تتشكل في ثلاثة فصول، تناول الفصل الأول بشار بن برد، سيرته الحياتية، وأهم المعطيات البيئية والثقافية السائدة في عصره، وآراء النقاد القدامى والدارسين المحدثين في بشار بن برد الشاعر والإنسان، وفي الفصل الثاني جمعت الشعر الذي قاله في المرجعيات الإسلامية والفارسية والعربية وتتبعت صدى هذه المرجعيات في شعره، ولا سيما ما تعلّق بتهمتي الزندقة والشعوبية التي ألصقت به ،وخصصت الفصل الثالث لتفكيك ذلك الشعر في قضايا نقدية ثلاث الانسجام والتناقض، الصدق والكذب والغلو والمبالغة، ثم البناء النسقي في الإثبات والنفي للوصول إلى منظومة فكره الحقيقية.

أن بشارًا طبع على الشعر منذ حداثته، وطبع معه على الهجاء وحب التكسّب والسخرية بالدين والناس، فقد عرف بذكائه الفطري ،لقد مضى بشار يعلن زندقته لا يزدجر مصرحاً بأنه لا يؤمن إلا بالعيان وما شهده الحس، فهو لا يؤمن بجنة أو نار ولا ببعث ولا حساب ، ويحاول أن يثير الغبار في وجه المعتزلة، فيعلن أنه يعارض ما يذهبون إليه .كان إمام الشعراء المولدين، ومن مخضرمي الدولة الأموية والدولة العباسية. كان ضريرًا، دميم الخلقة، ضخم الجسم.

وكان هجّاءً، فاحشًا في شعره، اتهمه بعض العلماء بالشعوبية والزندقة. وبرأه البعض من ذلك.

وأمّا أشعاره فأقيمت في مجملها على المبالغة، والافتراضات والتدرًج في المعاني وتقليبها، وعقد علاقات بين أشياء متباعدة متنافرة، جمع بينها وألّفها خيال الشاعر وربط القديم بالحديث مطوراً ومولداً أنماطا جديدة من الشعر شهد بها له نقاد عصره والدارسين لأشعاره.

وعليه فقد خلصت الدراسة إلى أن التناقضات التي بثها ثنايا شعره دلت على نزعة ذاتية تمثلت في تحكيمه لأهوائه بأثر العمى، ورفض المجتمع لمسيرته فكان ناقماً في معظم الأحيان، يلازمه الكِبر الذي كشف عن تنقله من فكر إلى آخر، ومن قناعة إلى نقيضها.

المقدّمة

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلالك، والصلاة على النبي المصطفى المبشر بكمالك .

وبعد،

فإن بشار بن برد شاعر استحق الدرس بكل اتجاهاته، وقد توقف عنده مؤرخو الأدب والنقاد القدامى والدارسون المحدثون كيف لا وقد امتلك ناصية النظم المطبوع، وسار على نهج القصيدة العربية في مقدّمتها الطللية، وحاكى طرائقهم في بناء القصيدة، فكان الأنموذج الشعري المتقدّم على شعراء عصره.

ولا شك أن هذه الدراسة لم يفتها ما استوفته الدراسات السابقة ،وعليه فإن صعوبة هذا العنوان تكمن في خصوصيته التي عكفت على قراءة تلك الدراسات وتلخيص ما يمكن الإفادة منه، ذلك أن غايتنا تكمن في الكشف عن حقيقة فكر هذا الشاعر، فبين اتهامه بالزندقة وإخبار عن ميله للتشيع ومصاحبته لزعماء المعتزلة وافتخاره بنسبه الفارسي يقف الدارسون حائرين، فكانت هذه الرسالة محاولة لجمع كل الشعر الذي ينتسب إلى الفكر الإسلامي أو الأصول الفكرية الفارسية أو المنظومة القيمية العربية، وجمعها وتبويبها كلّ حسب مضمونه، سلباً أم إيجاباً ،فعكفت ثانياً على قراءة ديوان شعره لاستخلاص كل ذلك الشعر في قصائده كلها وأغراضه كلها ثم استعنت المصادر والمراجع في قراءة ذلك الشعر، فتبلورت الصورة عبر مواقف النقاد القدامى وتحليلات الدارسين المعاصرين.

وأفدت من ديوان بشار محمد طاهر بن عاشور، رجعت إلى أمهات الكتب، مثل: الأغاني للأصفهاني، والبيان والتبيين للجاحظ، والكامل في اللغة العربية والآداب للمبرد، كما استفدت من كتب المحدثين ومنها على سبيل المثال :حديث الأربعاء لطه حسين، وتاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول لشوقي ضيف، وشخصية بشار لمحمد النويهي.

وتسعى هذه الدراسة إلى تطبيق المنهج التحليلي التفكيكي، إذ ربطت مضمون البيت الشعري بغرضه، وعرضت لما يقابله أو يوافقه في المعنى ذاته،فضلاً عن الوقوف على آراء الدراسيين في هذه القضية، ويؤمل الباحث أن تضيف دراسته إلى دراسات سابقة فهماً جديداً متعلقاً بالمرجعيات الدينية والقومية التي اتكأ عليها الشاعر، وحقيقة موقف بشار منها.

كما وتناولت الدراسات السابقة بعض الجوانب الفنية في شعره، وبيان أهمية المديح في شعر بشار ،ودراسة تناولت زندقة بشار ،وأخرى تناولت النزعة الوجودية في شعر بشار. وبينت معظم الدراسات الأسباب الكامنة وراء طغيان ظاهرة العبث والمجون في حياة بشار وشعره .

كما هدفت هذه الدراسة إلى استعراض أغراض الشاعر التي تظهر قيمها الأحاسيس والعواطف ومدى ارتباطها بالمرجعيات الإسلامية والفارسية والعربية، التي تشكل مواقفه من الحياة والناس: الممدوح والمرثي والمهجّو وغيرهم، والوقوف على مآخذ الدراسيين لاستقصائها وتتبع أحكامها ودلائلها.

وتكمن أهمية الدارسة في أن بشارًا يمثل محوراً أخلاقياً في مرجعياته الدينية التي اتكأ عليها في شعره، وقد تجلّى ذلك في موقف الدارسين من شعره فنجد الناقد الموضوعي والمؤدلج، الأمر الذي يحتاج إلى دراسة تلك المرجعيات درساً تحليلياً تفكيكياً ، كما يحتاج إلى بيان حقيقة موقف بشار من الدين بالوقوف على تجربته الشعرية ،ومواطن خروجه على المألوف الديني والتعرّف على أنّ هذا الخروج كان نمطياً (عبثياً) أم بناءً على قناعات راسخة.

تشكلت هذه الدراسة في ثلاثة فصول، تناول الفصل الأول بشار بن برد، سيرته الحياتية، وأهم المعطيات البيئية والثقافية السائدة في عصره، وآراء النقاد القدامى والدارسين المحدثين في بشار بن برد الشاعر والإنسان، وفي الفصل الثاني جمعت الشعر الذي قاله في المرجعيات الإسلامية والفارسية والعربية وتتبعت صدى هذه المرجعيات في شعره، ولا سيما ما تعلّق بتهمتي الزندقة والشعوبية التي ألصقت به ،وخصصت الفصل الثالث لتفكيك ذلك الشعر في محاور ثلاثة الانسجام والتناقض، الصدق والكذب والغلو والمبالغة، ثم البناء النسقي في الإثبات والنفي للوصول إلى منظومة فكره الحقيقية .

وأدعو الله أن أكون قد وفقت إلى بعض العلم عبر سبر أغوار شعر بشار والكشف عن هويته، فإن أصبت فلي الأجر وإن جانبت الصواب فأجري أني بذلت جهداً في ذلك وأرجو الله قبوله وإكرامه.

الفصل الأول

بشار بن برد

مكوّنات الشخصيّة

الفصل الأول

بشار بن برد

مكوّنات الشخصيّة

كم هي تلك الشخصيات التي ازدحم بها المجتمع العباسي من شعراء وأدباء، وباتت كلُّ شخصيته منها علماً ظاهراً في فن من الفنون ترتقي منزلة بفنها لا يقدر أحد على الارتقاء إليها.

فهذا العصر انفرد عن غيره من العصور في عملية صهر للثقافات المكتسبة من الأمم، بشار بن برد إحدى تلك الشخصيات التي نهلت من الفكر القديم والثقافات المختلفة حتى ارتوت منها فظهر هذا في ملامح شخصيته وأدوات تعبيره بل إنه من الشخصيات التي تدافع الباحثون على الغوص في أعماقها لتتعرَّف على مكانتها وما تنطوي عليه من كنوز كثيرة ومتنوعة، ونحن بدورنا سنخوض في أعماق هذه الشخصية لنستعرض نشأته،وحياته، ومكانته بين الشعراء، وآراء النقاد والشعراء القدامى والمحدثين في شخصيته، ومعتقده، تمهيدًا لولوج تلك المكوّنات المتشابكة في شعره.

أصله ونسبه:

يرجع أصل بشار إلى طخارستان في أقصى خرسان نحو المشرق، وقع جده يرجوخ بن أزدكر في سبي الملهب بن أبي صفره، فأهداه إلى امرأته ليكون من عداد عبيدها، وكان من يرجوخ ولده برد، ولما بلغ مبلغ الرجال زوجته مولاته فتاة من بني عقيل[١]. وكان برد طياناً حاذقاً ولكنه كان فقيراً ذليلاً[٢]، فيقال إنه لما ولد بشار باعته أمه لأم ظباء بدينارين ولكن أم ظباء أعتقته[٣].

(١) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن حسين (١٩٧٦)، الأغاني، تحقيق إحسان عباس ورفاقه، ط١، ج٣، القاهرة :دار الكتب،ج٣، ص ١٣٦.

(٢) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن عمر (١٩٤٨ــ)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة :لجنة التأليف والترجمة والنشر.، ج١، ص ٥٧.

(٣) الأصفهاني،الأغاني، ج٢، ص ١٣٧.

اسمه وكنيته ولقبه وأسرته وولاؤه:

واسمه بشار بن برد بن يرجوخ بن أزدكر بن حسيس بن مهران. فهو فارسي من جهة الأب، ربي من جهة الأم لذا عد من المولّدين، وكان ينتسب بالولاء إلى بني عقيل [١]الذين نشأ فيهم وكان يكنى بأبي معاذ، ويلقب بالمرعّث، لأنه في إذنه رعثة، كان من عادة الفرس ثقب إذن الملوك ووضع قرط في إذنه، وبعض النساء يجعلن قرطاً للولد الذكر زعماً منهن أن ذلك يطيل حياته.

وكان لبشار أخوان، بشراً وبشيراً وكانا قصابين، وروي أن بشارًا كان باراً بهما[٢]، وزوجة بشار اسمها أمامة ولدت له ابناً اسمه محمد توفي صغيراً، وجزع عليه والده جزعاً شديداً، وولدت له بنتاً وماتت ورثاها، وكان من ولد بشار ذكر اسمه حمدان كان قصاراً بالبصرة[٣]. ولكن لما دخل المأمون بغداد سنة (٢٠٤هـ)، لم يكن قد بقي أحد من عقبه[٤].

مولده، وصفته وخُلقه:

ولد بشار في البصرة، وهناك قضى جلَّ حياته وكان مولده سنة (٩٦هـ) ونشأ في البصرة وسكن حران مدة، وتنقل في البلاد مدة، ثم رجع إلى البصرة وتوفي في بغداد سنة (١٦٨هـ) ولا شك أن بشاراً عمّر كثيراً وأنه حين توفي تجاوز السبعين[٥].

ولد أكمهًا[٦]، و نشأ على الفقر، وأن كان أبوه يقول عنه وعن نفسه[٧]: "ما رأيت مولوداً أعظم بركة منه ولقد ولد لي وما عندي درهم، وما حال الحول حتى جمعت مائتي درهم"، وكان من الموالي وذا عاهة[٨].

أما صفته فكان ضخماً، عظيم الخلق، مفرط الطول، عظيم الوجه، أعمى أكمهًا، جاحظ العينين، قد تفشاهما لحم أحمر، فكان قبيح العمى،مجدور الوجه، وقد ضرب المثل بقباحة عينيه،

---

(١)الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ٥٧.
(٢) مرجع سابق، ج١، ص ٤١.
(٣) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ١٣٦، القصار: الذي يبيض الأثواب.
(٤) مرجع سابق، ج٣، ص ١٩٩.
(٥) مرجع سابق، ج٣، ص ٢٠٨.
(٦) مرجع سابق، ج٣، ص ١٤١، أكمه: أعمى عند الولادة.
(٧) مرجع سابق، ج٣، ص ٢٠٨.
(٨) حسين، طه، (١٩٥٤)،حديث الأربعاء، مصر: دار المعارف.، ج١، ص ١٨٩.

فقالوا" كعين بشار بن برد"، وكان إذا أراد أن ينشد شعراً صفق بيده وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ثم ينشد[١].

وكان بشار سيء الخلق، سريع الغضب، سريع الهجاء، مجاهراً بالسكر، مفتخراً بالزنا، وكان من خُلقِه محبة اللذات والتنعم، وقد عرفه الناس بذلك، وكان قوي الرد على من خالفه كثير المحادثة، كثير فلتات اللسان، وكان بذيء اللسان، شديد الأذى[٢].

وكان في طبع بشار شر كثير، فقد زعموا أن بشاراً قال الشعر ولم يبلغ عشر سنين، وتعرّض بشعره لهجاء الناس، فكان إذا هجا قوماً جاءوا إلى أبيه فشكوه فيضربه ضرباً شديداً[٣].

ومما سبق نخلص إلى إنّ جملة من الأسباب ساهمت في تشكيل ملامح شخصية بشار الفتى: العمى والنسب، وأنه من الموالي.

وفاته:

تجمع الروايات على أن بشاراً مات مقتولاً[٤]، وأن الذي قتله الخليفة المهدي بسبب زندقته إذ أمر بجلده فضُرِبَ سبعين سوطاً في البطيحة بين واسط والبصرة، ومات على إثرها ثم حمل إلى البصرة ودفن فيها[٥]. وقيل إن يعقوب بن داوود سعى به إلى المهدي فقتله إذ علم أنه هجاه[٦]، وحكي أن المهدي لما قتل بشاراً ندم على قتله[٧]. غير أن الطبري (في تاريخه) يتهم يعقوب بقتله لا المهدي، إذ بعث المهدي إلى بشار، فسعى يعقوب به من يحمله إليه، فخشي يعقوب أن يقدم بشار إلى الخليفة فيمتدحه فيعفو عنه، فوجّه إليه من يلاقيه[٨]. وكان قتله سنة (١٦٨هـ).

---

(١) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ١٩٨. حسين، طه، حديث الأربعاء، ج٢، ص ١٨٨.

(٢) ابن برد، بشار، (١٩٧٦) ديوان بشار بن برد، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص ١٢.

(٣) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ٢٠٨.

(٤) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (١٩٥٦)، الكامل في اللغة العربية والآداب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر :مكتبة نهضة.، ج٣، ص ١٩٣، الأغاني، ج٣، ص ٢٤٢.

(٥) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (١٩٤٧)، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة.، ج١، ص ٢٧٣.

(٦) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ٢٤٢.

(٧) ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله (١٩٧١)، طبقات الشعراء، تحقيق عد الستار فراج،مصر: دار المعارف، ص ٢٢.

(٨) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ط١، تحقيق: محمد أبو الفضل، القاهرة: دار المعارف، ص ١٨١.

وتحكي بعض الروايات أن أهل البصرة فرحوا بوفاة بشار حين علموا خبره، فتباشروا وهنأ بعضهم بعضاً وحمدوا الله، وتصدقوا لما كانوا ابتلوا به من لسانه[١].

وقيل إن جنازته خرجت فما تبعها إلا أمة له سوداء عجماء ما تفصح، شوهدت خلف جنازته تصيح واسيداه! واسيداه[٢]. ولعل السببين اللذين تظاهرا على قتل بشار: كثرة الناقمين عليه لحسد أو هجاء أو فحش، وتهمته بسوء الاعتقاد[٣].

ولعل عدم اتباع جنازته خوفاً من أن يتهم من يتبعه بميله إليه أو إلى مذهبه. ويقال إن المهدي، فيما بعد ندم على قتل بشار إذ تبين له أن يعقوب بن داوود قد افترى عليه هذه التهم وأن يعقوب كان أحق بالقتل[٤].

ثقافته:

إذا ما انتقلنا إلى ثقافته فإننا سنلحظ أنها مستقاة من ينابيع عدة برزت أشد البروز في ملامح شعره، ومن هذه الينابيع الشعر الجاهلي، والقرآن الكريم، والعصر الأموي، وثقافة العصر العباسي المكتسبة من ثقافات العهد القديم.

أما الشعر الجاهلي فقد رأى شوقي ضيف[٥] أن بشاراً في مقدماته الشعرية حافظ على التراث القديم محافظة شديدة، فاتبع السنن الموروثة سواء من جزالة الصياغة ورصانتها ومتانتها، أو من حيث المنهج الذي سار عليه القدماء إذا كانوا يقدمون بين يديهم وصفًا للأطلال والنسب والغزل ووصف البعير أو الناقة...الخ.

والمنبع الثاني الذي استقى منه بشار ثقافته هو القرآن الكريم والأحاديث النبوية فقد أخذ المعنى من القرآن نحو قوله تعالى" فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر"[٦] ثم نظم على ما تحمله الآية من معنى شعراً. نحو قوله مخاطباً خالد البرمكي: [٧]

فأطعمْ وكلَّ من عارةٍ مستردةٍ ولا تبقيها، إنَّ العواري للرد

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ٢٤٤.
(٢) مرجع سابق، ج٣، ص ٢٤٤.
(٣) ابن عاشور، مقدمة الديوان، ص ٢٧.
(٤) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ٢٤٨.
(٥) ضيف، شوقي (١٩٦٦)، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ط٦، مصر: دار المعارف، ص ٢١٠.
(٦) سورة الحج، أية ٣٦، المعتر: الرجل الغليظ. الأغاني، ج٣، ص ١٩٥.
(٧) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ١٩٥. ابن عاشور،الديوان،ج٣،ص١٢٦

وقال بشار يمجد عمرُ بن العلاء، وكان جواداً شجاعاً ويصف المطايا.

ويتمثّل المنبع الثالث الذي استقى منه بشار ثقافته في الفلسفات القديمة :اليونانية والفارسية والهندية، وبما أن البصرة كانت أهم مراكز العلم في العصر الأموي، نشأت مدرسة المتكلّمين بزعامة حسن البصري ثم واصل بن عطاء، وكان بشار ممن جاء إلى المسجد ونهل منه بشغف علم الكلام ومعرفة أسراره، وكان يحضر مجالس واصل بن عطاء ويستمع إلى محاوراته مع من يعتنقون مذهب الثنوية المجوسية والدهرية[١] مما يدّل على أنه قد تسّرب إليه من هذه المجالس وما يماثلها من مجالس المتكلّمين شيء من الفلسفة والمنطق.

ومن الثقافة الفارسية نراه ينسج في بعض شعره على منوال ابن المقفع فهو يتحدَّث عن الصداقة والصديق مستلهماً ما كتبه ابن المقفع في كتابه (الأدب الكبير)، كما يستلهم الكلاميين في قوة البرهان والحجة[٢].لقد تأثر بشار بدرجة كبيرة بأجداده الفرس الذين كانوا أصحاب حضارة عريقة وتاريخ عظيم، يقابل ذلك تأثره بالثقافة العربية الخالصة، وبما انتشر في المجتمع العباسي حينذاك من مظاهر حضارية مادية ومعنوية.

وقد تأثر بشار بمعاصريه من فحول الشعراء أمثال جرير والفرزدق والأخطل، فهو في مدحه يحاول أن يحاكي هؤلاء في مدحهم عندما مدح المهدي[٣].

هذه الثقافات التي اكتسبها بشار بن برد جعلته علماً ظاهراً في معرفة صياغة الشعر ومع أن ثقافة بشار تنوعت وتعددت، إلا أن من أبرزها كانت البادية إذ نشأ في كنف بني عقيل نشأة بدوية خالصة، أكسبته ملكة اللغة ثم أنه لما شبّ اطّلع على مختلف ألوان الثقافة في عصره[٤].

لم تكن لبشار حظوة عن الأمويين، لذلك بقي في البصرة ولم يتكلف مشقة الذهاب إليهم وكسب رضاهم، وآثر أن يمدح الولاة والقواد في البصرة، وإقامته في البصرة وفرت له سبيل الاتصال برجال العلم والدين، وكانت البصرة منتدى لهم في ذلك الحين. وبالرغم من فصاحته وبلاغته في الشعر إلا أنه تمكّن من العلم بأخبار العرب وعاداتهم وأخلاقهم وأحوالهم، حتى أنه عندما ينظم القصائد لا يخل بشيء مما يودعه فحول العرب في أشعارهم، كذلك كان علمه بأحوال الإسلام وأيام الدولة ومناهج الشريعة، وجمع إلى ذلك كلّه علماً بعادات المولّدين من العرب في

---

(١) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ١٤٦.
(٢) مرجع سابق، ج٣، ص١٩٧.
(٣) مرجع سابق، ج٣، ص١٩٨.
(٤) الشكعة، مصطفى (١٩٧٥)، الشعر والشعراء في العصر العباسي، بيروت :دار العلم للملايين.، ص ٣٨.

الأمصار وأمثالهم وعقائدهم، فكان قوي الحافظة مطلعاً على شعر العرب ومن بعدهم[١]. وقال الجاحظ في (البيان والتبيين): "كان بشار من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع والمتقنين في الشعر والآخذين في أكثر أجناسه وضروبه"[٢].

وهكذا مثّل بشار ثقافة عصره بكل ما فيها من توسع، وقد كان شاهداً على ما اشتمل عليه هذا العصر من اتجاهات فكرية.

مكانته بين الشعراء:

بالرغم من أن كثيراً من النقاد ودارسي الأدب القدماء والمحدثين حاكموا بشاراً أخلاقياً فإنهم أجمعوا– أو كادوا– على تميّزه الفني، واتفقوا على عظيم منزلته الأدبية وكبير أثر معاصريه ومن لحق بهم من الشعراء حتى أنهم عدّوه آخر الشعراء المتقدّمين وزعيم المحدثين وشيخهم، وعلى هذا فقد جمع بشار بين الطرازين القديم والجديد في شعره[٣].

ولما كان بشار شاعراً مطبوعاً يقول الشعر على سجيته من غير تكلّف وتصنع وتوعر، فقد أجمع الرواة على شاعريته وأقروا بفضله وتفرده وصحة قريحته واعترفوا بتقدّمه[٤].

فضلاً عن ذلك فقد اتفق الرواة على أن بشاراً زاول علم الكلام وعد من رجاله ومتقنيه، وعارفاً بأخبار العرب مطلعاً على آثارهم وأيامهم ومتمكناً من تراجم الشعراء، حافظاً كثيراً من موروثهم. إن بشاراً ذو مكانة كبيرة في ديوان الشعر العربي، إذا حافظ على جدته وأصالته وأضاف إليه مجدداً ومطوّراً[٥].

عدّ بشار آخر المتقدّمين وأول المحدثين ذلك الوصف الذي وصفه به أئمة الأدب وتفسيره، "إن بشاراً قد جمع في شعره أفضل معاني الشعر العربي القديم ومعاني القرآن وكلام الفصحاء الذين جاءوا عقب ظهور الإسلام، وأجود ألفاظ العربية الفصيحة، وتطّرق إلى وصف الحضارة الجديدة من أجلى مظاهرها، فلم يفته المتقدّمون ولم يفضله المتأخرون[٦].

---

(١) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي، ص.٢١١.
(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ص ١٣٦.
(٣) البستاني، بطرس (١٩٧٩، أدباء العرب في الأعصر العباسية،، بيروت :مكتبة دار المعارف.، ص ٤٢.
(٤) الجاحظ (البيان والتبيين) ج١، ص ٥١،
(٥) الأصفهاني،الاغاني، ج٣، ص١٥٩، المرزباني،الموشح، ص٢٥٠
(٦) مرجع سابق، ج٣، ص ١٥٩، المرزباني،الموشح، ص ٢٥٠.

على أنك تجد في شعره صوراً من حالة العرب في الجاهلية، وفي حالة الحضارة الإسلامية الأولى، ومن حضارة الأمويين العربية الإسلامية المتهذبة ومن حضارة الدولة العباسية العربية الإسلامية الفارسية، وفي العلم ما يحتويه شعره على ذلك من الألفاظ الصالحة للدلالة على المعاني التي تحظر في نفوس أصحاب هذه الحضارات الكبيرة، وما كان لأهلها من الأفكار والخواطر الكثيرة وفي سعة علم بشار بالعربية ومستعملها عون لمطالع شعره على التملي عن فصيح اللغة[١].

وقد اشتمل شعره على وصف حوادث مهمة وربما وجد فيه من الإشارة إلى حوادث أو بقاع أو رجال أهمل التاريخ بعضه، وكان شعر بشار فريداً يحوز الخصلتين معرفة تاريخ العرب، والتعايش معهم في تقييد كثير من تاريخهم[٢].

وقال الجاحظ في كتاب (البيان والتبيين) "المطبوعين على الشعر من المولّدين بشار العقيلي والسيد الحميري، وأبو العتاهية، وابن أبي عينية"، وقال الجاحظ: "وإبان بن عبد الحميد اللاحقي أولى بالطبع من هؤلاء وبشار أطبعهم كلهم"[٣].

سئل الأصمعي عن بشار، فقال: "غواص نظّار يصف الشيء لم يره وكأنه رأه ويجمع في البيت الواحد ما فرقته الشعراء في عدةً"[٤].

ولم يشذ عن النقاد بسمو مرتبة بشار سوى اسحق الموصلي الذي كان يَغضُ من مكانة بشار الشعرية،ويقول: "هو كثير التخليط في شعره" أي أشعار مختلفة لا يشبه بعضها بعضاً، وكان يقدّم عليه مروان بن أبي حفصة، ويقول" هو أشد استواء شعر منه، كلامه ومذهبه أشبه بكلام العرب ومذاهبها"[٥].

وقال الأصفهاني" ويقال أطبع الناس بشار والسيد وأبو العتاهية"[٦]. وقال أبو العتاهية حين أتى بشار على بعض شعره: "لا والله يا أبا معاذ، ما لذت إلا بمغناك ولا اجتنيت إلا من غرسك"[٧].

---

(١) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي، ص.٢١٢.
(٢). الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ١٦٠.
(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ٥٨-٥٩.
(٤) ابن قتيبه، الدينوري، عبد الله بن مسلم (١٩٤٨)، الشعر والشعراء، تحقيق كمال مصطفى، مصر:مكتبة الخانجي.، ص ٤٧٦.
(٥) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ١٤٩.
(٦) مرجع سابق، ج٤، ص ١.
(٧) الجرجاني علي، (١٩٥٠)، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت : دار إحياء الكتب العلمية.، ج١، ص ٢٩.

فبشار معدود في نظر النقاد من المطبوعين، هو أول من أعاد إلى الصنعة مكانها في الشعر، وهو من المجددين الذين غيروا في الأسلوب الشعري. وقد فضله الأصمعي على مروان ابن أبي حفصة "لأن مروان سلك طريقاً، كثر من يسلكه، فلم يلحق بمن تقدمّه، وشاركه فيه من كان في عصره، وبشار سلك طريقاً لم يسلك، وأحسن فيه وتفرد به، وهو أكثر تصرفاً في فنون الشعر، وأغزر وأوسع بديعاً". فكان إذا ختم الأصمعي الشعر ببشار فذلك خطوة متقدّمة من الأصمعي وشهادة بتفوّقه، وإذا حكم أبو عبيد لبشار بالاستظهار فذلك نصر كبير لبشار(١).

وهو شاعر مكثر وكثير الأغراض وكان ممن حملوا لواء التجديد وأدخل على الشعر أغراضاً جديدة في الغزل والوصف، وبث آراء الفلاسفة وأهل الكلام، ويتبع كثرة الأغراض عند بشار كثرة المعاني فقد ذكر الجاحظ أن بشاراً كان من أصحاب الإبداع والاختراع(٢).

معتقداته:

قبل تعرّف مذهب بشار وانتمائه العقائدي يتوجب علينا أن نلقي نظرة عابرة على حالة المجتمع العباسي الذي عاش فيه الشطر الأكبر من حياته، والذي كان له أعمق الأثر في حياته وسلوكه، حيث وصلت الحياة الفكرية في العصر العباسي إلى ذروة التطوّر والازدهار، ولاسيما في العلوم والآداب، وقد عرف العصر حركات ثقافية مهمة وتيارات فكرية بفضل التداخل بين الأمم، وكان لنقل التراث اليوناني والفارسي والهندي، وتشجيع الخلفاء والأمراء والولاة، وإقبال العرب على الثقافات المتنوعة، أبعد الأثر في جعل الزمن العباسي عصراً ذهبياً في الحياة الفكرية، تركت الثقافات الدخيلة أثراً عميقاً في علوم العرب وفلسفتهم، ولكن آداب الأعاجم لم يكن لها مثل هذا الأثر فالعرب لم ينقلوا إلا جزءاً ضئيلاً من الآداب الأعجمية، لأنهم لم يشعروا بحاجتهم إليها ولم يكن أدباء العرب وشعراؤهم يتقنون لغات غربية، فظل أدبهم في مجمله صافياً بعيداً عن التيارات الأجنبية.

وكان هذا العصر أيضًا مميَّزاً بسيطرة العنصر الفارسي على العنصر العربي،وفرض لون على حياة العباسيين الاجتماعية، كاللهو والبذخ والترف، والرخاء، وانتقال العرب من العيش

---

(١) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ١٤٥.

(٢) مرجع سابق، ج٣، ص ١٤٥، ابن رشيق القيرواني،(٠٧ ١٩) العمدة في الأدب ونقده،ج١، مصر: مكتبة الخانجي،، ج١، ص ٢٢٦.

الوديع المتواضع إلى الترف، كما أنهم نقلوا تراثهم الفكري من العالم القديم إلى العالم العربي ونقلوا ثقافات الهندية والفارسية للعرب[١].

فمن الذين تناولوا قضية تدين بشار واستهتاره بالدين، الجاحظ في كتابه **(البيان والتبيين)**[٢] قد ذكر أن بشاراً كان شاعراً خطيباً صاحب منثور وسجع ورسائل، وأنه كان يدين بالرجعة[٣]

ولم يكتف واصل بن عطاء من وصف بشار بالملحد، بل أطلق عليه أيضاً بعد أن سمع غزله الصريح الفاحش وصف الملحد الأعمى، حيث قال: "إن من أخدع حبائل الشيطان وإغوائها لكلمات هذا الأعمى الملحد"[٤].

أما ابن قتيبة، فقال: "إنه كان يرمى بالزندقة" وهذا يتعلّق بالجانب العقائدي [٥].

اضطربت عقيدة بشار اضطراباً واضحاً وكبيراً حتى أن الجدل دار كثيراً حولها، إذا أتُهم بالشعوبية تارة، وبالزندقة والإلحاد تارة ثانية، كما أتِهم باتباع ديانات الفرس القديمة، وبأنه شيعي متطرّف، في حين ذهب بعضهم إلى أنه من الخوارج، ولعلّ مردّ هذا التناقض العقائدي يعود إلى أن بشاراً شهد أكثر فترة حرجة في حياة الدولة العباسية، إذ عاصر انتقال السلطة من الأمويين الذين يؤيدهم العرب إلى العباسيين الذين اعتمدوا كثيراً في إقامة دولتهم على نصرة الفرس لهم ووقوف الموالي إلى جانبهم[٦].

وفي هذا السياق، فإن المطلّع على شعر بشار يجد كثيراً من الشواهد التي يهاجم فيها العرب، ويسخر من صفاتهم وعاداتهم مقارناً في ذلك بينهم وبين الفرس، وفي الوقت نفسه يشيد بالعرب ومفتخراً بنسبه الفارسي،ولعل ذلك يؤكد تهمة الشعوبية التي حاول نفيها عن نفسه[٧].

كانت لبشار آراء وعقائد لصيقة بأصله الفارسي، وعصره الذي انتشرت فيه المذاهب والبدع فقد كان عصره عصر الكلام والمذاهب الفكرية بعد أن خرج العرب من جمودهم الفكري واتجهوا نحو التفكير والتأمل[٨]. على أن بشاراً ساهم في إثارة ذلك الجدل حول معتقده، إذ جرّ

---

(١) ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول، ص٢٠٦-٢٠٨. عطوي، علي نجيب (١٩٩٠)، بشار بن برد حياته وشعره، بيروت: دار الكتاب العلمية.، ص ٤٥.
(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ٢٠.
(٣) الرجعة: الإيمان بالرجوع بعد الموت.
(٤) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ١٨٣.
(٥) ابن قتيبه، الشعر والشعراء، ص ١٨٥.
(٦) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ٥١، الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ١٢٩.
(٧) المرزباني، محمد بن عمران (١٩٦٥)، الموشح، تحقيق: علي محمد البيجاوي، مصر: دار النهضة، ص٢٥. نافع، عبد الفتاح (١٩٨٣)، الصورة في شعر بشار، عمان :دار الفكر للنشر والتوزيع.، ص ٢٥.
(٨) البستاني، أدباء العرب، ص ٥٦.

عليه شعره خصوماً كثيرين مستغلين مجونه واستهتاره بشعائر الدين ومجاهرته بالمعصية فاتهموه بالزندقة[١].

وتروي الأخبار أن بشاراً جالس المعتزلة وصادقهم[٢]. غير أنه لم يلبث أن قلب لهم ظهر المجن فهجا زعيمهم واصل بن عطاء وعاداهم مما جعلهم يهاجمونه ويرمونُه بالزندقة، ولعلّ مهاجمة بشار المعتزلة لتكفيرهم الخوارج هو الذي دفع ابن المعتز إلى القول إنه كان يدين بمعتقد الخوارج[٣].

ومما قيل في كفر بشار أنه منسوب إلى المجوسية، وقيل أيضاً أنه منسوب إلى الإلحاد والتعطيل والجبر[٤].

ولهذا فإن هذه الدراسة ليس بمقدورها تبرئة هذا الشاعر من كل ما آتهم به كما لا يمكنها أن تقر كل ما قيل عنه من طعن في عقيدته، إذا حوى شعره غير قليل من شواهد هذا وذاك، ولعله كان في شعوبيته يساير عصره، وفي مجونه يحاكي بيئته فجاء معتقده تبعاً لذلك مختلطاً متحيراً[٥].

وخلاصة القول لقد نسب بشار إلى التشيع وشعره شاهد بذلك،وقد كان التشييع شائعاً بعد سقوط الدولة الأموية، ولا شك في أن بشاراً كان من المتعصبين إلى بني أمية وأن إظهاره التشيُّع مصانعة وتقيّة ونسب بشار إلى الشعوبية، لعلها كانت تبدو منه في محادثاته ومجالسته، وقد نسب إلى الإلحاد والتعطيل، أي الدّهرية، ونسب إلى الرافضة وقد ذكر بأن بشاراً كان من الكاملية[٦].

أهم المعطيات البيئية والثقافية السائدة في عصره

شهد العصر العباسي صراعاً بين أصحاب النهج القديم في قول الشعر والمحدثين حول طريقة العرب في قول الشعر أو ما سمي لاحقاً بـــ (عمود الشعر) وما تفرع عنه، إذ أن المحدثين واصلوا تطوير الحداثة الشعرية، منحرفين بدرجات معينة عن الثوابت التي اختطها النص الجاهلي، وهي تمثل عند أصحاب النهج القديم، أصول صنعة الشعر. وقد بدا واضحاً أن ذلك

---

(١) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ١٨٥.
(٢) البستاني، أدباء العرب، ص ٥٦.
(٣) ابن المعتز،طبقات الشعراء، ص ٢١.
(٤) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ٢٢٧.
(٥) ابن عاشور، مقدمة الديوان، ٢٤. ابن المعتز،طبقات الشعراء، ص ٢٤.
(٦) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ١٨٥-١٩٠.الكاملية :هم أصحاب أبي كامل الذي كان يدين بتكفير الصحابة لتركهم بيعة على وبتكفير علي لتركه قتالهم.

الصراع دار حول خصوصية التغيير في طريقة استخدام اللغة، ومن هنا نظر بعض القدماء إلى أن أشعار المولدين "إنما تروى لعذوبة ألفاظها ورقتها، وحلاوة معانيها، وقرب مأخذها"[١].

فقد شاعت اللغة المولدة، وكثر الشعراء المولدون في القرن الثاني، بدءاً من الثلث الثاني منه تقريباً، وصار لهؤلاء تجربة في إبداع الشعر، نافسوا فيها العرب، فكان نمط شعرهم ذاك أول التحول نحو الشعر المحدث، فكان بشار بن برد أبرز من حرص على تمييز نفسه من أساليب القدماء، لهذا مثلت لغة شعره الحداثة في عصرها حتى قيل عنه "أستاذ المحدثين، من بحره اغترفوا، وأثره اقتفوا... سلك طريقاً لم يسلكه أحد، فانفرد به وأحسن فيه"[٢]، وهذا تقديم فني لشعره على سواه وفي أخباره ما يكشف عن وعيه لعملية الخلق الشعري، إذ سئل مرة: "بم فقت أهل عمرك؟ وسبقت أهل عصرك في حسن معاني الشعر وتهذيب ألفاظه؟ فقال: لأني لم أقبل كل ما تورده على قريحتي، ويناجيني به طبعي ويبعثه فكري..." [٣]، فهو لا يأخذ ما يمليه عليه الطبع، لأنه لا يراه بذاته قيمة شعرية، وإنما يرى في كيفية خلق التعبير الشعري أثراً شعرياً، يبعث على خلق الشعرية ويدلل عليها. "وعلى الرغم من أننا نجد في شعر بشار بن برد، الكثير من رنين الأقدمين، وصوتهم، وطرائق صياغتهم، كما وعته أذن بشار المرهفة والمستجيبة، فإننا نلحظ في الوقت ذاته قدرة بشار على تطويع هذا الرنين لتجربته الجديدة، والخروج بإيقاع شعري، وصياغة شعرية تختلف اختلافاً واضحاً عن التجارب السابقة وتتبطن لغة قادرة على التفاعل مع حركة التطور الحضارية... ومع تجربة الشاعر ومواقفه الجديدة من الحياة"[٤]. وهذا القرب من الحياة أو الالتصاق بها هو ما أشار إليه المبرد بقوله: "هذه أشعار أخذناها من أشعار المولدين، حكيمة مستحكمة، يحتاج إليها للتمثل، لأنها أشكل بالدهر"[٥].

وقد كان الاختلاف بين القديم والحديث في الشعر العربي صادراً عن النظر في تاريخ المتغير اللغوي وهو متغير أسلوبي مبعثه إرادة تهدف للحفاظ على ثبات الألفاظ وطرائق استعمالها[٦].

---

(١) القيرواني، ابن رشيق، العمدة،ج١،ص٩٢.
(٢) الأصفهاني،الأغاني، ج٣،ص١٥١.
(٣) مرجع سابق،ج٣،ص١٥٤.
(٤) الجاحظ، البيان والتبين،ج١،ص١٨١.
(٥) المبرد، الكامل في اللغة والأدب،ج٢،ص١٠.
(٦) ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول، ، ص٢١٣

وهذا القصد الفني نحو التغيير في الشعر عند بشار إنما هو خاصية أسلوبية يهدف من خلالها إلى إحداث أثر غير متوقع في المتلقي، لأن "قيمة كل خاصية أسلوبية، تتناسب مع حدة المفاجأة التي تحدثها، تناسباً طردياً، بحيث كلما كانت غير منتظرة، كان وقعها على نفس المتلقي أعمق"[١]. فقد ركز المحدثون على التغيير من خلال الأساليب البيانية، كالمجاز والاستعارة والتورية، وهو ما ميز أسلوب صياغة المعنى الشعري عندهم، "فبشار بن برد، وأصحابه زادوا معاني ما مرت قط بخاطر جاهلي ولا مخضرم ولا إسلامي، والمعاني أبداً تتردد وتتولد، والكلام يفتح بعضه بعضاً".

في العصر العباسي انتشرت المعارف، وكثر الاقبال على البحث والتدوين، وأنشئت المكتبات وراجت أسواق الكتب وقد وضعت المؤلفات في مختلف فروع المعرفة، وازدهر شعر المدح بفعل ازدهار الحياة الاقتصادية وتطور الحياة الاجتماعية، مع ميل الخلفاء إلى الترف وحب الإطراء .. فأقبل الشعراء يمجدون الخلافة والأمراء وأصحاب النفوذ، مقابل العطايا السنية وهذا ما جعل الشعراء يحملون بالثروات الطائلة، فيقصدون بغداد والعواصم الأخرى للإقامة في جوار القصور .. وقوي الهجاء كذلك بدافع تحاسد الشعراء، وإلحافهم في طلب الجوائز، وضمنوا هجائهم الكلام المقنع أحيانا[٢].

لقد كان العصر العباسي عصر شك واباحة كما كان عصر حرية الفكر، فكان للمجوس حريتهم في العبادة وايقاد النار وما الى ذلك فضلاً عن انه كان عصر تصوف وزهد واعتزال ومن المعتزلة عمرو بن عبيد (ت ١٤٥ هـ) وغيره كثيرون، ومن خلال ما تقدم عن بشار نرى انه كان شخصية قلقة غير مستقرة على دين تتجاذبه الصراعات الحضارية من صراع بين حضارة فارسية قديمة وحضارة عربية اسلامية، وقد بانت على لسانه اثر الثقافة الفارسية والعربية – الاسلامية وامتزجت في نفسيته آراؤه غير المستقرة تجاه الحكم الاموي والعباسي وتجاه اسرافه في الغزل الفاحش ووصف الخمرة اللذين لا يدلان على زندقته وشعوبيته فقد كان عصره عصر مجون ولهو وعبث، ومقتل بشار لا تجرده الرواية من اسلامه وزندقته مما يدلّ على اختلاف وجهات النظر حول شخصيته[٣].

---

(١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو، بن عمر (ت٢٥٥هـ)، الحيوان، ج١، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت: دار إحياء التراث العربي.،ج٣،ص١٣٢.
(٢) ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول، ص٢٠٦.
(٣) مرجع سابق ،العصر العباسي الأول، ص٢٠٢– ٢٠٨.

لقد عاش بشار فترة مضطربة مليئة بالأحداث (سنة ٩٥هـ إلى سنة ١٦٧ هـ) وتأثرت بأصول غير العربيّة والإسلامية، حيث قيض له أن يعاصر خلافتي بني أمية وبني العباس، ويعايش منظومتين متباعدتين ثقافيًا، فالدولة العباسية تبنت برامج سياسية وثقافية تختلف عن الدولة الأموية، فهي قامت على أساس ديني، وقامت بإيلاء الموالي أهميّة خاصة[١].

آراء النقاد والدارسين في بشار بن برد

سنتناول في هذه الدراسة آراء القدامى والمحدثين من النقاد والدارسين في معتقدات بشار بن برد، والعوامل المؤثرة في بناء شخصيته.

كما نعرف مما سبق أن آفة بشار حددت حياته، وكذلك نسبه وأصله الفارسي، وإذا ما أردنا أن نحسن دراسة هذه الشخصية الأدبية فلا بدّ لنا أن نعرف العوامل التي أنتجت هذه الشخصية ومعتقداتها.

ونستطيع من خلال آراء النقاد أن نقسمها إلى قسمين:

القسم الأول: التكوين الفردي وطبيعة الفرد نفسه، أو جبلته التي خُلق عليها، ومما به من استعدادات ونزعات فطرته على عوامل التكوين الشخصي.

أمّا القسم الثاني: فهو عوامل البيئة، وتأثير ظروفها الزمانية والمكانية، في عصر ولد فيه بشار، وما حالة عصره وموطنه من كافة الجهات التي لها نصيب في تكوين شخصية الفرد.

آراء القدامى والمحدثين

سنجمل بعضاً من آراء النقاد والشعراء والدارسين القدامى المحدثين حول شخصية بشار ومعتقداته، والعوامل المؤثرة التي أسهمت في بناء تلك الشخصية.

قال صاحب الأغاني:" إن بشاراً كان يحضر مجالس واصل بن عطاء ويستمع إلى محاوراته مع من يعتنقون مذاهب الثنوية المجوسية، والدهرية الهندية[٢]. وأكبر الظن أنه تسرّب إليه من هذه المجالس وما يماثلها من مجالس المتكلّمين شيء من الفلسفة والمنطق، على أن الأمور لم تلبث أن فسدت بينه وبين واصل، إذ عرف منه أنه يدين بالرجعة أو عودة الإمام

---

(١) الأصفهاني،الأغاني،ج١،ص١٥٥.
(٢) مرجع سابق، ج٣، ص ١٤٦.

المختفي، ويكفر جميع الأئمة والأمة، وتتابع منه ما يشهد على إلحاده من مثل قوله يشيد بعبادة النار وأنها أفضل من الأرض والطين(١).

الأرضُ مظلمةٌ والنارُ مشرقةٌ   والنارُ معبودةٌ مُذ كانت النارُ

وتمادى يفضل إبليس المخلوق من النار على آدم المخلوق من الطين قائلاً(٢).

إبليسُ أفضلُ من أبيكم آدم   فتنبَهوا يا معشرَ الفُجارِ

إبليسُ عُنصره وآدمُ طينةٌ   والطينُ لا يسمو سموَ النارِ

ومضى بشار يعلن زندقته لا يزدجر مصرحًا بأنه لا يؤمن إلا بالعيان وما شهده الحس(٣).

فهو لا يؤمن بجنة ولا بنار ولا ببعث ولا حساب، ويحاول أن يثير الغبار في وجه واصل وغيره من المعتزلة، فيعلن أنه يعارض ما يذهبون إليه من أن الإنسان يخلق أفعاله ويقول إنه جبري، بل لا شيء سوى الجبر وتعطيل الإرادة الإنسانية(٤).

وقال الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) "قال: واصل بن عطاء بعد أن أعلن بشار رأيه وزندقته، أما لهذا الأعمى الملحد المشنف المكنى بأبي معاذ من يقتله"(٥).

ويقول الجاحظ "وكان بشار كثير المديح لواصل بن عطاء قبل أن يدين بشار بالرجعة، ويكفر جميع الأمة"(٦).

ومن خلال ما تقدم عن بشار نرى انه كان شخصية قلقة غير مستقرة على دين تتجاذبه الصراعات الحضارية من صراع بين حضارة فارسية قديمة وحضارة عربية إسلامية، والمذاهب الدينية التي كان يناصرها ويعتنق افكارها ومبادئها وسرعان ما ينقلب عليها ويهاجمها متنكرًا لها، وقد بانت على لسانه، وامتزجت في نفسيته آراؤه غير المستقرة تجاه معتقداته وتجاه اسرافه في التباهي بالإلحاد اللذين يدلان على زندقته وشعوبيته فقد كان عصره عصر مجون ولهو وعبث.

---

(١)الأصفهاني، الأغاني، ج٦، ص ١٤٥، البيان والتبيين، ج١، ص ١٦.ابن عاشور،الديوان،ج١،ص٢٤.
(٢)الجاحظ،البيان والتبيين، ج١، ص ٢٩. ابن عاشور،الديوان،ج١،ص٢٤.
(٣)الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص٢٢٧، ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، ص ٢٠٣.
(٤) مرجع سابق، ج٣، ص٢٢٧.
(٥) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ١٦.
(٦) مرجع سابق، ج٣، ص ٢٤.

أما المبرد في كتابه (الكامل) فقد أورد بيتي بشار في واصل وذكر، أن بشاراً كان يتعصب للنار على الأرض ويصوب رأى إبليس – لعنه الله– في امتناعه من السجود لآدم عليه السلام، ويروي له. فهذا ما يرويه المتكلمون[١].

الأرضُ مظلمةٌ والنارُ مشرقةٌ والنارُ معبودةٌ، مذ كانت النارُ

ويقول"وقتله المهدي على الإلحاد، وقد روى قوم أن كتبه فتشت فلم يصب فيها شيء مما كان يرمي به[٢].

وأعتقد أن الفرق بين تحفظ المبرد وحماسة الجاحظ تكشف أن الجاحظ كانت له نية في تقديم المعتزلة وتبرير تصرفهم مع بشار في نفيه ثم الإيقاع به بتهمة الزندقة، انظر إلى جملة المبرد بعد حديثه عن الزندقة على أني أرى في تفضيل بشار إبليس على آدم وتمجيده النار لون آخر من ألوان شعوبيته، فأنت تعلم أن النار معبودة الفرس القدماء ومعبودة من بقي منهم على المجوسية في ظل الإسلام ومن أجل ذلك يخيل لي أن مذهب بشار في تقديس النار سياسي أكثر منه ديني فالصراع النفسي عند بشار صراع حضاري، فلبشار كان يميل إلى ابناء جلدته لأنه يرى أن الحكم العباسي لا يؤمن بالتسوية بين العرب والأعاجم، وعلى هذا الأساس كان مؤيداً للعلويين، وكان بشار يحضر مجالس المعتزلة ويستمع الى محاورات واصل بن عطاء مع من يعتنقون مذاهب الثنيوية والمجوسية والدهرية الهندية. وأرى أن حضوره هذه المجالس لم يكن إلا للتزود بالثقافة لكي يبعد عن نفسه ما يلحق به من ضرر فهو ليس بعالم دين كغيره من المعتزلة، لقد بانت على لسانه ثقافة الفرس .

قال سعيد بن سلام: " كان في البصرة ستة من أصحاب الكلام، عمر بن عبيد، وواصل بن عطاء، وبشار الأعمى، وصالح بن عبد القدوس، وعبد الكريم بن أبي العوجاء، ورجل من الأزد يدعى جرير بن حازم، فكانوا يجتمعون في منزل الأزدي، ويختصمون عنده، فأما عمرو وواصل فصارا إلى الاعتزال، وأما أبي العوجاء وصالح فصححا التوبة، وأما بشار فبقي متحيراً مخلطاً"[٣].

---

(١) المبرد، الكامل، ج٣، ص ١٩٢. . ابن عاشور،الديوان،ج١،ص٢٤.
(٢) المبرد،الكامل، ج٣، ص ١٩٣.
(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص٤٠.

وروى أحمد بن خلاد عن أبيه قال: [١]" كنت أكلّم بشاراً وأرد عليه سوء مذهبه بميله إلى الإلحاد، فكان يقول: لا أعرف إلا ما عاينته أو عانيت مثله، وكان الكلام يطول بيننا، فقال لي: ما أظن الأمر يا أبا خالد إلا كما تقول، وأن الذي نحن فيه خذلان، ولذلك أقول[٢]:

خلقتُ على ما فيّ غيرَ مُخيَّر ... هوايَ ولو خيَّرتُ كنتُ المهذّبا

أريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد ... وقصَّرَ علمي أن أنالَ المُغيَّبا

وأصرفُ عن قصدي وحِلميَّ مُبلِغي ... وأضحي وما أعقبتُ إلا التَّعجُبا.

قال ابن عاشور كان بشار من شيعة الأموية، نبغ في زمانها، وامتدح خلفاؤها وأمراءها، ثم كان من شيعة إبراهيم بن الحسن بن علي، وكان أيضاً من المتساهلين في دينهم، المتظاهرين بالفواحش، فحقيق بمن وسم بهاتين الصفتين أن تتطرَّق إليه الظنون، وأن تنسب إليه الزندقة في مظهر ذلك المجون[٣].

ويهجو المهدي ووزيره يعقوب بن داوود هجاءً مُقذعاً، ويقدم المهدي إلى البصرة فيشهد أمامه شهود موثقون بأن بشاراً زنديق حينئذ يأمر بضربه حتى الموت، فيموت على إثرها[٤].

ويقول عمر فروخ:" أما مذهبه السياسي فقد أعلن تشيعه للأمويين في أيام الدولة الأموية، ولكن بشاراً انتقل مع مجيء الدولة العباسية إلى التشييع للعباسيين"[٥].

وقال فروخ " والمشادة بين العرب والفرس لم تكن تقوم على أسس عنصرية بل كانت على حد بعيد منافسة في سبيل السلطان والكسب ومع أنه كان ثمَّة ميل كبير إلى إعادة المجد الفارسي الذي تجسَّم فعلاً في دواوين الحكومة العباسية في كثير من نواحي البيئة العباسية. فإن القول بمسعى الفرس المسلمين إلى إعادة الدولة الفارسية القديمة وإلى بعث الدين المجوسي لا يزال يفتقر إلى براهين، فأكابر الدولة العباسية كانوا فرساً ولو لم أذكر لك سوى أبي حنيفة والطبري، والزمخشري والغزالي لبان لك تمسك الفرس بإسلامهم"[٦].

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص٢٤٣.
(٢) فروخ، عمر (١٩٨٦)، دراسات في الآداب والعلم والفلسفة، بشار بن برد، بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر، ص ١٣.
(٣) مرجع سابق، دراسات الأدب وعلم الفلسفة، بشار بن برد، ص ٢٧.
(٤) ابن عاشور، مقدمة الديوان، ج١، ص٢٦.
(٥) مرجع سابق ، مقدمة الديوان،ج١، ص ٢٤.
(٦) مرجع سابق، مقدمة الديوان، ج١، ص ٢٥.

وقال ابن عاشور" وقد ضم إلى ضلالته هذه ضلالتين أخريين: إحداهما قوله برجعة الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، كما ذهب إليه أصحاب الرجعة من الشيعة الرافضة، والثانية قوله بتصويب إبليس في تفضيل النار على الأرض"(١).

وقال ابن عاشور" وأمّا ما نسبوه إلى الشعوبية وهي كراهية العرب وتحقيرهم فالظاهر أن بشاراً كان ينزع إلى ذلك بعد أن اعتد له أعداؤه ومنافسوه التحقير بالولاء، فألجأه ذلك إلى الابتداء بالافتخار بنسبة الفارسي، ثم التبرَّم من الولاء فلذلك كان يقابل محقري نسبة العجمي بالافتخار بالعجم ويقابل محقريه من العرب بالفخر والانتماء إلى مضر(٢).وقال ابن عاشور " أن بشاراً كان من الكاملية، وهم أصحاب أبي كامل الذي كان يدين بتكفير الصحابة لتركهم بيعة علي وبتكفير علي لتركه قتالهم، وهم لم يقولوا بجواز التقية مثل بقية الشيعة.

إلا أنه كان خليعاً في أفعاله وأقواله، فبقيت نسبة الأسرار والانطواء على العقائد الباطلة إليه، وهذه نسبة لا تخرج عن الرجم بالغيب والوصم بالعيب.

قال أبو الفرج" لم يكن لبشار مذهب ديني يتمسك به فقد كان شاعراً متكسباً يميل مرة إلى الفاطميين طمعاً بالتكسُّب منهم، وقد يميل مرة عنهم إذا قنط من عطائهم أو إذا تعرّض له أحدهم بسوء(٣).

وقال" والإجماع واقع على أن بشاراً كان زنديقاً وأنه قتل على الزندقة والإلحاد، إلا أنه قتل بتهمة الزندقة لأنهم لم يستطيعوا أن يقولوا للناس، إننا قتلناه لأنه هجا الوزير وهجا الخليفة، ومع ذلك فقد كان بشار زنديقاً لا ريب في ذلك، فقد كان يظهر الإسلام ويطبق الميل إلى الديانات القديمة من مانوية ومزدكية وديصانية".

قال ابن النديم: في كتابه "الفهرست" (إن بشاراً من الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة).

---

(١)الجاحظ البيان والتبيين، ج١، ص ٣٠٨. ابن عاشور، مقدمة الديوان، ج١، ص ٢٦

(٢)الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ٢٢٤.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٣٨

وقال الأصفهاني "هناك شواهد كثيرة في حياة بشار وشعره، فقد امتحنه نفر فوجدوه لا يصلي وسأله غيرهم لم لا يصلي الصلوات في أوقاتها، فقال" إن الذي يقبلها تفاريق يقبلها جملة"(١). ووجده آخرون يؤَذِنُ بعد طلوع الشمس وهو سكران وكانوا يعرفون أنه يفعل ذلك وسمعوه مرة يقول:" أزري بشعري الأذان"(٢).

"وسمع هو مرةً جارية تغني بشعره فقال لجلسائه: " هذا والله، أحسن من سورة الحشر"(٣).

وقال الجاحظ " ويظهر أن بشاراً أظهر رأيه الديني فقال " بالرجعة" وزعم أن جميع المسلمين كفروا بعد رسول الله– صلى الله عليه وسلم– فقيل له وعلي أيضاً، وصوَّب رأي إبليس في تقديم النار على الطين، وكذلك لام بشار أولئك الذين يكفرون الخوارج لأنهم كفروا رجلاً واحداً وهو علي بن أبي طالب. حينئذ صاح واصل بن عطاء" أما لهذا الملحد... من يقتله".(٤)

" وقال مرة أخرى: وهذا والله أحسن من الفُلج (الفوز) يوم القيامة"(٤).

وكذلك بلغه أن رجلاً سمع شعره فقال، ما كنت أظنه (يعني الشعر إلا لرجل كبير) فقال بشار: أفلا قال:" وهو والله، لأكبر الجن والإنس"(٥).

" وتظاهر مرة بالذهاب إلى الحج ثم انصرف مع رفيق له إلى الفسق والفجور. وسمع مرة ضجة فجعل يتظرف بذكر يوم القيامة هزؤاً، إلى غير ذلك مما تحفل به حياة بشار"(٦).

اعتقد أن ما أعلنه من آراء تخالف ما يقول به الإسلام، والتي أجمعت الأديان على أن آدم أفضل من إبليس، وخصوصاً الإسلام، وقد جاء في القرآن (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين، قال الله ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك، قال إبليس: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) الأعراف: ١١–١٢، ولقد غضب الله من أجل ذلك على إبليس وأهبطه من السماء إلى الأرض، وأخرجه من جملة الملائكة إلى عداد الشياطين، ومع ذلك فقد رفع بشار صوته بكفر وإلحاد،ولم يكتفِ بشار بذلك بل كفر المسلمين بعد رسول الله عليه السلام وحكم بالكفر على الخلفاء الراشدين وخصَّ علياً كرَّم الله وجهه بحملة عنيفة. وكان الخوارج

(١)الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ١٨٦.
(٢) مرجع سابق، ج٣، ص١٤٣.
(٣) مرجع سابق، ج٣، ص٢١٥.
(٤) البيان والتبيين، الجاحظ، ج١،ص٥٩.
(٥) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص٢١٥.
(٦) مرجع سابق، ج٣، ص ١٥٤.

كفروا علياً فحمل عليهم واصل بن عطاء المعتزلي وجميع الشيعة وأهل السنة، فالتفت بشار يشير إلى ذلك متهكماً: (١)

مَاذا مُنِيتُ بِغَزالٍ له عُنق **كنقيق الدوّ إن ولّى وإن مَثَلا**

عُنقُ الزرافةِ، ما بالي وبالكم **تكفرون رجالاً كفرّوا رجُلا**

وكذلك كان يقول بالرجعة، فبهذا وأشباهه عرف بشار بالزندقة والإلحاد، وبهذا وأشباهه زعموا أن المهدي قتله(٢).

وأحب قوم أن يدفعوا عن بشار الزندقة، فاستشهدوا بشيء من شعره على إيمانه بالبعث والحساب: (٣).

كانَ يُبكي لمحبسٍ في طلولٍ **منْ سيقْضِي لحبسِ يومٍ طويلِ**

إن البعثَ والحسابَ لشُغلا **عن وقوفٍ بكلِ رسمٍ محيلِ**

وكذلك قال إنه لما قتل بشار وجدوا في منزله مخفية فيها: " بسم الله الرحمن الرحيم- إني أردت هجاء آل سليمان بن علي لبخلهم. فتذكرت قرابتهم من رسول الله – صلى الله عليه وسلم- فأمسكت عنهم إجلالاً له"(٤).

وقال إنه أراد هجاء سلم الخاسر ولكنه أمسك، وقال:" لوددت أنه ينتمي في غير أبي بكر – رضي الله عنه- وإني مغرم ألف دينار مني لهتك عرضه وعرض مواليه".

هذا إلا أن تكون الأمثال هذه الروايات من عمل بعض الفقهاء الذين أرادوا أن تختم حياة بشار وأمثاله بالتوبة(٥).

ويقول أبو الفرج " عاصر بشار نهضة علم الكلام وحركة الاعتزال في مهدها في البصرة، فلا عجب إذا رأينا أحد أصحاب الكلام المعروفين(٦). وأعده ابن النديم من رؤسائهم(٧).

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٣٠، الأغاني، ج٣، ص٣٢٤. ابن عاشور الديوان، ج٤، ص ١٤٠.
(٢) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ٢٢٤.
(٣) الجاحظ،البيان والتبيين، ج٣، ص ١٢٧. ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ١٥٢.
(٤) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ٢٤٩.
(٥) مرجع سابق، ج٣، ص ١١٣.
(٦) مرجع سابق، ج٣، ص ١٤٦.
(٧) ابن النديم، أبو الفرج بن اسحق الوراق البغدادي (١٩٩٧)، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، بيروت : دار المعرفة.، ٣٣٨.

ويظهر لنا بجلاء أن بشاراً كان مادياً من اتجاهه الفكري مع شيء يسير من الشك وميل إلى الجبر، كنت أكلم بشاراً وأرد على سوء مذهبه بميله إلى الإلحاد، فكان يقول " لا أعرف ألا ما عاينته أو عانيت مثله" وكان الكلام يطول بيننا، فقال لي: ما أظن الأمر، يا أبا خالد، إلا كما تقول، وإن الذي نحن فيه خذلان.

ومما سبق يتبين لي أنه مادي ملحد، لأنه لا يعرف إلا ما عانيه أو عاين مثله، ثم هو شاك متشائم لأنه يرى أن الذي نحن فيه خذلان لا حقيقة ولا خير فيه وإذا بحث هو فيه رجع عنه جاهلاً، ولا سبيل له إلى أن يعرف الغيب وما وراء الذي يعانيه،وأما أنه يقول بالجبر فواضح في قوله وأن الله خلقه شريراً، وهو يريد أن يبتعد عن الشر ولكنه لا يستطيع لأن شهوة نفسه إلى الشر تغلب إرادة عقله للخير ويعتقد أنه ذو علم ثاقب وإرادة قوية، ولكنه عاجز عن الاستفادة من علمه ومن إرادته وربما يدُّل ذلك على اضطراب نفسي عن بشار.

وهذا التشاؤم الذي يرجع من قرب أو من بعد إلى أنه كان أكمه، فجعله من أشد الناس تبرماً بالناس، وكان يقول: " الحمد لله الذي ذهب ببصرى لئلا أرى من أبغض" ولقد زاد تبرمه بالناس ونقمته عليهم كثرة تعريضهم بعماه[١]، ولعل هذا كان من أبرز الأسباب الداعية إلى هجائه المقذع[٢]. ويقول طه حسين:" في كتابه حديث الأربعاء " إن بشاراً لم يعلن إلحاده بل احتمى بالنفاق وهو يضمر الزندقة والإلحاد، وأنه من أشد الناس إلحاداً في الدين وتهالكاً عن اللذة، وكان منافقاً في سيرته، ويداري الناس ويتقيهم ليعيش ثم أنه أخفى إلحاده ولم يجهر به جنباً، وهنا طه حسين يمزج بين الإلحاد في الدين والتهالك على اللذة؟ وهل كل تهالك على اللذة يصدر عن الإلحاد في الدين" [٣].

يقول طه حسين:" كان شعره إغراء بالفجور، وحثاً على الفسوق، وإفساداً حتى لأشد النساء حرصاً على الشرف وأوفرهن حظاً في الإحصان، وأحسب أن صوت نفس بشار ليس بالرخيم ولا بالرقيق، كما أنه ليس بهذا الصوت الضخم الذي لا يخلو على ضخامته من حلاوة ولين، وإنما هو صوت لا حظَّ له من الحلاوة، ولعله يخفيك أكثر مما يستهويك، ومهما تكن لبشار من الأشعار

---

(١)الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ١٤١.
(٢) مرجع سابق، ج٣، ص ١٤٢.
(٣)النويهي، شخصية بشار، ص ٧٦.

الجياد والبارعة فأنا لا أحبه ولا أميل إليه، والغريب أن كل ما حفظ لنا عن شعر بشار لا يحببه إلينا ولا يعطفنا عليه، فهو ثقيل حتى حين يضحك"[(١)].

ويقول أيضاً " أخبار بشار تمثله منافقاً في سيرته يداري الناس ويتقيهم ليعيش ثم ينذرهم ويخفيهم لينعم بعيشه، ثم يسخر منهم متى أتيح له ذلك، وإذن فهو أقل الناس حظاً في صدق اللهجة والعاطفة، وإذا قرأت شعر بشار فلا ينبغي أن تبحث فيه عن شعوره وعواطفه، ولا عما يحس أو يؤمل بينه وبين نفسه، وإنما ينبغي أن تبحث فيه عما يريد أن يظهره، أو عما يريد أن يتكلّف للناس من العواطف والشعور، والميل، ليس شعره شفافاً كشعر أبي نواس وحماد عجرد وإنما هو شعر كثيف صفيق لا يدُّل من نفس صاحبه على شيء، وهو كاذب أبداً لا يحفلُ بالكذب"[(٢)].

ويقول" هو إذن ليس بشاعر مخلص ولا صادق حين يمدح ولا حين ويتغزّل ولا حين يرثي"[(٣)].

ويقول" بين يدي غزل لبشار ليس بالكثير ولكنه ليس بالقليل أيضاً وهو سواء كان قليلاً أم كثيراً لا يمثل عاطفة ولا شعوراً صادقاً، وإنما يمثل أمرين اثنين، يمثل تهالكاً على اللذة وافحاشاً في هذا التهالك وافتناناً فيه أيضاً"، يقول طه حسين " ليس وجه بشار بذلك الوجه المشرق الجذاب الذي يستميلك ويستهويك، وإنما هو فيما اعتقد رجل ثقيل الظل، له من الفن حظه الموفور"[(٤)].

ويقول طه حسين " وكان مخلصاً إذا هجا، لأنه يزدري الناس، ويسرف في بغضهم" [(٥)].

ويضيف قائلًا:" وكانت زندقته علمية إن صح التعبير، أو قل كان لزندقته وجهان: أحدهما علمي نظري فيه ذكر لمذهبه، ودفع عنه، والآخر عملي أدبي يشارك فيه حماداً ومطيعاً، وغيرهما من المجان" "والغريب أنك لا تجد بشاراً يسف في اللفظ إذا مدح أو تعرّض لفن من فنون الشعر، إلا الغزل والهجاء، فهو إذا تغزّل أراد أن يفهمه النساء، وأن يكون شعره ذائعاً، يتناقله الشبان وأهل الخلاعة وهو إذا هجا كان يريد أن يؤذي من يهجو، وإنما يؤذيه إذا كان فاحشاً مقذعاً وكان مع ذلك سهلاً يمكن فهمه وروايته"[(٦)].

---

(١)النويهي، محمد (١٩٥٩)، شخصية بشار، الخرطوم : دار الفكر.، ص ١٦١، حسين طه، حديث الأربعاء، ص ٢٠١.

(٢) مرجع سابق، ص ١٦١، حسين، طه، حديث الأربعاء، ص ٢٠٢.

(٣) مرجع سابق، ص ١٦٢، مرجع سابق، ص ٢٠٣.

(٤) مرجع سابق، ج٢، ص ١٨٨.

(٥) مرجع سابق، ج١، ص١٩٠.

(٦) مرجع سابق، ج١، ص ١٩٢.

ولا شك أن رأي طه حسين يحمل في طياته الحكم على الإنتاج الشعري لبشار من خلال حكمه على شخصية بشار المضطربة والماجنة، ولا بد من وجود دوافع لإصدار هذه الأحكام، وأن كان من الضروري النظرة الموضوعية والابتعاد عن الشخصنة وما تحمله من قناعات ذاتية

ويقول العقاد:" لم يرد في شعره سوى رصانة اللفظ، وجودة الصياغة، فيقول أيضاً" أما شعره فرصين صحيح في الأكثر الأعم، مما وصل إلينا منه وهو يقسّمه قسمين بدوي تغلب فيه الجزالة والجفوة، وحضري تغلب فيه الرقة والنعومة، وروح شعره في الروح الذي يعرف به أمثاله من ذوي الطبيعة الحيوانية والمزاج الدنيوي الذي يتخيّل الأشياء كما يحسها في عالم الواقع القريب، ويراها كما تبدو في صور المعيشة المعهودة، فلا إلهام في شعره ولا حنين ولا أشواق ولا بدوات ولا خيال ولكنها تجربة الدنيا تملي عليه ما ينظم من الحكمة والوصف والغزل والهجاء، فلا يمتاز فيها عن سواد الناس بغير اللسان اللبق والقدرة على النظم والتعبير ولا ينتظر أحدٌ أن يسمع من غزل بشار تلك النغمة الساحرة التي ترتفع بالنفس إلى عالم الأحلام والأشواق، وتسبح في فراديس الأفراح، والأشجان ولا يرج أن يطالع منه وصفه للحب كأوصاف أولئك الشعراء الكماليين الذين يجعلون المرآة المحبوبة مثالاً للعيون يجمعون فيه كل ما خامر نفوسهم من المعاني الحقيقة والآمال المنوعة، مثل أولئك غريب على طبعه بعيد عن مشربه[(١)].

ويضيف العقاد قائلًا: "كان حبه للنساء لا حباً للمرأة أو كان حباً للأنثى لا يراها واحدة في كل امرأة فلا يحتاج إلا لأن يكون حيواناً ذكياً لينظم مثل ذلك الغزل ويجيد فيه أحسن الإجادة، فهو يفهم (الأنثى الجسد) ذلك الفهم الخليق بطبيعته الحيوانية، ولذاته الحسّية ولكنك لا تقرأ له بيتاً واحداً يسمو به إلى إدراك النفس الأنثوية وما فيها من حلاوة صافية وكنوز عطف تغذي بها وجدان الرجل"[(٢)].

ويقول المازني " فما كانت المرأة عند بشار إلا أنثى يصبو جسد الرجل إلى جسدها، وأداة يرضى بها غريزته، وندر أن يرتقي إحساسه بها إلى المعاني النفسية، وكل غزله حسي واقعي لا يرتق فيه عن هذه المرتبة ولا يجاوز وصف المحاسن الملموسة، أو ما يتخيله وراء اللمس أو السمع مما فاته بذهاب بصره، ولكنه لا يرتفع إلا في النادر على سبيل التقليد والمحاكات عن نطاق الحس، ولم يكن معنياً بالصدق في الإعراب عن عاطفته، وإنما كان معنياً بسيرورة الشعر وشهرته وليس لبشار في غزله صدق يعرف من كذب فقد كان الشعر عنده صناعة وكان همُّه أن يقول في أغراضه، وأن يقال أحسن وأجاد، لا لأن يكون صادقاً فلم تكن مزيةُ بشار سمو المعنى،

---

(١) العقاد عباس محمود،(د،ت) مراجعات في الآداب والفنون مصر، المطبعة المصرية ص ٢٤.
(٢) النويهي، شخصية بشار، ص ١٦٥.

وقوة الخيال، أو صدق العاطفة، أو إخلاص السريرة، أو نفاذ البصيرة، وإنما كانت قدرته على الأداء الجيد المرافق للمعنى الذي يعالجه والغرض الذي يقول فيه(١).

يقول النويهي مدافعاً " أول ما ينبغي علينا إدراكه أن تهمة الكفر وإلحاد ليست صحيحة فبشار لم ينته إلى الإلحاد أو الكفر بل ظل طول عمره حائراً متشككاً في كل شيء، وهذا أساس بليته أنه ظل متردداً شاكاً لم ينتهِ إلى الإيمان ولم يستطيع أن ينتهي إلى الإلحاد، ولهذا قلت إنه أن نشفق عليه وأن يعطفوا على زائغ لم ينته إلى الإيمان وبقي طول عمره متشككاً(٢).

ويقول النويهي" وبشار ما استطاع طول حياته أن ينتهي إلى هذه الثقة والراحة فظل منغّصاً تفتك به الشكوك وتلتهمه المخاوف والريب،. وبليته العظمى يقوى شكه فيظن أنه وصل مرحلة الإلحاد التام، ويستعد لهدوء الإلحاد وراحته، ثم ما يلبث أن تعاودهُ الظنون والمخاوف، فما أدراه لعل هذا الذي يسخر به الحق وتقوى مخاوفه حتى يخيّل إليه أنه بلغ مرتبة الإيمان، فيقول مثل هذين البيتين في صدق وحرارة (٣):

كيفَ يبكي لمحبَسٍ في طُلولِ ... منْ سيقْضي لحبسِ يومٍ طويلِ

إنّ في البعثِ والحسابِ لشُغُلاً ... عن وقوفٍ برسمِ دارٍ محيلِ

ولكنه لا يلبث أن يعود إلى شكه القديم".

ويقول النويهي(٤)" نجد في أخبار القدماء تقديرات مختلفة عن دين بشار، فهم يقررون أنه آمن بالرجعة أو أنه صوّب الشيطان (إبليس) في تقديم النار على الطين والنور على الظلمة، أو أنه كفّر الجميع، وكل هذه تقديرات خاطئة إن أريد بها أن هذا هو مذهبه الذي صار إليه وقبله قبولاً نهائياً، فالحق أن بشاراً لم ينتهِ إلى مذهب ما بل تقلب بين شتى المذاهب الإسلامية وغير الإسلامية يدرسها ويناقشها وقد يستهويه أحدها حيناً ثم لا يلبث أن يضيق به ويتشكك فيه، فقد يكون مال حيناً إلى مذهب الرجعة أو غير من عقائد أهل الهند.

---

(١) النويهي، شخصية بشار، ص ١٦. المازني، إبراهيم عبد القادر(١٩٤٤)،بشار بن برد، بيروت: دار إحياء الكتب العربية.،ص١٤٤.
(٢) مرجع سابق، ص ٧٧.
(٣) مرجع سابق، ص ٧٨.ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص١٥٢.
(٤) مرجع سابق، ص ٧٩.

ويضيف النويهي :"وقد يكون قد استهواه في فترة ما من حياته رأي أصحاب الديانات الفارسية في عبادة النور وتقديس النار، ولا شك أنه كان في زمن معتزلياً بل كان من أئمة المعتزلة وقادة الرأي بينهم، ولكن كل هذه المذاهب لم تقنعه إقناعاً كاملاً ولم ينتهِ هو إلى مذهب شخصي له برضاه لا يثبت تدينه بإحدى الديانات الفارسية، بل يثبت العكس فليس هذا كلام رجل يعبد النار بل كلام مجادل منطقي يحاول أن يُري الموحدين ما في قول عبدة النار من وجاهة، وهو أيضاً رجل حاقد على البشر جميعاً، باختلاف أجناسهم ودياناتهم، حتى يفضل على جنسهم البشري خلقاً آخر، فيقول لهم هذا الشعر لا لأنه يعبد النار أو يحب إبليس بل لمجرد أن يغيظهم"(١).

ويوافق النويهي قول سعد بن سلام، أن بشاراً بقي متحيراً مخلطاً، ويقول هذا هو "الحكم الصحيح"(٢).

ويقول النويهي " كان عصر بشار من أشد عصور التاريخ الإسلامي زعزعة واضطراباً شهد انقلاباً سياسياً عظيماً وهو تحول الملك من الأمويين إلى العباسيين ثم تحوّله من العرب إلى الفرس، وشهد ثورات وحروب أهلية وخارجية وشهد بحوراً من المذاهب والعقائد من الخوارج والشيعة والمعتزلة، والمرجئة، والرافضة، وفرق عديدة من العلويين، أضف إلى ذلك فرق من المجوس والنصارى، واليهود والصائبة يناحرُ بعضها بعضاً، فالذي يظل متحيزاً مخلطاً فيها جميعاً قد ذاق عذاب الشك حقاً"(٣).

فبشار لم يكن شكهُ شكا عاديا الذي يوجد لدى كل الناس، حتى أتمهم إيماناً، فهم تمر بهم فترات متراوحات يقولون فيها، أهذا كله حق؟ أهناك جنة ونار حقاً؟ أهناك ملائكة وشياطين، وبعث وحساب؟ أديننا وحده هو الصواب؟ أما شك بشار فكان من النوع الذي يلتهم صاحبه التهاماً

وسرٌّ ذلك أن بشاراً لم يكن فرداً عادياً ولا كان مجرد شاعر ولا كان مفكراً متواضعاً بل كان من أعظم ذوي العقول في عصره(٤).

ويقول " بشار لم يكفر أحداً ولم يكفر مذهباً بل تساوت لديه جميع المذاهب في الشك. هناك أخبار يستدل بها لبعض على أنه كفر بالإسلام ومنها قول بعض أصحابه "كنا إذا حضرت الصلاة نقوم ويقعد بشار فنجعل حول ثيابه تراباً لننظر هل يصلي فنعود والتراب بحاله، ومنها أنهم سألوه

---

(١) النويهي، شخصية بشار، ص ٨٠.
(٢) مرجع سابق، ص ٨٠.
(٣) مرجع سابق، ص ٨٠.
(٤) مرجع سابق، ص ٨١.

يوماً حضرت الظهر والعصر والمغرب فلم تصل، فأجابهم: إن الذي يقبلها تفاريق يقبلها جملة! ومنها قوله إن شعراً له يغني فيه أحسن من سورة الحشر، أو من فلج يوم القيامة كل هذا لا دليل فيه على الكفر بالإسلام وليس ترك الصلاة وحده بدليل على أنه اقتنع بخطأ الإسلام، إن الإسلام دين لا يقر التفتيش والتجسس على أحوال الفرد الدينية، أما فخره بشعره فلا يزيد على أن يكون أسلوباً سيء الأدب جمح به لسانه في حالة طرب(١).

ويقول النويهي" بقي بشار شاكاً متردداً، على أن هناك رأياً دينياً واحداً نستطيع أن نطمئن إلى أن بشاراً في كل شكه وتحيره قد أمن به إيماناً تاماً ذلك هو رأي الجبرية"(٢).

وفي رأيي أن عنصر شكه الديني واضطرابه الفكري أسهما في تكوين نفسيته الخاصة وما تولّد عنها من تصرفات شهوانية مفرطة وقد زادها حدة وفجوراً،والذي لا شك فيه أن تحيره الديني والفكري دفعه إلى أن يتلمس في اللذة الجنسية عزاء وسلوى،.وهذا ليس مبرراً على سلوك الفحش والدعارة والشك والزندقة وغيرها، فالإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل وهذا لم يظهر عند بشار أبداً سوى سلوك نمطي يحدد جوانب شخصيته المتخبّطة والشاكة وإلى درجة الكفر.

وخلاصة القول إن بشارًا شاعر مولد، وأشهر المحدثين، وأول المجددين في لغة الشعر، كان أكثر المحدثين تمسكاً بأساليب القدماء في قول الشعر، حتى دفعة طبعه الصادر عن طريقة العرب في إبداع الشعر إلى العناية بالمقومات البديعية حتى صارت ميزة أسلوبية في لغته، مع عصر الحداثة الشعرية الذي كان شعر بشار أوله، ظهر صراع نقدي وتباين في الآراء، واختلاف في المواقف، فمن النقاد من حاول وضع السمات الفنية. والمؤشرات الجمالية، التي يمكن أن يقاس إليها الشعر، لمعرفة الثوابت الموروثة عن الشعر الجاهلي،وحكم عليه بالإجادة والإبداع، وقد نظر بعض النقاد إلى جديد بشار على أنه خروج على تلك القوانين لا على أنه خصيصة أسلوبية، من جهة كونه مولداً وليس بأعرابي وكأن بعضهم نظر إلى تميز المولدين على أنه اضطراب في كلامهم الشعري، فهم ليسوا بأعراب على أن هذا التميّز أو التغيير عند بشار أو طبقته، إنما مبعثه أمران، أولهما ذاتي وثانيهما موضوعي متصل بثقافة الشاعر، وخصوصية عصره، أما الذاتي فهو باعث أسلوبي متصل بأن روح الشاعر أو شخصيته تدخل في عمله الفني لتنقله بالضرورة إلى شعر فيه رؤيا الشاعر المتأملة للحياة وتجربته وإحساسه إزاءها تجربته تنبع من أعماق كيانه وتستبطن ما هو إنساني فيها، وبذلك تخرج من مجرد التجربة التي تتعلّق بحدود ذات الشاعر الضيقة إلى آفاق أرحب في التعبير عما هو إنساني عام.

---

(١) النويهي، شخصية بشار، ص ٨٢.
(٢) مرجع سابق، ص ٨٣.

الفصل الثاني

المرجعيّات في شعر بشار

١. المرجعيّة الإسلاميّة

٢. المرجعيّة الفارسيّة

٣. المرجعيّة العربيّة

٤. صدى هذه المرجعيات في شعره (المديح، الهجاء، الرثاء، الفخر، الغزل، المجون، الوصف، النسيب، الحكمة).

٥. الزندقة والشعوبية عند بشار.

شغلت حياة بشار بن برد، وقبح عماه، وضعة نسبه، ومذهبه السياسي والاعتقادي، وسلاطة لسانه في الهجاء، وتهالكه على اللذة وشعوبيته اهتمام الدارسين من قدماء ومحدثين كما انشغل دارسون كثيرون في معتقده وشخصيته المضطربة والمتقلّبة.

ومن أبرز المحاور التي استرعت انتباه الدارسين الإقبال الشديد على اللذة والجهر بذلك فهم مجمعون على القول إن بشار بن برد شاعر اللذة الحسّية، كان يتطلبها ويسعى إليها مستمعاً بها غير عابئ بقيم دينية أو أخلاقية أو أعراف اجتماعية.

وسنتطرّق في هذا الفصل لشخصية بشار وأثر البيئة والمرجعيات الإسلامية والفارسية والعربية في بناء هذه الشخصية ومعتقداتها وهويتها وسنرصد صدى هذه المرجعيات في فنونه الشعرية (المديح، والهجاء، والغزل، والرثاء، والوصف، والحكمة، والنسيب) ومن ثم سنعكف على تفسير المنحى في حياة بشار وتهالكه على الزندقة والشعوبية، ثم نقف على ما شكّل أفكاره ومعتقداته عبر تحليل شعره بعد استقصاء كل ما له صلة بذلك.

لفظ المرجعية:

لغة: من (رجَعَ) ولهذا اللفظ اشتقاقات عديدة منها:

١. عودة الشيء إلى الشيء، أو العودة إلى حال أو مكان. ومنه قول الله تعالى" إن إلى ربك الرجعى"(١) [سورة العلق: ٨.]

٢. الرد إما مطلقاً أو إلى أمر سبق. ومنه قول الله تعالى:" ولما رجع موسى إلى قومه" [سورة الأعراف: ١٥٠].

٣. المعادة والمحاورة والجواب.

يقال (راجع الكلام مراجعة ورجوعاً، حاوره إياه، وما أرجع إليه كلاماً أي ما أجابه، والمراجعة المعاودة) (٢)،

ومنه قول الله تعالى: "يرجع بعضهم إلى بعض" [سورة سبأ:٣١.]

كأنهم يتحاورون ويجيب بعضهم على بعض ويعاودون القول، (أي يتلاومون) (٣).

---

(١) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (١٩٧٠)، لسان العرب، بيروت :دار صادر.، مادة(رجع)، ص١١٤.

(٢) لسان العرب، مادة(رجع)، ص ١١٦.

(٣) مرجع سابق، ص ١١٦.

اصطلاحاً:

المقصود به ما تواضع عليه أهل العلم في استعمالهم للفظ (مرجع) أو (مرجعية) وتحته عدة معانٍ:

١. أن لفظ مرجع أو مرجعية بمعنى الأصل الذي يرجع إليه في علم أو أدب أو شأن من الشؤون، لم يكن معروفاً في القديم، وإنما هو بهذا المعنى اصطلاح حديث[١].

٢. أن هذا المصطلح لا يتنافى مع اللغة بل هو على معيارها أي من اتخذ مرجعاً فلا ريب أنه يعود إليه المرة بعد المرة يطلب الجواب منه.

٣. في مدى استعمال أهل العلم للفظ مرجع ومرجعية لا يوجد هذا اللفظ في كتب اللغة القديمة، ولكن في هذا العصر مستعمل بكثرة، كقولهم (وظيفة مرجعية) أو (نظرية مرجعية) أو (مؤشر المرجعية) [٢].

ونحو ذلك من الألفاظ المتداولة في حقل الكتابات الفكرية والأدبية وغيرها ومن الملاحظ أن لفظ (مرجعية) مستعمل بكثرة في الطائفة الشيعية للتعبير عن مقام علمائهم وفقهائهم ومنزلتهم شبه المطلقة في الطاعة والاتباع.(٣)

ويجوز من جهة اللغة استخدام هذا المصطلح بناء على أن باب الاجتهاد في اللغة مفتوح بشروطه وضوابطه، فيكون لفظ (مرجعية) مصدراً صناعياً محدثاً يشبه لفظ (مذهبية، منهجية) وهو مقبول من جهة اللغة قياساً لأنه يتوافق مع أصله ولا يعارضه.

ونجد أن مصطلح (المرجعية) يستعمل في ثلاثة مستويات:(٤)

١. الإطار الكلي والأساس المنهجي والركيزة الجوهرية في أي خطاب أو ملّة أو مذهب أو دستور أو نظام.

٢. المصادر والمستندات والأدلة التي يعتمد عليها لتكوين أي نوع من أنواع المعرفة.

٣. أشخاص يعاد إليهم في الشؤون العلمية والعملية.

---

(١) الغامدي، سعيد بن ناصر،(١٤٣١ه) المرجعية معناها وأهميتها وأقسامها، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، العدد ٥٠، رجب، ص ٣٧٦.

(٢) بعلبكي، رمزي عنبر، (١٩٩٠)، معجم المصطلحات اللغوية، بيروت: دار العلم للملايين، ص ٤٢٢.

(٣) الغامدي، المرجعية، معناها وأهميتها وأقسامها، ص ٣٨٢.

(٤) مرجع سابق، ص ٣٨٣.

فيقال المرجعية هي: الإطار الكلي والأساسي المنهجي، المستند إلى مصادر وأدلة معينة، لتكوين معرفة ما أو إدراك ما، يبنى عليه قول أو اتجاه يمثل في الواقع علماً أو عملاً(١).

المرجعية الإسلامية:

تكثر الأخبار في كتب التراجم والأدب العباسية التي تشي بمنزع بشار الاعتقادي المتحيّر المخلّط. وقد روى ابن المعتز في طبقاته خبراً عمن عرف بشاراً أنه قال: "كان بشار أفقه الناس وأعلمهم بكتاب الله، فعاشر قوما من الحرانيين فخبث دينه" (٢).

أن بشاراً كان قد استهتر بأهل التدين فقد وجدناه في شعره يسمى الحسن البصري قسّا استخفافاً، وأنه هجا واصل بن عطاء، وسخر منه لأن واصلاً نهاه عن أذى الناس بالهجاء والغزل الماجن مع أنه كان من رموز المعتزلة، وكما سخر من نصيحة مالك بن دينار بأن يكفَّ عن شتم أعراض الناس، والتشبيب بنسائهم، فكان رد فعله على تلك النصيحة مزيداً من الغزل (٣).إيماناً منه بحريته الفردية التي يجب أن لا تكبلها القيود الاجتماعية والقيم الدينية، وذلك فضلاً عما تناثر في شعره من أبيات واضحة الدلالة على استخفافه بالعبادات :(الصلاة، الحج،الصيام).

ويقصد بالتناص الديني تداخل نصوص دينية مختارة عن طريق الاقتباس والتضمين من القرآن والحديث الشريف أو الكتب السماوية الأخرى مع النّص الأصلي للقصيدة بحيث تنسجم هذه النصوص مع السياق الشعري وتؤدي غرضًا فكريًا أو فنيًا.

ويعمد الشاعر إلى تطعيم نصوصه الشعرية بهذه النصوص المقدّسة لإعطائها بعدًا تفضيليًا من حيث قوة الدلالة والمصداقية.وظهر التناص القرآني عند بشار في شعره ومن ذلك قوله:

مخاطباً خالد البرمكي (٤):

فأطعمْ وكلَّ من عارةٍ مستردةٍ ... ولا تبقيها، إنَّ العواري للرد

أخذ المعنى من قوله تعالى:" فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر".

---

(١) بعلبكي، منير، معجم المصطلحات اللغوية، ص ٤٢٢.
(٢) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ٢٤.
(٣). الأصفهاني الأغاني، ج٣، ص ١٩٥.
(٤) ابن عاشور،الديوان،ج٣،ص١٢٦ سورة الحج ، أية ٣٦، المعتر: الرجل الغليظ

ويقول بشار[١].

لا أحملُ اللومَ فيها والغرامَ بها　　　ما كلّف اللهُ نفسًا فوقَ ما تَسعُ

يتناص بشار في هذا البيت مع قوله تعالى " لا يكلّف الله نفسًا إلا وسعها ..." (سورة البقرة:٢٨٦) فهو يتحدّث عن حبه فهو لا يستطيع أن يحمل في نفسه اللوم والهيام بمحبوبته لأنها لا تحمل الجمع بين النقيضين اللوم والغرام .

ويقول أيضًا[٢]:

دعهُنَّ للمُسهَبِ الضَلَين موردهُ　　　يا قلبُ كُلُّ امرئ رهنٌ بما اكتَسَبا

ويتناص هذا البيت مع قوله تعالى " كلُّ امرئ بما كسب رهين"[٣]:

فهو يحث ّ نفسه على ترك النسوة اللواتي احتجبن وترفعن عنه مخاطبًا قلبه كلّ إنسان محيط به عمله الذي كسبه فمن سعى في خير حصل عليه ومن سعى في ضلال أحاط به.

ويقول بشار[٤]:

إذا ما دعا ثابتٌ إليهِ عَصائبٌ　　　كرامٌ أعينُوا بالصَلاةِ والصَبرَ

يتحدّث مادحًا المهدي حيث أنه إذا أراد النصر فإنه يندفع إليه مع رجال أشداء أعانتهم قوة إيمانهم من خلال محافظتهم على الصلاة واستعانتهم بالصبر،وهو في وصفهم هذا يتناص مع قوله تعالى "واستعينوا بالصّبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين"[٥].

والتناص في الحديث يقول بشار[٦]:

وإنّي لِمُستشفي عُبيدَة إنَّها　　　بدَائي وإن كاتَمتُهُ لطبيبُ

كَقارُورَةِ العَطار أو زادَ نعتُها　　　تَلين إذا عاتَبتُها وتَطيبُ

---

(١) ابن عاشور،الدبوان،ج٤،ص١٠١
(٢) مرجع سابق، ج١، ص٣٥٦.
(٣) سورة الطور،آية ٢١.
(٤) ابن عاشور،الديوان، ج٣، ص١٧٧.
(٥) سورة البقرة آية ٤٥.
(٦) ابن عاشور، الديوان، ج٣، ص ١٧٩.

وصف المرأة بالقارورة ويتناص فيه مع الحديث النبوي .عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه" يا أنجشة، رفقًا قودًا بالقَوارير"(١).

نلاحظ استخدام الشاعر بشار تكرار القسم بلفظ الجلالة، مما يساعد المتلقي على الدخول إلى عالم النص لأنه هو الأقوى والأقدر على كشف البعد النفسي، أو يبين عن اهتمام الشاعر بصاحبته، ويمدح الشاعر الخليفة المهدي فيتبرأ مما نسبة إليه الحساد فيقول(٢).

فواللهِ ما أدرْي: أأجلس قانِعاً إلى المِصر أم ألقي الإمام فأفلج

فالشاعر يتردد بين الركون في بلده، وبين النهوض للقاء الخليفة ولذا جاء القسم بالله ليعبر عن حالته النفسية الحائرة.

إن تكرار القسم بلفظ الجلالة يثير القارئ أو السامع، وقد جاء ملائماً للسياق الذي يمتلئ بمعاني التوبة والاستغفار والاعتذار، ويأتي بشار بصيغة (تالله) في القسم حين يقول(٣):

قالوا العَمَى مَنظرٌ قبيحٌ قلنا بفقْدي لكمَ يهونُ

تاللهِ ما في البلاد شيءٌ تأسى على فقدِهِ العيونُ

ولم يكتفِ بالقسم بلفظ الجلالة، بل يضيف إليه أحياناً " رب محمد" ومن ذلك قوله يتغزّل بفتاة اسمها (بانه)(٤):

واللهُ ربُّ محمدٍ إنّي ببانَه معجبُ

ولقد أتانِي أنَّها باتتْ عليِّ تلهبُ

فالشاعر يقر بنبوة محمد- عليه السلام- على الرغم من أن بشاراً كان قد أُتهم بالزندقة(٥) ويلوح بشار بالقسم لأنه كان متقلباً في عشقه ومعتقده،ومن هناك كان يستشعر كلامه ليس موثوقاً به فعمد إلى زيادة القسم والتوكيد.

---

(١) أخرجه البخاري في مواطن أولها (ج٨،ص٣٥)،القوارير: النساء في الرقة واللطف.
(٢) أفلج: أفوز، وأظفر، ابن عاشور،الديوان،ج٢، ص ٨٤.
(٣) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ٢١٣.
(٤) تلهب: تحرق عضباً، ابن عاشور، الديوان،ج١، ص ٣٥٩.
(٥) خليف، يوسف (١٩٨٠)، الشعر العباسي نحو منهج جديد، القاهرة: دار الثقافة.، ص ٤١.

ويبرز المكان المقدس عند بشار وفي ذلك قوله[١]: ورب منى من الأماكن المقدسة التي لها وقع في ذاكرة المسلمين.

وربُ منى لقد كذّبوا عليْها   كما كَذَبَ الوشاةُ على الغرابِ

دعوا عوراً بمقلته ويغدو   صحيحُ المقلتينِ من المَعَاب

وهنا يستخدم بعض الطقوس الدينية التي يمارسها المسلمون في موسم الحج التلبية ورجم إبليس والوقوف بجبل عرفة حين يقول[٢]:

حلفتُ بمن حَجّ الملّبون بَيْتَهُ   وبالخيفِ والرّامينَ للجمراتِ

لتقبيل خديّها ومصٌّ لسانِها   ألذُّ من الباكين في عرفات

وواضح أن بشار يمزج بين ما هو مقدّس وما هو مدنّس، وكأنه يهز أو بما يقسم به ومن الجدير ذكره أن الكعبة المشرفة لها مكانة في نفوس العرب منذ القديم والمسلمين، فقد كانت أهم البيوت المقدسة عند غالبية العرب في الجاهلية وعند المسلمين، فقد أجمعوا على تعظيمها والحج إليها، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنهم أعدوها بيت الله الذي يقرّ معظمهم بوجوده ويحلف بشار يميناً عند المقام إذ يقول[٣]:

إني حلفتُ يمنياً غير كاذبةٍ   عند المقامِ ولم أقْرب له فَنَدا

لو خيَّر القلبُ منَ يمشي على قدمٍ   لاختارَ سُعدى ولم يعدلْ بها أحَدَا

يرمز بشار على إبراز فكرة العبودية والطاعة لله سبحانه وتعالى ونفهم هذا من خلال ربطه القسم بهذه الأماكن الدينية المقدّسة التي لها مكانة في نفوس المسلمين فيزورونها امتثالاً لأوامره سبحانه، وتعبيراً عن خضوعهم وطاعتهم له. فيقول[٤]:

يا عبدُ أقسمُ بالذي أنا عبُده   وله المقامُ وما حَوتْ عرفاتُ

---

(١) ابن عاشور، ديوان بشار، ج١، ص ٢٠١.
(٢) مرجع سابق، ج٢، ص ٥٨.
(٣) مرجع سابق، ج٢، ص ١٩٣.
(٤) مرجع سابق، ج٢، ص ٣٦.

لا أصطفِي أبداً سِواك خليلة   فثِقِي بذلكَ والكرامُ ثِقاتُ

ونلاحظ في بعض الأبيات يجانس الشاعر بين اسم المحبوبة عبدة ولفظ عبدك ولعله يريد أن يركز على معنى العبودية لله، أية ذلك أن البيت الأخير يتضمَّن اعترافاً صريحاً من الشاعر بالمناجاة بين الله سبحانه وتعالى وعبده يوم القيامة حين يسأله عن ذنوبه سراً فيقول[١]:

يا عبدَ باللهِ ارحمي عَبَدك   وعلّليهِ بمنى وعدَكِ

يصبحُ مَكْروباً ويُمسي به   وليسَ يدرِيْ مَالهُ عندكِ

ماذا تقولينَ لربِ العُلا   إذا تخلّيتِ بهِ وَحْدكِ

إن استخدام عبارات مثل (عهد، عمر) وأضافت لفظ الجلالة إليها نحو (وعهد الله، وعمر الله) فإنها تنبئ عن نفسية بشار التي تحاول أن تنفي الشكوك وقد تحالفت معها كلمات (الميثاق، الستر، والمنبر) ليضفي الشاعر جواً من القداسة والهيبة نحو[٢]:

وعَهد اللهِ والمِيثاقُ   بين السِترِ والمنبّر

رزق بشار بن برد بولدين، ذكر وأنثى، لكنهما سرعان ما توفيا، ولقد رثا بشار ابنه محمد، حيث حزن عليه حزناً شديداً[٣]، حيث يقول في مطلع قصيدته (إلى الله أشكو):

أجارتَنا لا تجْزعي وأنِيبي   أتانِي من الموتِ المطلِ نَصِيبي

بُنيَّ على قلبي وعيني كأنَهُ   ثوى رهَن أحجارٍ وجارِ قليبِ

كأنَّي غَريبٌ بعدَ موتِ محمدٍ   وما الموتُ فينا بعدهُ بغريبِ

نلاحظ من الأبيات السابقة أنَّ بشاراً أول فاجعة واجهها في حياته هي وفاة ابنه محمد، حيث كان يذكر شكواه إلى الله في نفس القصيدة، عندما قال : [٤]

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ١٢٥.
(٢) مرجع سابق، ج٣، ص ٣٠٤.
(٣) مرجع سابق، ج١، ص ٢٥٥.
(٤) مرجع سابق، ج١، ص ٢٥٦.

إلى الله أشْكو حاجةً قدْ تَقَادَمَتْ   على حَدَثٍ في الْقلبِ غَيْر مُريبِ

أمّا في قوله : (١)

غَدَا سَلَفٌ مِنَّا وهجَّرَ رَائِحٌ   على أثرِ الْغادينَ قوْدَ جَنيبِ

نلاحظ هنا أنَّ بشارًا على الرغم من انكاره الجنة والنار ورغم وجوديته إلا إنه كان يؤمن بالموت، وأنَّ مصير كلَّ إنْسان في هذه الدنيا هو الموت وأنَّه أمرٌ لا مفرّ منه في هذه الحياة، وإنّ النفس البشرية ستلاقي ربَّها بعد الخلود، ويؤكد ذلك قوله (إلى الله أشكو) وهذا يؤكد مدى حيرته واضطرابه، كما أكَّد بشار ذلك المعنى في قصيدة مدح عقبة بن سلم (الداء والدواء) يذكر في أحد أبياتها : (٢)

فقضى الله أنْ يَمُوتَ كما مَا   ت بَنُونَا وسالِفُ الآباء

وهناك أبيات كثيرة تطرّق لها بشار بن برد في الموت ومنها في رثاء آخر خلفاء الدولة العبَّاسية، محمد بن مروان يقول فيها : (٣)

أقمْنا عَلى هذا وَذاك نِساءهُ   مَآتِمَ تَدْعُو للبُكا فتُجَاوِبه

وكذلك رثا بشار زوجته أم محمد في قصيدته (صلي الإله عليكِ): (٤)

ولَقَدْ أقُولُ غَدَاةَ يَنْأى نَعْشُها   صَلَى الإله عَلَيْكِ أمَّ مُحَمَّدِ

يذكر بشار في بيت من شعره أنَّه انقطع عن الدنيا واتجه إلى الحياة الفانية، منها في قوله: (٥)

فَمَا صَاحِبِي الْحَيُّ   ولَكِنْ صَاحِبِي الْمَيْتُ

ولعل من أجمل أبيات الحكمة والموعظة التي ذكرها بشار بن برد قوله، في قصيدة (المال والصحة)، حيث أنْشَدَ: (٦)

---

(١) ابن عاشور، الديوان،ج١، ص ٢٥٦.
(٢) مرجع سابق، ج١،ص ١١٢.
(٣) مرجع سابق، ج١،ص ٣٢٢.
(٤) مرجع سابق، ج٢، ص ٤٠٩
(٥) مرجع سابق، ج٢، ص ٢٤.
(٦) مرجع سابق، ج٣، ص ١٢٥.

المال زَيْنٌ وفي الأولاد مَكْرُمَةٌ   والسُّقْم يَنْسيكَ ذكْرَ المال والولد

ومن الموعظة أيضاً بيته في قصيدة (مساواة في الموت) ،يذكر فيها : [١]

ويمُوت راعي الضَأنِ عند ثُمامِه   مَوْت الطبيب الفيلسوف العالمِ

والمعنى أنَّ الموت يجمع بين الجاهل والعالم.

وذكره أنَّ الموت قادم لا محال ولا مفرَّ منه، في قوله: [٢]

فعِش خائفاً للموتِ أو غيرَ خائفٍ   على كلِّ نفسٍ للحِمامِ دليل

تناول الشاعر في ديوانه بعض من التناص من القرآن الكريم والسنة النبويَة، وسوف نتطرّق لبعضها، فعلى سبيل المثال، استخدامه كلمة (أعتبيني) في قصيدة (لا تقطعا الشوق) يذكر فيها: [٣]

فما أعتبتني الْعيْنُ مِنْ فيْضِ عبْرةٍ   ولا يرعوي قلْبي إلى دَعَواتِ

وهي قد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله {وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين}. (سورة فصلت: ٢٤).

وهناك بيت يتضح أنَّه تلميح للآية القرآنية { وآتيناه الحكم صبيًّا } (سورة مريم:١٢)، من قصيدة (أمير على بيت الملوك) يقول فيه: [٤]

لَهُ حُكْمُ لُقْمانٍ وحزْمُ مُوفَّقٍ   ولِلْموت منْه مَخْرجٌ حين يَغْضبُ

وكذلك كلمة (عقد) في قوله تعالى {ومن شر النَّفاثات في العقد} (سورة الفلق: ٤) ذكرها بشار في قصيدة (دعني أمت). [٥]

كأنّ في طَرفِ عَينيها إذا نَظَرَت   بناظِرِ عُقداً من سَحَرِ سَبّاح

---

(١) ابن عاشور،الديوان، ج٤، ص ١٨٦.
(٢) مرجع سابق، ج٤، ص ١٥١.
(٣) مرجع سابق، ج٢، ص٤١.
(٤) مرجع سابق، ج١، ص ٣٤٧.
(٥) مرجع سابق، ج٢، ص ١٣٥.

من السنة النَّبوية، استخدم الشاعر في قصائده كلمات وألفاظ مختارة، ككلمة (يحثى) في قوله:[١]

يَحثى لهذا وذا وذاك ولا　　　يَحْسبُ معْروفهُ كَمَنْ حَسَبا

وهي مأخوذةٌ منْ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث روى الترمذي وقال: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن في أمتي المهدي يخرج يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا فيجيء إليه الرجل، فيقول: يا مهدي أعطني أعطني، فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله"(رواه أبوداود الحاكم وحسنه الألباني في صحيحه الجامع).

بالإضافة إلى بيت الشعر من قصيدة (نعم الإمامان) : [٢]

إنَّ الخليفة ظِلٌّ يُستَظلُّ بهِ　　　عالٍ مع الشَّمْس محْفُوفٌ بأطْوادِ

وهو محاكاة لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم :"السلطان ظلٌّ الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده".رواه البيهقي في الجامع الصغير وأخرجه أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان في أماليه (٢/١٥١).

وذكر الشاعر حال الشُّعراء، وكيف أنَّهم يكذبون في قصائدهم، وذلك في قوله بقصيدة (يا مالك الناس): [٣]

يَصْدُق في دينهِ وموْعدِهَ　　　نَعَمْ وَيُعْطى النَّدى على كَذِبِهْ

وهي إشارة لقوله تعلى { الشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون } (الشعراء: ٢٢٤).

ذكر بشار في ديوانه، بعض من الأماكن المقدّسة للمسلمين، منها أماكن شعائر الحج، في قصيدته (ما أحسن الحمد) : [٤]

صفا لهُم مَنْحرُ الْهَديِّ فبَـــيْتُ　　　الله فالموقفان فالسُّورُ

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج١، ص ٣٣٠.
(٢) مرجع سابق، ج٢، ص ٣٠٠.
(٣) مرجع سابق، ج١، ص ١٥٩.
(٤) مرجع سابق، ج٣، ص ٢٠٠، منحر الهدى: مكان النحر_ زمزم والجمار والحوض والمسعى والحضروات: المواقع المقدسة في الحج.

فَزَمْزَمٌ فالجمارُ فالْحوْضُ   فالْــمَسْعى فذاك الْمقامُ مُحْتظَرُ

تطرّق بشار بن برد في ديوانه الشعري لعدّة من الصفات التي يغشوها الطابع الإسلامي، والتي هي من أساس وأولويَّات ديننا الإسلامي الحنيف، سواء قد ذكرتْ في القرآن الكريم، أو إنَّها من الأمور التي أمر أو نهى عنها الرسول- صلى الله عليه وسلم- سواء بأقوال أو بأفعال، ومن هذه الصفات الإيفاء بالوعد وعدم الإخلاء به، كقوله : (١)

إنَّ وعْد الكريم ديْنٌ عليْه   فاقض واظْفرْبه على الغُرماء

فالإخلاء بالوعد من الأمور التي نهى عنها الرسول- صلى الله عليه وسلم- وذلك في قوله: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ" .رواه البخاري (٣٣) ومسلم(٥٩).

ومن الأمور التي ذكرها رسولنا الكريم- صلى الله عليه وسلم- والتي يجب التَّحلّي بها، هي الرضا بالقليل، وقد ذكرها بشار بن برد بقوله : (٢)

إذا دَنَا الْعيْشُ فَمَعْروفُهُ   دانٍ بعيْشِ الْقانِعِ الْمُتْرِبِ

كما تناول بشار في ديوانه صفة الحلم، وهي من الصفات المهمة التي يجب أنْ يتَّصفْ بها المسلم، وقد ورد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتق الشر يوقه"، في قصيدة (اقدح بحلم) : (٣)

لاَ تَبْغ شَرَّ امرئ شَرًّا من الدَّاء   وّاقدّحْ بِحِلْمٍ ولا تقدح بشحناءِ

كما أنَّشد بشار بن برد ، بيتاً من الشعر يقول فيه : (٤)

سَأعْتِبُ خُلاني وأعْذِرُ صاحبي   بما غَلَبَتْهُ النَّفْسُ والغُلوَاءُ

---

(١) ابن عاشور، الديوان،ج١، ص ١٠٩، الغرماء: وهو المسيء وصاحب الذنب.
(٢) مرجع سابق، ج١،ص ١٤٩. ذكرالحديث العجلوني في كتابه "كشف الخفاء"٢١٥/١ صحيح الجامع الصغير، الشيخ الألباني٤٦١/١ حديث رقم(٢٣٢٨) .
(٣) مرجع سابق، ج١، ص١٢٢. القدح: الذم.
(٤) مرجع سابق، ج١، ص ٣٠٩.

فهذا البيت من معنى قول لجعفر بن محمد: "التمس لأخيك سبعين عذرا"، في العذّر للأخوان وعدم معاتبتهم وحسن الظَّنَّ بهم، أخرج الإمام البيهقي بسنده في شُعَب الإيمان إلى جعفر بن محمد قال:" إذا بلغك عن أخيك الشيء تنكره فالتمس له عذرا واحدا إلى سبعين عذرا، فإن أصبته، وإلا، قل لعل له عذرا لا أعرفه" وأخرجه ابن عساكر بسنده..

كذلك قوله في قصيدة(خذ من صديقك غير متعبه) : (١)

خُذْ مِنْ صديقكَ غَيْرَ مُتْعِبِهِ **إنَّ الْجَوادَ يَؤُودُهُ تَعبُهْ**

وأنشد أيضاً : (٢)

فاعْذِرْ أخاك ودَعْ ملامتَهُ **إنَّ الملام يَزِيدُهُ تَعَبا**

ذكر بشار العديد من الأبيات التي تشير إلى الصَّداقة وأهميَّتُها، وكيَّفيَّة الحفاظ عليها، وعدم الشَّحْن والبغْضاء بين الأخوة والأصحاب وتقديم النَّصح لبعضهم البعض، وله قصيدة مشهورة في هذا الجانبْ يطلق عليها (النصح للأصحاب)، ذكرها في ديوانه تحمل في طيَّاتها الكثير من معاني الأخوة، وحقوقهم بين بعضهم البعض.

كما تطرَّق الشاعر إلى محاسبة النفس عند الزّلات في قصيدته (راجعت نفسي) يقول في إحدى أبياتُها: (٣)

وراجعَتْ نفْسي حجاها عُقْبا **فالْحمدُ لله الّذي أهبَّا**

ومن الصفات الإسلامية الحميدة التي كان يتحلى بها رسولنا الكريم– صلى الله عليه وسلم–، الشورى والأخذ برأي الجماعة وقد ذكرت بالقرآن الكريم، يقول تعالى: {وأمرُهمْ شورى بينهم} [سورة الشورى: ٣٨].وهي منْ الأمور التي تطرَّق لها بشار في ديوانه : (٤)

إنَّ البَغيضِ إلينا لا نُطالِبُهُ **يتجلَّى عنْ باطلٍ مكْذُوب**

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج١،ص ٢٥٢.
(٢) مرجع سابق، ج١، ص ١٧٥.
(٣) مرجع سابق، ج١، ص ١٣٧.، أهبَّ : نبَّه.
(٤) مرجع سابق، ج١، ص ١٩٧.

"وقال الأصمعي قلت لبشّار: يا أبا معاذ إنَّ الناس يَعْجبون منْ أبياتكْ في المشُورةِ، قال لي: يا أبا سعيد، إن المُشاوِرَ بين صوابٍ يفوزُ بثمرته أو خطأٍ يُشارِكُ في مكروهة، فقلت له: أنت والله في قولكَ هذا أشْعرُ منكَ في شعركْ"(١).

ومن القيم الأخلاقية التي تراعي تهذيب النفس البشرية التي حثّ عليها الإسلام كسلوك مستقيم، قيمة الصدق والأمانة فإنَّها لمْ تَغيبْ عنْ ديوان الشاعر، ينشد بها قائلاً: (٢)

الصَّدقُ أفْضلُ ما حضرتَ به　　　ولربُمَا ضرَّ الفتى كذبُه

ومن الأخلاق التي دعا الإسلام إلى تجنبها والبعد عنها الغيبة والنَّميمة، فقد نزَّه نفسه بشار منها، بلْ إنَّه يمْنعْ كلُّ منْ يغتاب أمامه، وقد ذكر ذلك في ديوانه : (٣)

لَعمْري لَقدْ هَذَّبْت قوْلي ولم أدَعْ　　　مَقالاً لِمُغْتَابٍ وَدعْوى لِمَنْ لَحا

أمَّا حديث الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم :" مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم: مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَرِ والحُمِّى" [أخرجه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير]

يأكِّدهُ الشاعر في قصيدة (الأرجوزة)، حيث يذكر أنَّ مساعدة الأخْ لأخيه وحمله عند إصابته بأذى أو سقمْ، قائلاً : (٤)

حَمَلْتُهُ في رُقعةٍ منْ جِلْدي　　　صَبْراً وتنْزيهاً لِما يُؤَدّي

ونحن ندرك أن العصر العباسي، عصر انتصارات الفرس على العرب وجدنا شعوره بالعصبية القبلية يتحوّل إلى شعور جديد بالعصبية الجنسية، فإذا هو يفاخر العرب بماضي قومه التليد ويتحول شعوبياً مارقاً يتغنى بأمجاد قومه الحضارية كافراً بالعرب والعروبة والإسلام.

أضف إلى ذلك أن غير العرب لما دخلوا الإسلام حملوا معهم أساليب تفكيرهم واحتفظوا بعاداتهم في الجدال وأخذوا يتساءلون عن كثير مما في الإسلام من فروض وأحكام أو من عقائد، أراد كثير من المسلمين أن يحكموا في أمور الدين بعقولهم، فنشأ ما سُمي في تاريخ الفلسفة

---

(١) الأصفهاني،الأغاني، ص ١٥٨.
(٢) ابن عاشور، الديوان،ج٤،ص ٢٣.
(٣) مرجع سابق، ج٤، ص ٣١.
(٤) مرجع سابق، ج٤، ص ٤٤.

الإسلامية باسم (الاعتزال) حركة فكرية ازدهرت في العصر العباسي وتقوم هذه الحركة على الفكرة القائلة:" إذا اختلف العقل والنقل (يعني الأخبار الدينية) في شأن من شؤون الاعتقاد فيجب أن نتبع العقل"، (١) وظهرت في هذا العصر حركات فكرية حرة أنكرها رجال الفقه في الإسلام، كما أنكرها رجال الدين من غير الإسلام، فكان هؤلاء كلما أبصروا رجلاً يتهاون في شأن من شؤون الدين أو يتساءل عن عقيدة من عقائد عدوه (زنديقاً) وأغروا الدولة بقتله أو إبعاده أو حبسه على أن تهمه الزندقة في ذلك الحين كانت وسيلة للتخلّص من الخصوم لا للدفاع عن الدين(٢). وبشار في خضم هذا العصر كان يتموّج بين أطرافه هنا وهناك ومع ذلك كانت له مرجعية ثانية، كما قلنا وهي القرآن حتى أنه أخذ معاني القرآن واستخدمها في الهجاء في إشعاره حيث قال (٣):

ولقد قلتُ إذا أطلَّ على القومِ	**ثقيلٌ يُربي على ثهلانِ**
ربما يثقلُ الجليسُ، وإنْ كا	**نَ خفيفاً في كفةِ الميزانِ**
كيفَ لا تحملُ الأمانةَ أرضٌ	**حملتْ فوقها أبا سُفيانِ**

فبعد أن ذكر بشار أن هذا المهجو أثقل من جبل ثهلان وأنه وتد (أثبت) في الأرض كسائر الجبال التي جعلت للأرض رواسي لا تميل ولا تضرب، كما قال الله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} (الأحزاب،٧٢) (٤).

واعتقد أن بشارًا قد غيّر في الشعر تغييراً كبيراً، وأشده كان في النواحي التي لامست حياة الشاعر ملامسة مباشرة، فقد كان معتزلياً متكلماً، وكان من القائلين بالدهر، وكان من المتأثرين بالمذاهب المختلفة فطبعت هذه العناصر الفكرية أسلوبه الشعري بطابع الحكمة والجدل والتكامل.

---

(١) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي، ص ٢٠٢.
(٢) عطوان، حسين، الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، بيروت، دار الجيل، ص ٤٥، فروخ، عمر، بشار بن برد، ص ١١٣.
(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ١٨٧، ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ١٩٨.
(٣) ضيف،شوقي،تاريخ الأدب العربي،العصر العباسي،ص٢٠٢.
(٤)عطوان، حسين، الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، بيروت :دار الجيل.،ص٤٥ .فروخ، بشار بن برد، ص ١١٣.
(٥) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ١٨٧.

إنه قد استقى ثقافته من مرجعية إسلامية وقد تجلّى أثر النصوص الدينية واضحًا في مجموع بشار الشعري من خلال تناصه مع القرآن والأحاديث النبوية الشريفة ليعطي شعره بعدًا تفضيلياً من حيث المصداقية والقوة والتأثير.

المرجعية الفارسية:

برزت نزعة الشعوبية في الأدب العباسي في عصريه الأول والثاني (١٣٢هـ- ٦٥٦هـ) وهي كلمة منسوبة الى الشعوب الاجنبية خصوصاً، وكانت تقوم على مفاخرة الأقوام الأجنبية للعرب من الفرس وغيرهم، منوهين بما كان لهم من فضل في العلوم والآداب والفنون والعمارة.

والملاحظ أنّ الشعوبية في العصر العباسي قامت على أسلوب انفعالي، وهي حركة غير مستقرة في نفوس الشعراء من ذوي الأصول الفارسية خصوصاً، كبشار بن برد كما أن هذه الحركة كانت أدبية – سياسية غير عسكرية.

وعلينا أن نتحرّى أسباب تأثر بشار بالحضارة الفارسية بوصفه من شعرائها القائلين بالإسلام من دون جبر أو قوة [١].

الصراع الحضاري بين الفرس والعرب

الصراع الحضاري بين الفرس والعرب في مختلف صنوف الحياة العقلية والمادية والروحية، وتأثر الحضارة العربية بالحضارة الفارسية وتأثر الحضارة الفارسية بالحضارة العربية في الأدب وفي العلوم والمعارف الأخرى والامتزاج الحضاري الذي كان على أشده في الولاء أو التوالد أو السياسة، وكان من نتيجة هذا الاختلاط والامتزاج وما نشأ فيه من اضطراب ظهور الحركة الشعوبية في الأدب ومنه الشعر وفي الأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية [٢].

لقد كان بشار شخصية قلقة لا تستقر على حال في هذا العصر الذي يضجّ بمختلف الصراعات بعضها إيجابي وآخر سلبي وكان بشار صورة لهذه الصراعات في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

(١) ضيف شوقي، تاريخ الادب العربي في العصر العباسي الأول (ص٧٥-٩١).
(٢) طه حسين،حديث الاربعاء، ح ٢، ص٦٩.

كان بشار يفاخر بأنه نشأ في جحور ثمانين شيخاً من فصحاء بني عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ واشتد طموحه إلى إتقان العربية فيمّم نحو البادية، فأقام فيها فترة مكّنت له عربية في لسانه وفقهه الدقيق باللغة وشؤون البادية[١].

الصراع النفسي عند بشار صراع حضاري، فلبشار وجهة نظر حول الحكم العباسي، فقد كان يميل إلى أبناء جلدته لأنه يرى أن الحكم العباسي لا يؤمن بالتسوية بين العرب والأعاجم، وعلى هذا الأساس كان مؤيداً للعلويين.

وكان بشار يحضر مجالس المعتزلة ويستمع إلى محاورات واصل بن عطاء مع من يعتنقون مذاهب الثنوية والمجوسية والدهرية الهندية،إن حضوره هذه المجالس لم يكن إلا للتزود بالثقافة لكي يبعد عن نفسه ما يلحق به من اخطار فهو ليس بعالم دين كغيره من المعتزلة، لقد بانت على لسانه ثقافة الفرس كقوله : [٢].

الأرضُ مظلمةٌ والنارُ مُشرقةٌ   والنارُ معبودةٌ مذّ كانتِ النارُ

وقوله: [٣].

إبليسُ أفضلُ من أبيكم آدمُ   فتَنبهوا يا معشَر الفجارِ

إبليس من نارٍ وآدم طينةٌ   والطينُ لا يَسمو سُمو النارِ

لاحظ شطر البيت الأول (فتنبهوا يا معشر الفجار) ولم يقل يا معشر المسلمين أو العرب.

مواقف ينتصر بها إلى أصله الأعجمي(الفارسي)

فمن المواقف المشهورة التي تعرَّض لها بشار بن برد، موقفه مع المهدي عندما سأله، قائلاً: "فيمن تعتد يا بشار؟

فقال : أمَّا اللسان والزّي فعربيان. وأمَّا الأصل فعجمي "[٤].

---

(١) ضيف شوقي، تاريخ الادب العربي في العصر العباسي الاول، ص ٢٠٢.
(٢) مرجع سابق، ص ٢٠٣.ابن عاشور،الديوان،ج١،ص٢٤.
(٣) الاصفهاني، الأغاني، ج٣، ص٧٠. ابن عاشور،الديوان،ج١،ص٢٤.
(٤) مرجع سابق، ج٣، ص ٩٥.

ثمَّ أنشد يقول: [١].

ألا أيها السائِلي جاهداً ليعرفَني أنا أنفُ الكرمِ

نَمَت في الكرامِ بني عامرِ فروعي، وأصْلي قريشُ العجمِ

وقد سأل المهدي بشارًا "من أيِّ العجمْ أنت ؟ فقال: من أكثرها في الفُرسان، وأدهها على الأقران، أهل طُخَارُستان ، فقال :بعضُ. فقال بعضُ القوم : أولئك الصُّغْدُ، فقلت: لا، الَّصُّغْدُ تِجارٌ، فلم يردُدْ ذلك المهدي"[٢].

ومن الأبيات التي يفتخر فيها بشار بن برد، مدح وذكر قبيلته التي ينتسب إليها في بلاد فارس وهي الحمراء وهي قبيلة مشهورة من قبائل العجم يذكر، قائلاً : [٣].

أحينَ أشارتْ بي الأكفُّ مُعيدةً وحقَّتْ بي الْحمْراء خرْقاً مُعصَّبا

ومن الألفاظ الأعجمية التي كان يستخدمها الشاعر في شعره، على سبيل المثال وليس الحصر كلمة (لِبَفزول) وهي كلمة محرّفة عن الفارسية كما ذكر مهدي محمد ناصر الدين، في تحقيقه للديوان[٤].ويقول: [٥]

سحرْتُ ريفاً لبفزول فدامجه إذْ ألَّفتْ فيه بيْن الشَّاةِ والذّيب.

واستخدامه أيْضاً كلمة(القنديد) وهي فارسية الأصل وتعني، عسل قصبْ السكر. [٦]

وكأنَّها شربتْ سُلافة بابلِ بالسَّاهريَّة خالطتْ قِنْديدا.

وكلمة (مرازبة) أيضاً، وهو الرئيس بلغة الفرس. [٧]

ومُرفَّلين على العشيرةِ أصْبحوا سبْقاً مرازبة العراق قُعُودا.

---

(١)الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ٩٥. ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص١٥٦.
(٢) مرجع سابق، ج٣، ص ١٣٨. ابن عاشور،الديوان،ج١،ص٢٤٦.
(٣) مرجع سابق ،ج٣، ص ١٠٨.
(٤) مرجع سابق، ص ١١٨.
(٥) مرجع سابق، ص ١١٨. ابن عاشور،الديوان،ج٢،ص٢٦٢.
(٦) مرجع سابق، ج٣، ص ١٣٨، ابن عاشور، الديوان، ج٢، ص٣٢٧.
(٧) مرجع سابق ، ص ٣٤٤، ابن عاشور، الديوان، ج٢، ص٣٣٤.

أمَّا في قصيدته المشهورة (موتُ الفجاءة) التي امتدح فيها بشار الخليفة مروان بن محمد، في أثناء حكم بني أميَّة، ذكر بشار فيها أحد الأبيات، وهي التي تكشف لنا شعوبيَّته المخفيَّة، وذلك عندما ذكر أنَّ الخليفة هزم أكبر القبائل العربية، وهي كلب وقحطان والمواقع التي هزمهم فيها وهي جبل باهلة وجبل وطيىء، وهي مؤشر لنا أنَّ بشار يكره القبائل العربية بصفةٍ عامة، ولكن لم يظهر ذلك للعوام، خوفًا من حكم الأمويين، وقدْ يكون سبب لقطع باب رزقه في التَّكسَّبْ منْ وراء شعره.

يذكر قائلاً : [١].

تركْنا بهِ كلْباً وقحْطان تبْتغي مُجيراً من القتْل المُطلِّ مقانُبُهْ

كما ذكر بشار بن برد في شعره يومًا مقدَّسًا عند العجم ، وهو (الشمرج) وهو يوم دفع كانوا يستخرجون فيه المال ثلاث مرَّات في السنة. [٢]

ولمَّا رأيت النَّاس تهْوى قلُوبُهُمْ إلى ملَكٍ يُجْبى إليْه الشَّمرَّجُ.

ومن الأبيات التي مدح فيها بشار بن برد قومه من بني فرس والخراسان، قوله: [٣].

دون الخليفةِ منَّا ظلٌّ مأسدَةٍ ومنْ خُراسان جُنْدٌ بَعْد أجْناد

لله درهم جُنْدًا إذا حمِسُوا وشبَّتِ الْحرْبُ نارًا بعْد إخْمَادِ

تطرّق بشار بن برد في شعره إلى ضرب الأمثال بعدد من الشَّخصيات الفارسية، ومنْ هذه الشَّخصيات، المقنّعْ وهي لقب لثور بن عميرة الكندي، سبق وأنْ ظهر في خراسان وادعى الألوهية وتبعه الكثير من الناس[٤].

مثْل الْمقنَّع في ضرْبٍ لهُ سلفُوا أذباح أصْيد للأبْطال صيَّادِ

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج١، ص ٣٢١.
(٢) مرجع سابق ، ج٢، ٨٤.
(٣) مرجع سابق ، ج٢ ص ٣٠٣.
(٤) مرجع سابق ، ج٢ ص ٣٠٦.

وفي قصيدة (بيت الأجر والحمد) وهي التي كتبها بشار بن برد في خالد بن جبلة بن عبدالرحمن الباهلي، الذي قصده الشاعر إلى بلاد فارس،ومدحه بهذه القصيدة(١):

أخالدُ لمْ أخبطْ إليْكَ بنعْمةٍ   سِوى أنّني عافٍ وأنْتَ جَوادُ

فإنْ تُعْطني أفْرغْ إليْكَ محامدي   وإنْ تأب لا يُضْرَبْ عليْكَ سِدادُ.

وهناك بعض الأبيات التي يفتخر الشاعر بأصله الفارسي، وملوك العجم فيها، ويعتز بأنّه أحد أبناء هؤلاء الملوك. (٢).

أنّا ابْنُ مُلُوكِ الأعْجمينَ تقطَّعتْ   عليَّ ولي في العامَرين عِمادُ

أمَّا في قصيدة (ابن الفارسية) فقد هجا بشار سيبويه، لإلقاء عليه التهم من غير وجه حق، ولأن بشار عليه مآخذ في اللغة، ولانتماء سيبويه للمدرسة البصرة في العراق. (٣)

أسبْويه يا بن الفارسيّة ما الذي   تحدثْتَ عن شتمي وما كُنتَ تنْبذُ

أظلتَ تغنيّ سادرًا في مساءتي   وأمّك بالمصرين تعطِي وتأخذُ.

يفتخر الشاعر بأمّه وأبيه، وبأخصْ طخارستان في بلاد فارس. (٤).

أنَا ابْنُ الأكْرمينَ أباً و أمَّا   تنَازعَني المَرَازبُ منْ طُخارِ

وفي قصيدة (يا أيها السائل عني باكرًا)، يعرِّف بشار عن نفسه وكأنَّ وجِّه له سؤال من أنت ؟ (٥)

أبي خُراسانُ وأدْعُو عَامِرَا   أكرم حَيٍّ أولاً وآخرا.

وكأنَّ بشار يوضِّحْ للسائل أنَّ جدَّه من خُرسان، وأنّه منْ أصل فارسي، لكنّي ولدت وترعرعت بين العرب، وكأنّه مجبورٌ على هذا الأمر، أو أنَّ الأقدار هي التي أرادت ذلك، والدليل تعريف نفسه بأصله الفارسي قبل نشأته العربية.

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج٣، ص ٤٧.
(٢) مرجع سابق ، ج٣، ص ١٠٥.
(٣) مرجع سابق ، ج٢، ص ٤٧، المصرين الكوفة والبصرة.
(٤) مرجع سابق ، ج٣، ص٢٢٩، المرازب: هو السيد في قومه والمرزبان فارسية معربة.
(٥) مرجع سابق ، ج١، ص ٤.

كثيراً ما ينْسب بشار نفسه للفرس، بل ويعتبر نفسه سليل الفرس، وينحدر من عائلة فارسية شريفة، في قوله : (١)

ما فرْخُ مُعْلجةٍ كنجْلِ متوَجِ   هيْهاتَ ذا ملِكٌ وذا ناطُورُ.

أمَّا بلاد الفرس بنظر بشار فهي أعلى القمم والدُّرى ولها الرفعة والمجد دائمًا. (٢).

منْ خراسان وبيْتي في الذَّرى   ولدى المسْعاةِ فرْعي قدْ سَبق

ويذكرُ أيضاً أنَّه منْ أصلٍ كريم. (٣).

وإنِّي لمنْ قوْم خُراسان دارُهُمْ   كِرام ، وفرْعي فيهِمُ ناظِرٌ بَسَقْ

وفي قصيدة (نعم أو لا) يذكر الشاعر المعنى نفسه، وما أراد منْ مدح لأصوله الفارسية، بعد ذكرَهُ أنَّه قد ترعْرع بين العربْ. (٤).

نَمَت في الكرامِ بني عامرٍ   فروعي وأصْلي قُريْشُ العجمْ

وهناك العديد من الأبيات التي يفتخر فيها الشاعر بأصله ونسبه الفارسي، ومنها قصيدة، يقول فيها: (٥).

هل من رسولٍ مخبرٍ   عنّي جميع العرب

من كان حيّاَ منهمُ   ومن ثوى في التُّربِ

بأنني ذو حسبٍ   عالٍ على ذي الحسبِ

جدّي الَّذي أسمو بهِ   كِسْرى ، وساسانُ أبي

وقيصرٌ خالي إذا   عددتُ يوماً نسبى

كَم لي وكَم لي من   أبٍ بتاجِهِ معتصبِ

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج٣، ص ٢٩٦.
(٢) مرجع سابق ،ج٤، ص١١٥.
(٣) مرجع سابق، ج٤، ص١١٥.
(٤) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ٩٥. ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص١٥٧.
(٥) ابن عاشور، الديوان، ج١، ص٣٧٧. الهبانيق: الوصيف

أشوسَ في مجلسهِ **يجثى له بالركب**

مُستفضلٌ في فنكٍ **وقائمٌ في الحجُبِ**

يسعى الهبانيقُ لهُ **بآنياتِ الذّهبِ**

هذه كانت مجموعة من الأبيات التي يفتخر الشاعر بهويته الفارسية.ومن المعروف أن بشار بن برد كان فارسيًا ويفتخر بخؤولته الروم.

وهناك مجموعة من الأبيات يعترض الشاعر على الهوية العربية الجاهلية، وهي التي يستصغر الشاعر من قدرها، فيقول[١]. ويفتخر بوالده كريم، صاحب عزّ، لم يعتد ما اعتاد الناس عليه.

لم يُسق أقطابَ سِقِىَ **يشربها في العُلبِ**

ولاحدا قطٌّ أبي **خلف بعيرٍ جَربِ**

ولا أتى عُرفطةً **يخبطُها بالخشب**

ولاشَوَينا ورلا **مُنضنِضاً بالذّنبِ**

ولا تقصَّعتُ ولا **أكلتُ ضَبَّ الحِزَبِ**

ولا اصطلى قطٌّ **أبي مُفحِّجًا للّهبِ**

ولم بايد نَمَيا **ولا هوى للنُصُبِ**

أمَّا الأبيات القادمة يفتخر الشاعر فيها بالاعتداد بدور الفرس في الإسلام والدين ومن خلال إنجازاتهم في الدولة العبَّاسية ،والرفع من قدر الموالي في الإسلام. ويشير إلى اشتداد الدعوة العباسية سنة (١٠٩هــ)بخراسان على يد رجل من بلخ حيث اتخذت بلخ بعدها إمارة لخرسان ونقلت إليها الدواوين[٢]، والمعنى أن العباس كان حاملاً الراية،يحثُّ الناس على مناصرة النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج١، ص ٣٧٧.
(٢) مرجع سابق ، ج١، ص ٣٧٨.

كلا ولا كان أبي يركبُ شرجي قتبِ

إنَّا ملوكٌ لم نزَل في سالفاتِ الحقب

نحن جلبنا الخيلَ من بلْخِ بغير الكذبِ

حتى سقيناها وما نبدهُ نهريْ حَلبِ

حتَى إذا ما دوخت بالشَّام أرض الصُّلُب

سِرنا إلى مِصرَ بها في جحفلٍ ذي لجبِ

حتى استلمنا مُلكها بمُلكنا المُستَلبِ

وجادت الخيلُ بنا طنجةَ ذات العجبِ

حتى ردَدَنا المُلك في أهل النبَي العربي

يهْزُ أبا الفضلِ بها أولى قُريشٍ بالنَبي

من ذا الذي عادى الهُدى والدَين لم يُستلب؟

وَمن ومَن عاندُه أو جار لم يُنتهبِ

نغضبُ لله وللـــــ إسلام أسرى الغضب

يقال أنَّ هنالك رجِلٌ منْ بني زيد، قال لبشار: يا بشار قد أفسدت علينا موالينا تطلب منهم إبعادنا عن بلادنا والَرجوع لأصولهم، وأنت رجلٌ لا معروف الأصل، ولا طيب النَّسبْ، فقال بشار : والله لأصلي أكرمْ من الدّهب وأفضل من نسبك، فأنْشد بشار قائلاً:

بلوْت بني زيد فما في كبارهمْ حُلوم ولا في الأصغرين مُطهَّر(١)

أقول إن بشارًا يخرج في هذه القصيدة السابقة من قيود العرب وممارساتهم مع الموالي والتقليل من قيمتهم وقدرهم، وطريقة غير للائقة معهم، ويظهر ذلك من خروج الشاعر من حدود

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ٧١.

الموالي المتمثلة في الخضوع للعرب ورفض التبعية لهم إلى الاتصال بالرموز الفارسية، وكان ذلك بسبب شعور الشاعر المرير بما أصيب به في الدولة الأمويَّة، والضيم والقهر الذي لحق به من هذه الدولة.

وهنا يعلن الشاعر أمام العرب أنه لا يربطه شيء بالعرب وثقافتهم، كما استخدم التمرّد والشجاعة في هذه الإعلان وكأنَّه يقول لا شيء يخيفني، وهذا يعود إلى مدى الاضطهاد الذي واجهه الشاعر.

ولعّل هذا التمَّردْ والافتخار عزز من ثقة الشاعر بنفسه، وعدم الالتفات لغيره من المُخاطبين من العرب، بل هو استهانه بهم والاستخفاف بدورهم، وهذا بحد ذاته هو تشجيع ودعوة لجميع العناصر الفارسية إلى التمرّد وعدم الخنوع للعرب.

وهناك من الشعر، يظهر فيه الشاعر بافتخاره بنسبه، وافتخاره بأجداده من الفرس، وأنَّهم أفضل نسب. (١)

بأنني ذو حسبٍ	**عالٍ على ذي الحسبِ.**

ويتَّضح من هذا البيت أنَّ بشارًا لا يسعى إلى الافتخار بنسبه فقط، بل النيّل من الثقافة العربية التي ليس لها صلة بالعدل والمساواة، عندما صَّغرت الموالي وحقَّرتهُمْ وانتقصت من شأنهم الاجتماعي، لهذا قام بشار بهجاء الموالي الذين يدَّعون النسب العربي، لنفي صفة الموالي اللاحقة بهم، كذلك السعي إلى تفكيك الهوية العربية: (٢).

هُمْ قعدوا، فانتقموا لهم حسباً	**يدخلُ بعدَ العشاءِ في العَربِ**
حتّى إذا ما الصباحُ لاحَ لهُم	**بيَّن ستَوقهُم من الذهبِ**
والناسُ قد أصبحوا صيارفةً	**أعلمُ شيءٍ بزائفِ الحسبِ**

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج١، ص٣٧٧.

(٢) مرجع سابق ، ج٤، ص٢٦. الحاجري، طه (١٩٧٦)، بشار بن برد، مصر: دار المعارف، سلسلة توابع الفكر العربي.، ص ٥٥.

يذكر بشار أنَّ دين الإسلام ، دينٌ لا يحتوي على المفارقة بين البعض، فهو دين مساواة، فهو دين الجميع، ولا يفرق بين شخص وآخر إلا بالتقوى، على عكس العرب التي تكون المفاضلة بالعرق والنسب، فهي من عادات الجاهلية، والولاء يجب أنْ يكون لدين الإسلام وليس لغيره. (١)

أصبحتُ مَولى ذي الجلالِ وبعضّهم   **مَولى العُريب فجدْ بفضلِك وافخرِ**

مولاكَ أكرمُ من تميمٍ كلّها   **أهلُ الفَعالِ ومن قُريش المشْعرِ**

يسعى بشار إلى البحث وحشد الأدّلة التي تثبت تخلّف العرب، وتأثير هذا التخلف على الأمّة العربية، وذلك لجعل الفرس هم أهل الثقافة والنسب والحسب، يقول مخاطبًا أحد الأعراب:(٢)

سأُخبرُ فاخِرِ الأعراب عنَي   **وعنه حين بارز للفَخَارِ.**

أحين لُبست بعد العُرى خزًّا   **ونادمت الكرام على العُقارِ**

تُفاخرُ يا بن راعيةٍ وراعٍ   **بني الأحرار حسبُكَ من خسارِ**

وكنت إذا ظمئت إلى قراحٍ   **شركتَ الكلبَ في ذاك الإطارِ**

وتدلجُ للقنافدِ تدّريها   **ويُنسيك المكارمَ صيدُ فارِ**

مُقامُك بيننا دَنَسٌ علينا   **فليتك غائبٌ في حرِّ نارِ**

وفخرُك بين يربوعٍ وضبٍ   **على مثلي من الحدثِ الكُبارِ**

إن حضور الكلب والخنزير في البيت الأخير، هي رغبة شغوفة وصارمة من الشاعر في التحقير والتشويه للذات العربية وثقافتها. ويقول الجاحظ في كتابه البيان والتبين "له مديح كثيرٌ في فرسان أهلِ خُرسان ورجالاتهم، وهو الذي يقول: (٣).

من خُراسان وبيتي في الدُّرى   ولدى المسعاة فرعي قد سَبَق

---

(١) ابن عاشور ، ديوان بشار، ج٤،ص٦٢. الأغاني، ج٣، ص ١٣٩.
(٢) مرجع سابق ، ج٣، ص ٢٢٩– ٢٣٠.
(٣) مرجع سابق ، ج٤، ص١١٥.

وقد كان بشار يفتخر بشعره، ولا يرى أنَّ هناك وجه مقارنه بين شعره وشعر العرب، وفي موقفه مع عقبة، حين امتدح عقبة بن سلْم، فقال: والله أرجزُ منك ومن أبي وكل وجدّك فأنشد بشار في أرجوزته، لعقبة بن سلم: [١].

يا طلل الحيِّ بذاتِ الصَّمْدِ   بالله حدِّث كيف كُنتَ بعْدى

يذكر طه حسين في حديث الأربعاء عن بشار بن برد "كان فارسيًّا في أهوائه وميوله الفارسية، فلم يكن يحب العرب، ولا يرتاح إليهم، وإنما كان يحتملهم احتمالاً، وكان ينكر الولاء، ويحث الموالي على أن ينكروه، وكان يرى أن الفرس ليسوا أقل كرامة ولا شرفاً ولاحرية من العرب، ولم يكن يكره أن ينتسب إلى آبائه من الفرس، وربما فاخر بنسبه الفارسي"[٢].

أمَّا محمد نويهي يذكر مدافعاً عن بشار: "لوعاش بشار لا في الوقت الذي كان يضطهد به العرب الموالي، بل في الوقت الذي انحدر فيه الجنس العربي وزال سلطانه على الدولة الإسلامية، فحققت المساواة بين الأجناس المختلفة التي عاشت فيها، مع نوع من الغلبة للجنس الفارسي، وفي الوقت الذي كان فيه الناس أرحب صدْراً وتشكك ذوي الشكوك". يتَضح لنا من حديث النويهي عن بشار، ليس بمقام المدافع بل بدور المبرّر عن ما حصل لبشار، حيث يلقي اللّوم على العوامل البيئية وهي التي ألقت ببشار إلى ذلك[٣].

ومن خلال ما تقدّم، نرى أن بشارًا كان شخصية قلقة غير مستقرة على دين تتجاذبه الصراعات الحضارية، من صراع بين حضارة فارسية قديمة إلى حضارة عربية إسلامية، وقد بانت على لسانه أثر الثقافة الفارسية والعربية – الإسلامية وامتزجت في نفسيته آراؤه غير المستقرة تجاه الحكم الاموي والعباسي، واتجاه إسرافه في الغزل الفاحش ومقتل بشار لا تجرده الرواية من إسلامه وزندقته مما يدّل على اختلاف وجهات النظر حول شخصيته[٤].

أن بشاراً قد مَثَّل الثقافة الفارسية القديمة من تفضيل إبليس على آدم لأن الأول مخلوق من نار والثاني مخلوق من طين وأخذ يناظر المعتزلة على تفضيل النار على الطين مما جعلهم يعددون مزايا الأرض على النار والرواية الأخرى عن مقتله تقول بأنه زنديق. وأن من مظاهر الحضارة الفارسية اللهو والإباحة والمجون ومجالس الشرب وما إلى ذلك من تحلل عرفه المجتمع

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ص٤٩، ابن عاشور، الديوان، ج٢، ص ٢١٩.
(٢) حسين، طه، حديث الأربعاء، ، ج٢، ص١٩٣.
(٣) النويهي، محمد الدسوقي، شخصية بشار، ١٧٢.
(٤) ضيف شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص١٠٠.

الساساني، ولعل الحضارة العربية في العصر العباسي الأول كانت قد تأثرت في هذا المجون بالحضارة الفارسية التي تسرّبت إليها عن طريق الامتزاج بالعنصر الفارسي وكثرته في مجتمع العصر العباسي الأول خاصة. أن بلاد فارس كانت منذ القديم الحقل الكبير للعقائد والديانات والمذاهب التي عرفت بالغلو والمغالاة وإباحة المحرمات، وما إلى ذلك من الفساد الأخلاقي والفكري والعقائدي. وليت الأمر اقتصر على بلاد فارس(١).

إن الشعراء الذين فتنوا بتلك الحياة وغرقوا في المجون هم من الفرس الذين ظلوا متأثرين بحضارة قومهم، وحرصوا على نقلها إلى الحياة العربية لما فيها من فساد فكري وعقدي وأخلاقي يلائم أهواءهم وعقائدهم، فضلاً عن أن ذلك كان الجسر الذي عبروا عليه لتحقيق غاياتهم في الهدم والنيل من العرب(٢).

أن الفرس ولاسيما الذين ظلوا متأثرين بعقائد المجوس وأفكارهم ودياناتهم القديمة هم وراء ذلك الفسق والفجور والتهتك والمجون كلّه، سواء كان ذلك بتأثير عقائدهم وأفكارهم الهدامة أو بتأثير عاداتهم وتقاليدهم السيئة التي انتشرت انتشارًا واسعًا في العصر العباسي.

هذا فضلاً عن أن الشعراء المجان جميعا أمثال: وبشار بن برد وحماد عجرد وغيرهم، هم من غير العرب والذين كانوا متهمين في دينهم ومتهمين بتهمة الزندقة والشعوبية، مما يؤكد أن مجونهم كان بتأثير تلك الأفكار الهدامة والعقائد المنحرفة.

لجأ بشار إلى المجاهرة بالتفاخر بأصوله الفارسية من خلال التحدّي لإعلان إصراره على الخروج من إطار صورة الموالي النمطية، ورفض منطق الوصاية الاجتماعية المتمثلة في الولاء العربي، فالشعر بشار يصدر عن رغبة حادة بما رفض التبعية الثقافية، وإعلان انفصاله عن الرموز العربية واتصاله بالرموز الفارسية.

إن رغبة بشار في إسماع صوته جميع العرب، وإخبارهم بموقفه الثقافي يكشف عن موقف مليء بالتمرّد من جهة وعن إحساس مرير بالاضطهاد من جهة أخرى. فبشار لا يريد توكيد شعوبيته وانفصاله عن العرب ثقافياً فحسب بل أنه يسعى إلى إخبار العرب بهذا الانفصال(٣).

---

(١) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص٧٠.
(٢) الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ب،ت)، الشعر والشعراء في العصر العباسي، تحقيق أحمد محمد شاكر، ص ١٧١.
(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ٩٥.

إن افتخار بشار بالفرس وانتمائه إلى حضارتهم يشير إلى أن بشارًا لا يسعى إلى مساجلة العرب مساجلة مريرة فحسب، بل أنه يسعى إلى تحريض الفرس والعناصر الفارسية على التّمرد، وتأليبها على مواجهة الهوية العربية المتعالية عن طريق دفعها إلى الانحياز إلى الهوية الفارسية المتميّزة حضارياً[١] كما أنه سعى إلى توكيد حقيقة سمو العرق الفارسي[٢].

وتمرّد بشار ومجاهرته بهويته وصنعه في العرب نتج عن تعاظم نفوذ الفرس، وتصاعدهم منزلهم في العصر العباسي في حين أنه كان يفاخر بولائه العربي في العصر الأموي عندما كانت العصبية عربية حين مارس ضرباً من التفاخر بالأحساب، والتعالي العرقي على الموالي كان يدحض التمركّز الثقافي العربي من جهة وينفي عنه الدونية الثقافية المتمثلة في دونيه الحسب من خلال إثبات تفوّق حسب أجداده وآبائه، على حسب العرب. [٣].

بأنني ذو حسبٍ **عالٍ على ذي الحَسَبِ**

فبشار لا يثبت لنفسه حسباً فحسب بل أنه يؤكد رفعة شرف أبائه وأجداده الفرس ليبرهن على سمو منزلته ورفعة نسبه[٤] المستمدة من الواقع من حضور التيجان، وآنيات الذهب، وفراء الحيوانات، وجثو الأشاوس في حضرة ملوك فارس يدّل على رفعة نسب بشار وعراقته، مما يعني أن بشار يثبت لنفسه نسباً تليداً مستمداً من ملوك الفرس العظماء[٥].

من الأشعار السابقة التي وردت كان يسعى بشار إلى توكيد حضارة الفرس وتخلّف حضارة العرب، كان بشار يكشف عن رغبة عارمة في تحقير الذات العربي وتشويه صورتها وتجريدها من إنسانيتها[٦].

الاعتداد بدور الفرس في صناعة حضارة الإسلام، ويفرق بشار بين برد بن العرب والإسلام، فالإسلام دين للجميع ولا يملك أحد الحق في الاستحواذ عليه أو امتلاكه، لذلك قام بشار بحسم مسألة الولاء، حين قال[٧]:

(١) عطوان، حسين، الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، ص ١٦٩-١٧٢.
(٢) التطاوي، عبد الله، القصيدة العباسية، ص ١٦٨.
(٣) عطوان، حسين، الزندقة والشعوبية، ص ١٧٠.ابن عاشور، الديوان، ج١،ص٣٧٧.
(٤) الحاجري، طه، بشار بن برد، ص ٥٥.
(٥) مرجع سابق ، ص٥٦.
(٦) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٢٥٤.
(٧) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص١٣٩. ابن عاشور،ديوان بشار،ج٤،ص٦٢.

أصبحتُ مولى ذي الجلالِ وبعضُهم　　　مولى العُريب فَجد بفضلِكَ وافخرِ

مولاكَ أكرمُ من تميمٍ كلّها　　　أهلُ الفَعال ومن قريشِ المَشْعَر

ويستند بشار إلى جوهر الإسلام الذي يفاضل بين الناس على أساس التقوى، في حين العرب يعتمدون العرق والنسب معياراً للمفاضلة مستندين إلى مفاضلتهم إلى قيم جاهلية تعلي من شأن القبيلة والجماعة.

ورغبة بشار في الانحياز إلى مبدأ التقوى والتمسك به بما يتمخض عنه من العمل ووجوب طاعة الإمام. فإن بشار يفاخر بأن الفرس والخرسانيين هم الذين صنعوا الدولة العباسية ونهضوا بها وقهروا الدولة الأموية التي اغتصبت حق أهل بيت النبي– صلى الله عليه وسلم– بالخلافة، ثم يأتي بشار على إيراد مآثر الفرد في استراد دولة بيت النبي– صلى الله عليه وسلم– فهم الذين سيروا قوافل المقاتلين لتفويض الدولة الأموية ثم نشر الدعوة في مصر وبلاد المغرب(١).

سِرنَا إلى مِصرَ بها　　　في جَحفِلٍ ذي لجبِ

حتى استَلمنا مُلكها　　　بمُلكنا المستلبِ

المرجعية العربيّة

كان العرب يفخرون بالجاهلية ويفخرون بالإسلام. أمّا فخرهم بالإسلام فلا يحتاج إلى دليل، فالقرآن نزل بلغتهم العربية، والنبي الذي نزل عليه كان عربياً منهم، والذين تحمّلوا أعباء الإسلام ونهضوا به وهو ضعيف، وجاهدوا وقاتلوا وقتلوا وتركوا أوطانهم وهاجروا هم العرب. والذين حملوه إلى الأمم الأخرى وقاتلوا وقتلوا عليه حتى أسلمت وتركت ما كانت فيه من دين هم العرب أيضاً.

والحق أنّ العرب لم يكونوا مغالين ولا متزيدين فيما يقولون، ولم يكن فيهم ما يغيظ الآخرين ويحفظهم أو يثير حقدهم، لو بقي ذلك في حدوده ولم يخرج من الاعتزاز إلى التحدّي، ومحاولة سلب الشعوب الأخرى مزاياهم وإنكارها عليهم، وتذكيرهم دائماً بأنهم دونهم .

---

(١) الأغاني، ج٣، ص ٩٧–٩٨. ابن عاشور،الديوان،ج١،ص٣٧٨.

كان العصر الأموي عصر العصبية، بين العرب أنفسهم وبين العرب و الأجناس الأخرى خصوصاً الفرس. وهذه الأجناس على اتصال يومي بالعرب، يرونهم ويعاملونهم في الصباح والمساء، في المدينة وفي الشارع وفي السوق.

تأثر بشار بالبيئة العربية

عاش بشار في البصرة، وكانت حاضرة عربية إسلامية، حافلة بالفقه واللغة والشعر، والقراءات، والأحاديث، والنحو، والرواية، والمنطق، والكلام، فأخذ كثيرًا من علمائها وشعرائها ومتكلميها، واتصل بواصل بن عطاء شيخ المعتزلة وغيره، و كان حاد الذكاء، سريع الحفظ، فنظم الشعر، وهو في العاشرة، لما قام الخليفة المهدي بالخلافة (سنة ١٥٨ هـ/ ٧٧٥م)، قدم عليه بشار، فمدحه، ونال منه كرما وفيراً، ومالاً جزيلاً، وكانت مشكلته اعتداده بنفسه، وزهوه بشاعريته حتى الفجاجة، فهجا وزراء الخليفة، بل وصل إلى مقام الخلافة .[١] ويقول:[٢]

بني أمية هُبوا طالَ نومُكمُ　　　　إن الخلـــــيفةَ يعقوبُ بنُ دَاود

والشاعر، وهو يمدح ويذم ويفخر ويهجو، ليس رجل دين يفكّر في آخرته، بل رجل لسان يقول ما تفرضه عليه المناسبة، وينفث به صدره ويأتي على لسانه في لحظة القول، وقد يصدق فيما يقول وقد لا يتقيّد بحدود الصدق فيزيد أو يبالغ أو يتهم، وقد يرد إلى ذهنه المعنى فلا يتركه أو يختلق واقعة لا أصل لها لكسب المعركة مع شاعر آخر، أو قبيلة أخرى ممّا يراه أوجع لها وأبلغ في أذاها .

وكان العرب وهم يفخرون على بعضهم بأنسابهم، مع وحدة اللغة ووحدة الدار، ومع العروبة التي تجمعهم، لا يرون طبعاً لهؤلاء الأجانب ما يرون أو بعض ما يرون لأنفسهم. فهؤلاء رقيق لا يملكون من أمرهم شيئاً، أخذوا قسراً بحد السيف، إن أحسنوا إليهم فذلك فضل منهم، وإن أساؤوا معاملتهم فهم ملك لهم!

---

(١) الأصفهاني الأغاني ج٢ .نسب ابن أبي عيينة وأخباره ص٧٧ . البكري،سمط الآلي في شرح الآمالي لأبي عبيد البكري، ط ١،لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦ ص٨٠٧ــ ٨٠٨

(٢) ابن عاشور، الديوان، ج٤،ص٤٥.

افتخار بشار بالعربية وعلومها

ومنْ الأبيات التي أنشدها بشار افتخاراً بقوميَّته العربية: [١]

إننّي من بني عقيلٍ بن كعب   موضعُ السيفِ من طُلى الأعناقِ

كان بشار مولى لبني عقيل من بني عامر وحرص على الإفتخار بهم، وهو بهذا ينتسب إلى بني عقيل كقبيلة عربية وينتسب مرة أخرى إلى قيس عيلان وقد افتخر بهم وبموافقهم ويقول:(٢)

وما نلقاهمُ إلا صدَرنا   بَريٍّ منهم وهم حِرارِ

إذا كان كسرى وساسان حاضرين من جهة الأب فإن قيصر يحضر من جهة الأم رغم أن بعضهم قال إن أمه عربية الأصل،ولهذا دلالته، أن بشارًا بين أن المفاهيم النسب العربية قد مارست إكراها على هوية بشار فولّدت في نفسه البحث عن نسب يحتمي به في خضم النفي والطرد.

والنسب مبدأ جوهري في الثقافة العربية إذ أن اعتداد الأفراد بأنسابهم ومفاخرهم بأحسابهم يضمن لهم فاعلية اجتماعية وثقافية،وأراد بشار الاعتداد بهويته الثقافية ونسبه المتميز ليس هذا فحسب بل أن بشارًا يهجو الموالي الذين يدّعون النسب العربي لنفي صفة الموالي اللاحقة بهم.

فبشار لا يستعير نسب ولا يتخذ لنفسه حسبًا زائفًا،إنه يسعى إلى تفكيك مرجعيات الثقافة العربية التي تمايز بين الأفراد على أساس عرقي[٢].

كذلك بيت الشعر عندما سأله المهدي "فيمن تعتد يا بشار؟، فقال (أما اللِسان والزيَ فعربيان. وأما الأصل فعجمي) [٣]وأنشد يقول: "[٤]

ألا أيها السائلي جَاهداً   ليعرفَنِي أنا أنفُ الكرمِ

نَمَت في الكرامِ بني عامرٍ   فُروعِي وأصلِي قريشُ العجمِ

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص١١٨.
(٢) مرجع سابق ، ج١، ص٥.
(٢) الحاجري،طه، بشار بن برد، ص٥٥.
(٣) الأصفهاني،الاغاني، ج٣، ص ٩٥. ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص١٥٧.
(٤) مرجع سابق ، ج٣،ص١١..

صحيح أنَّ بشار قد ذكر في هذا البيت أصله الأعجمي، لكن سبق الأصل الثناء والمدح لبني عامر، حيث وصفهم بالكرم والجود.

يذكر أنّ بشارًا كان قوي الذاكرة عالم بعلوم العرب واللغة، ومن الدلائل على قوةُ علمه باللغة العربية، "عن أبي حاتم قال: أنشدت أبا زيد، قول بشار:

أديْسمُ يا بنَ الذئبِ من نسلِ زارعٍ　　　أتَروي هجائِي سادِراً غيرَ مُقصِرِ

فقال: قاتله الله ! ما أعلمه بكلام العرب فالديسم ولد الذئب من الكلبة والعرب تقول للكلاب: (أولاد زارع) [(١)].

وهناك العديد من الأبيات ، التي ذكر فيها الشاعر أسماء بعض من الحيوانات ، منها قوله في قصيدة (لا ينفع المرء مال ووالده) : [(٢)]

خصيْتُ عدْوان بعْدَ شيلتهِ　　　والليَثُ يُخْصى ويُخْدعُ الشَّببُ

لم تقْتصر ثقافة الشاعر على هذه المفاهيم، بلْ امتدّت إلى الكلام المأثور عند العربْ، مثل الإتباع : (الدكح والنكح). المأثور عند العرب(حسن بسن، حياك بياك).
في قوله : [(٣)]

أحنُّ إلى محاسنِ أمِّ بكْرٍ　　　ودُون لقائها دُكحٌ ونُكحُ

كما استخَّدم الشاعر بعض من الكلمات المعرَّبة والتي اشتِهرتْ في العراق ومصر، مثل كلمة (الشواني) وتعني مركز الغلة . [(٤)]

بِئْسَ الشَّوانيُّ لهُ منْصب　　　في آلِ نهيًا غير مرتادِ

ومنْ الأمثال التي تناولها بشار في شعره، (السدى والنير)، وهو منْ مستلزمات الحياكة كما أنَّهُ مثلٌ يُضْربْ عند العرب: [(٥)]

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص٥٢.
(٢) مرجع سابق ، ج١، ص٢٤٢.
(٣) مرجع سابق ، ج٢، ص١٤٩.
(٤) مرجع سابق ، ج٣، ص٩٦.
(٥) مرجع سابق ، ج٣، ص٢٨٩.

ومِنَ العجائب أنَّ أقرُخَ صالحٍ   يُسْدي عليَّ كبيرُهُمْ ويُنير

ولمْ يقف بشار عند هذا ، بل تأثّر ببعض من عادات العرب كوقد النَار وإشعالها، بعد موت من لا تحبه ، وهي كناية عن عدم الرَّجوع ويقول: (١)

صحوْتَ وأوقدت للجهلِ نارًا   وردَّ عليكَ الصَّبا ما استعَارا

أمَّا في قول الشاعر : (٢)

ووُلوعُ الخيال بي منْ صديقٍ   لا أراهُ حتَّى يشيب الغُراب

فهذا مثلٌ تستشْهد به العرب في تحقيق المستحيل، فالغراب يبقى أسودٌ من المستحيل أن يشيب.

نكتفي بهذا القدر من الأمثال العربية، والتي تطرَّق إليها الشاعر في أشعاره، وهي دليل ومؤشّر على تأثُره بالثقافة العربية.

أمَا القيم العربية الأصيلة التي تطرّق لها الشاعر صفة الكرم، حيث ذكرها في قصيدة (الداء والدواء) .

وهي في مدح عقبة بن سلم: (٣)

لا ولا أنَّ يُقال شيمته الجـــــو   دُ ولكنْ طبائع الآباء

ووصفهمْ أيضاً، أنَّهمْ يضيِّفون الغريب ويعطون الفقير حقَّه. (٤)

وسراعٌ إلى الأتاوى بالْعُرْ   فِ ولا يمْحقُون سهْم الْفقيرِ

تأثّر بشار بصفة الكرم لدى العرب تأثُراً شديداً، لدرجة أنَّه كان يعيب كلُّ بخيل يصادِقّه(٥)

وإذا أقلَّ لي البخيلُ عذرتُهُ   إن القليلَ من البخيلِ كثيرُ

---

(١)ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص٥١.
(٢) مرجع سابق ، ج١، ص٣٣٣.
(٣) مرجع سابق ، ج٤، ص٦.
(٤) مرجع سابق ، ج٣، ص١٩٥.الأتاوي: الرجل الغريب.
(٥) مرجع سابق ، ج٣، ص٢٩٧.

وكذلك للقبيلة عقبة التي ينحدر منها، وهي قبيلة قحطان العربية . (١)

فتًى في ذُرى قحْطان يبْسُطُ كفَهُ إذا شنجِتْ كفُّ البخيل المُحارد

أمّا بنو عقيل، وهم مولي بشار، فقد كان لهم قيمة وقدر لديه، وذلك عندما امتدحهم في إحدى قصائده قائلاً : (٢)

وقامت (عُقيلٌ) منْ ورائي بالْقنا حفاظاً وعاقدْتُ الْهُمام الْمحجَّبا

وفي قصيدة (موت الفجاءة) اتجه الشاعر في بعض أبْياتها لمدح مواليه ، وهي قبيلة قيس ابن عيلان وهي أصول بنو عقيل ، يمدح أفعالهم العظيمة : (٣)

من الحيِّ قيسِ قيْسِ عيْلان إنَّهم عيونُ النَّدى منْهُمْ تُروِّى سحائبُهْ

وهناك الكثير من الأمور ذات الصِّلة بالعرب قدْ تطرَّق إليها الشاعر، في شعره، على سبيل المثال وليس الحصر، الخيول العربية الأصيلة، يضْرب المثل فيها قائلاً : (٤)

جرى اللَّهاميمٌ على إثْرهِ جرْيَ الْبراذينِ خلاف الْعِرابْ

وكذلك قوله في القصيدة نفسها: (٥)

لألقى بني عيْلان إنَّ فعالهُمْ تزيدُ على كُلِّ الْفعال مراكبُهْ

منْ كثْرت مجالسة الشاعر للعربْ وخاصةً ملوكهُمْ، أصبْح يمتلك القدْرة في وصف مجالسهم، حتى طريقة جلوس السادة عندهم والتي تسمَّى (الْحبى) وهو الجلوس ووضع الركبتين باتجاه الصدر والشد عليهما بالأيدي. (٦)

خَدمُ الملُوكِ إذا قعدْنا في الْحُبى قامُوا وإنْ نفْزعْ لروْع يقْعُدُوا

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج٣، ص٨٠. المحارد:الممانع.
(٢) مرجع سابق، ج١، ص٢٤٦. الهمام: السيد أو الملك
(٣) مرجع سابق، ج١، ص٣١٦.
(٤) مرجع سابق، ج١، ص٢٧٨.اللهاميم:السابق الجواد. البراذين: الجواد غير العربي
(٥) مرجع سابق، ج١، ص٣١٦. المراكب: عظام الأمور
(٦) مرجع سابق، ج٢، ص٣٢٥.

وفي قصيدة (لنا نارٌ بشرقيَ المعالي) ، يصف مواليه منْ بني عجلان بالشَّجاعة والقوَّة ، وهم بطن منْ بني عامر بن صعصعة. (١)

بحيٍّ منْ بني عجْلانَ شُوسٍ　　　　يسيرُ الْموْتُ حيْثُ يُقالُ سارُوا

أمّا في قصيدة (لعنة واسط) لم نجد بشار قد وقف عند الهجا، بلْ وصل به الأمر إلى اللَّعنة! في أحد قبائل الفرس في خوزستان وهي الخور، كما لعن كلَّ أعجميٌّ كافر.وهذا تملّق للعرب وكذب ليأمن نفسه ويقول: (٢)

نبيطٌ وأعلاج وخُورُ تجمَّعوا　　　　شرارُ عباد الله من كلِّ غائط

وإنِّي لأرْجو أنْ أنَالَ بشتمهم　　　　من الله أجراً مثل أجْرِ المُرابط

لم يقفْ بشَّار عند هذا الأمر، بل كان يفتخر أمام معشوقاته، بأنَّه من بني عقيل حيث موضع الشَّجاعة والقوَّة، كافتخاره أمام معشوقته عبدة ويريد أن يثبت نسبه للعرب وهذا ما كانت العرب تتساق خلفه الافتخاربإحساب والأنساب ويظهرون القيم العربية الأصيلة والبطولات وما إلى ذلك، ويقول مفتخرًا: (٣)

إنني من بني عُقيْل بنِ كعب　　　　موْضِعَ السَّيْفِ من طُلى الأعناق

وكثيراً ما كان الشاعر يمتدح قبيلته المولَّى لهمْ، ويذكر المحاسن فيهم، ويصفهم بأجمل الصِّفات المحمودة، حيث نجده يصفهم في البيتين القادمين، بأنَّهم أصحاب حقْ ومنصفين وبعيدين كلّ البُعد عن الظلم : (٤)

لألقَى بني عيلان إنَ فِعالهُم　　　　تزيدُ على كلِّ الفعالِ مراكِبُه

ألاكَ الألئ شقُّوا العمى بسيُوفِهم　　　　عن الغَيّ حتى أبْصَرَ الحقَّ طالبُه

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص٦٥.
(٢) مرجع سابق، ج٤، ص٩٧.
(٣) مرجع سابق، ج١، ص٥.
(٤) مرجع سابق، ج١، ص٣١٦.

ومنْ الأبيات التي قالها بشار بالعرب والاعتزاز والفخر بهم، بيتهُ الشعري في قبيلة مضر وهو مولى لهم، وهي التي تنحدر لقبيلة بني عقيل، في قصيدة (الغضبة المضرية) ومنْ أجمل أبياتها:[١]

إذا ماغضبْنا غضبْةً مُضريةً   هتكْنا حجابَ الشَّمْسِ أوْ نقطُرُ الدَّما

وهذا البيت، الذي يرمز للقوة، في قوله هتكنا حجاب الشمس، حيث جعل الشمس كالفتاة ومنْ شدَّة القوة رفع الحجاب عنها.وهذا البيت أحسن ما قالته العرب في الفخر.

يذكر ابن رشيق القيرواني في (عمدته)، سئل بشار:" بم فقت أهل عمرك وسبقت أبناء عصرك: في حسن معاني الشعر، وتهذيب ألفاظه ؟ قال: لأني لم أقبل كل ما تورده على قريحتي، ويناجيني به طبعي، ويبعثه فكري، ونظرت إلى مغارس الفطن، ومعادن الحقائق، ولطائف التشبيهات، فسرت إليها بفكر جيد، وغريزة قوية، فأحكمت سبرها، وانتقيت حرها، وكشفت عن حقائقها، واحترزت عن متكلفها، ولا والله ما ملك قيادي الإعجاب بشيء مما آتيمَّ به"[٢].

كما قرأتَ فالرجل قد عجن الطبع الفطري لموهبته، وإرهاف حسّه- فسجله تكوينه النفسي لكونه من المولدين، فارسي الأصل- بالخلق الإبداعي الفكري التخيّلي اللغوي لصناعته، وتطويع لغته وفكره سبراً وكشفاً دون تكلّف وإعجاب، ولابد أن نشير أنّ بشاراً قد تفاعل واستوعبَ النهضة اللغوية والاجتماعية في عصره، وعكسها في شعره، فاعتمد على عمق الفكرة، وأسلوب البيان وعنصر المفاجأة، والإحساس الإنساني الشمولي لتجاوز عقدة نقص التوليد العرقي، لهذا بشار وأصحابه زادوا معاني ما مرت قط بخاطر جاهلي ولا مخضرم ولا إسلامي، والمعاني أبداً تتردد وتتولد، والكلام يفتح بعضه بعضاً .

تأثر بشار ببيئة (البصرة) الكلامية و الفلسفية والاجتماعية واللغوية، فمزج بين أصالته البدوية حيث نشأ في أحضان بني عقيل الأعراب الأقحاح الفصحاء، وبين حاضرة البصرة بفنونها وزخارفها وبساتينها وتنوع أجناسها فاستمد الناس منه فاكهة رفيعة القيمة[٣].

مَن راقبَ الناسَ لم يظفَر بحاجتِهِ   وفازَ بالطيباتِ الفاتكُ اللهجُ

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص١٦٣.
(٢) القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدبه، ص٢٨٠.
(٣) ابن عاشور، الديوان،ج٣، ص٧٥.

ومن مظاهر تقيده بالعرب التزامه بالشعر العربي القديم وقد برع في وصفه التقليدي حتى أنـــّه رفع بالواقع إلى مستوى الخيال المبالغ المتحدي زهوًا وفخرًا، ولا ألومه على سمو فخره، كما فعل بعض النقاد القدماء، ممن لا يفقه جبلة الشعراء، فيعدّهم سوية العلماء ! (١):

إذا ما غضبنا غضبةً مُضريةً　　　هتكنا حِجابَ الشمسِ أو نَقطُرُ دما

إذا ما أعرنا سيداً من قبيلةٍ　　　ذرى منبرٍ صلّى علينا وسَــــلما

ولم يكتفِ باستهلاله المتميّز، بل أراد أن يصول ويجول بتشبيهاته الجاهلية المركبة في صورها المعقدة حتى وصل امرأ القيس وجاراه مقلدًا ومنازعًا، وفاقه متفلسفًا متكلمًا : (٢)

وجيشٌ كجُنح الليل يرجُفُ بالحَصى　　　وبالشَّولِ والخَطّي حمرٌ ثعالبُهْ

غَدونا له والشمسُ في خدرِ أمِها　　　تطالُعِنا والطلُّ لــم يجرِ ذائبُهْ

كأنَ مثارَ النقعِ فوقَ رؤُوسِهم　　　وأسيُافنا ليـــــلٌ تهاوى كَواكبُهْ

لهذه الموازنة العبقرية الفائقة بين أصالة القديم بفخامته وحداثة العصر بحضارته، وحروف قوافيه السهلة النطق من ميم ونون وباء وراء، بإطلاقها، ووصلها، وحركاتها، القابلة للإنشاد والغناء، جعلت معاصريه يفضلونه، فالأصمعي يعتبره (خاتمة الشعراء)، والجاحظ يعدّه الأشعر قائلاً:" وليس مولد قروي يعد شعره في المحدث إلا وبشار أشعر منه ..." (٣)

والجاحظ يعني ما يقول، فبشار حافظ على البنية التشكيلية للقصيدة القديمة مهابة وضخامة وبلاغة، وأدخل عليها من المضامين الجديدة إبداعا، تميّز به جمالاً، فبقي خالداً في الحافظة العربية، بل يزيد القيرواني في (عمدته) مؤكداً على أنه أفضل من أبي نؤاس، الحسن بن هاني، قائلاً: " أشهرهم وأشعرهم بشار بن برد، وليس يفضل على الحسن مولد سواه" (٤).

وشاعرنا المجدد البصير، العريق العقيلي في نشأته البدوية، والفارسي الأصل في نزعته الشعوبية،المخضرم بين الدولة الأموية العروبية، والدولة العباسية المنفتحة للثقافات الأجنبية، والذي ترعرع بين قياسها اللغوي والشعري والفقهي، ونبذ الشواذ من الشواهد النحوية لمدرسته

(١) ابن عاشور، الديوان،ج٤، ص١٦٣.
(٢) مرجع سابق،ج١، ص٣١٧. مثار النقع: غبار المعركة.
(٣) الجاحظ،الحيوان، ج١،ص٢٠٥
(٤) مرجع سابق، ج١،ص٢٢٥

البصرية، وتلقف الأفكار الزراداشتية والمانوية، وقــُتِل بسببها اتهاماً بعد رميه بالزندقة لدوافع سياسية، أو مزاجية، جدّد وقلــّد، فهو يكثر من وصف المهجو بأوجه العار الشائعة، ويتعرّض لنسبه العربي، ويجعل مهجوّه ضحكة، وذلك في عبارة قريبة المأخذ، سهلة الحفظ، وأسلوب رشيق، بل وصل إلى حدّ القذف والسباب، وهذا ما لم يفعله الشعراء السابقون له. ولكن كان مقلداً في مدحه، متكسباً في رزقه، يميل مع ممدوحيه حيث يميلون، ويجاريهم بما ينزعون، وبقصائد طويلة متينة رزينة جزلة، مطالعها كما طلع علينا الجاهليون والأولون، يبذؤها بالنسيب والأطلال والخيل والترحال!! ولكن حين يفخر بنفسه وقومه الفرس يقسو على العرب أو الأعراب بسخرية مريرة، وعلى أغلب الظن كان سلاحه الحاد كردّ فعل مضاد، لمن يستهين به وبشاعريته، ومقدرته اللغوية، وهنا يتنكر للعرب ويسخر منهم ومن انسابهم وعاداتهم بعد أن كان يفتخر بهم وينتسب لهموها دليل اضطرابه وتنوع الولاء بحسب من يحكم ومن بملك القوة والكلمة،أقرأ عن القوارير والدنانير والزنابير !! (١):

ارفقْ بعمرو إذا حركتَ نسبتهُ	**فإنَّــهُ عربيٌّ مِنْ قوارير**
إنْ جَازَ آباؤُه الأنْذَالُ في مُضَرٍ	**جازتْ فلوسُ بُخارى في الدنانير**
واشدُدْ يَدَيْكَ بحَمَّادٍ أبي عُمَر	**فإنَّـــــهُ نَبَطِيٌّ مـــــن زنابير**

لم يسبق أحدٌ بشاراً بمثل هذه الجرأة، والتطاول على العرب، ولكن هذا الشعر أغراه بالتمادي، بعد أن وجد باب الحرية مفتوح على مصراعيه، والدولة منشغلة بالقضاء المبرم على الأمويين في عصر السفاح، ومن بعد ثورتي النفس الزكية في المدينة وأخيه إبراهيم في البصرة (١٤٥ هــ- ٧٦٢م)، ولما قام المهدي بالخلافة (١٥٨ هــ)، وبالرغم من أن الشاعر مدحه، لم ينفعه المديح حتى وقع في مصيدة الزندقة، فقتل ضرباً بسياط البصرة .

بشار قد نشأ في موطن العرب بالبادية، وأدرك العرب الباقين من بني عامر بن صعصعة وتلقى اللغة، ولم يخلط في معاشرته بين العرب والمولدين، فهو لنشأته في ذلك العصر لايتهم بأنه يخترع لغة يقيس فيها على غير أصل، فله في سعة العربية ما يمكنه من الدخول في مضايق الاختراع والقياس. فما نجده في شعره من صيغ لمواد عربية مما لا شاهد لثبوت تلك الصبغة في

(١) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص٣٦١،. ابن عاشور، الديوان،ج٤، ص ٥٠، القوارير: الزجاج.

كتب اللغة، فليس ذلك بسبيل أن يعد عليه لحنا، ولكنه لا يظن به إلا أن يكون قد سمع ذلك من العرب فأستعمله أو علم من عاداتهم اشتقاق مثله وجواز قياسه[١].

فإذا كان رواة اللغة وعلماؤها قد أبوا أن يتلقوا من كلامه ما يجعلونه شاهدا للعربية، لأجل دخوله الحواضر، ومعلوم ما كان في نفوسهم من الظنة. أنه كان شخصية قلقة غير مستقرة على دين تتجاذبه الصراعات الحضارية من صراع بين حضارة فارسية قديمة وحضارة عربية اسلامية، وقد بانت على لسانه وامتزجت في نفسيته آراؤه غير المستقرة تجاه معتقداته وتجاه اسرافه في التباهي بنسبه العربي ثم التبرؤ منه والسخرية من العرب مع أنه عاش وتترعرع عند العرب [٢].

صدى المرجعيات في شعر بشار بن برد

وفي بناء القصيدة نرى بشارًا أذاب الصنع بالطبع، والحداثة بالأصالة، والبداوة بالحضارة، والعلم بالشعر، والمجون بالشموخ، والخلاعة بالحكمة، والبحور القصيرة الراقصة إلى جنب البحور الطويلة المهابة، ولكن دون الخروج على عمود الشعر بمعانيه السامية، ومطالعه البديعة، وإن تغاضى أحياناً عن ألفاظه الرفيعة، بحكم تداخل الحضارات، والأجناس والأغراض الشعرية، وفي كلّ ذلك كان مجدداً في أسلوبه العذب الرقيق، والمهاب الشامخ، وفي معانيه السامية التي لم تُطرق من قبل توليده وخضرمته، وفي ألفاظه التي قاربت أسماع العامة، والشعب الجامع، بعبارات سريعة المأخذ، سهلة الحفظ، وفي بديعه المصنوع المبتكر بفنونه، وفي بحوره القصيرة الراقصة الخليعة، وفي شعوبيته الجريئة الساخرة من الأعراب الذين استصغروا شأنه، فهو مجدد في هجائه الساخر، وغزله الخليع، وفخره المنيع،والشاعر كان مطبوعا، وصاحب صنعة شعرية، وفناناً كبيراً في تخيّله وإيحاءاته وصوره الحسية الملموسة – وإن كان بصيراً، ويأتيك بالتشبيهات الرائعة، والصور المركبة، مما يجعلك مبهوتًا[٣].

---

(١)البستاني، العصر العباسي الأول، ص ٥٠-٥٢.

(٢)الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص٢٠٣.

(٣)الحاجري،طه، بشار بن برد، ص٥٨.

المديح:

كان بشار بن برد يكثر من النظم في المديح، ومن أقدم مدائحه ما نظمه في عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي العراق لسنة ١٢٦ للهجرة.

والمديح أهم غرض وصل بشاراً بالتراث القديم فقد حافظ محافظة شديدة على سننه الموروثة، سواء من حيث جزالة الصياغة ورصانتها أو من حيث المنهج الذي سار عليه القدماء، إذ كانوا يقدمون بين يديه وصف الأطلال والنسب والغزل ووصف الناقة. ثم يخرجون عن ذلك إلى المديح بمآثر الأفراد والقبائل ناثرين في أطراف قصيدهم بعض الحكم، كلُّ ذلك احتذاه بشار في كثير من مدائحه، بل لقد احتذى نفس المعاني والأخيلة وبلغ من شدة هذا الاحتذاء عنده أن نظم بعض مدائحه على غرار الأراجيز(١).

ونراه في بعض مدائحه يصرح بأنه بناها أعرابية وحشية حتى يرضى ممدوحه (سلم بن قتيبة) الذي كان يتباصر بالغريب(٢).

نجد بشارًا في مدائحه يخلع على من يصفهم نفس الشيم الرفيعة التي طالما خلعها الجاهليون والإسلاميون على ممدوحيهم من الكرم والمروءة والشجاعة والنجدة، حتى أن بشاراً أسبغ على ممدوحيه كثيرًا من الصفات الدنيئة على غرار جرير والفرزدق، ونرى بشارًا يقتدي بهم وخاصة في مديحه للمهدي(٣).

وقد عكفَ على معاني المديح القديمة يولِّد فيها ويفرع ويستنبط دقائق كثيرة متأثراً بالمرجعية الفارسية، مثل قوله في خالد بن برمك يصف سماحته وكرمه (٤).

إذا جَئتهُ للحْمد أشرقَ وجهُهُ	**إليكَ وأعطاكَ الكرامةَ بالحمدِ**
مفيدٌ ومتلافٌ سبيلُ تراثِهِ	**إذا ما غَدا أو راحَ كالجزرِ والمدِّ**

وقوله في عمر بن العلاء قائد المهدي الذي قضى على ثورة الخرميّة بجرجان(٥):

فتىً لا ينامُ على ثأرِهِ	ولا يشربُ الماءَ إلا بدمْ

---

(١) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ١٧٤.
(٢) مرجع سابق، ج٣، ص ١٩٠.
(٣) مرجع سابق، ج٣، ص ١٩٤.
(٤) مرجع سابق، ج٣، ص ١٩٢. مرجع سابق، ج٤، ص ٣٧.
(٥) مرجع سابق، ج٣، ص ١٩٤. مرجع سابق، ج٤، ص ١٦١.

يلذُّ العطاءَ وسفكَ الدماءِ وَيْغدو على نعمٍ أو نقْمِ

ويقرن دائماً في مديحه للقادة والولاة الشجاعة إلى الكرم الفياض، ويستنبط منها، دقائق كثيرة مستلهماً لطائف عقله ودقائق تصويره مثل قوله في مديح عقبة بن سلم والى البصرة(١):

حرَّم اللهُ أن ترى كأبنِ سلْم عُقبةُ الخيرِ مطعمُ الفقراءِ

إنما لذّةُ الجوادِ ابنَ سلْم في عطاءٍ ومركبٍ للقاء

ليس يعطيكَ للرجاء ولا الخوف ولكن يلذُّ طعَمَ العطاءِ

وكان بشار يتخذ المدح آلة للتكسب، لا شغفاً بمناقب الممدوح أو كلفاً به وله أسلوب في المدح يطلعنا على حقيقة نفسه الطماعة المتعجرفة التي تميل إلى الكذب والمبالغة فهو يمدح الشخص ويهدده إن لم يحسن صلته، وقد يتوسل بالوعظ والإرشاد، ولا يخلو مدحه من التذمّر لقلّة العطاء فيحضُّ ممدوحه على الجود والسخاء فهو شاعر مبدع صادق الفن،ولم يكن صادق العاطفة ففي مدحه مزيج بين البداوة العربية والحضارة الفارسية(٢). وبتقليده القدماء فتح الأبواب واسعة أمام النقاد كي يبحثوا في سرقاتهِ منهم، كما فتحها أمام الشعراء لكي يحتذوا على صنيعهِ.

وحري بنا أن نقف عند قصيدته البائية التي مدح بها يزيد بن عمر بن هبيرة وفي رواية أنه مدح بها مروان بن محمد، وهي تلك التي يستهلها.(٢)

جفاَ ودَّه فازورَّ أو مَلَّ صاحبُه وأزرى به أن لا يزالَ يُعاتبُهْ

حيث يسير على نمط القصيدة القديمة في قوة البرهان والحجة، فإذا هو يقول(٣):

إذا كنت في كلَّ الذُّنُوبِ مُعاتِباً صديقكَ لم تلقَ الذي لا تُعاتُبهْ

فَعشْ واحِدًا أو صِلْ أخاكَ فإنَهُ مُفارقُ ذنبٍ مرةً ومُجانِبُهْ

إذا أنتَ لم تشربْ مرارًا على القذَى ظمئْتَ وأيُّ الناسِ تَصْفو مشاربُهُ

---

(١) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ١٨٩. ابن عاشور، الديوان،ج١، ص ١١١

(٢) البستاني، العصر العباسي الأول، ص ٥٠. ابن عاشور،الديوان، ج١،ص٣٠٧.

(٣) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب، ص ٢١٠. ابن عاشور، الديوان، ج١،ص٣٠٩.

ويمضي في وصف مشاهد الصحراء وصفاً حياً، حتى إذا انتهى منه فخر بقيس مواليه وما يذيقون به أعداءهم من بأسهم الشديد [١].ويقول: [٢].

إذا الملكَ الجبارُ صَعَّرَ خَدَّهُ	مَشْيْنا إليهِ بالسيوفِ نُعاتِبُهْ
وكنا إذا دَبَّ العَدو لسُخطِنا	وراقبنا في ظاهرٍ لا نراقِبُهْ

وفي هذه القصيدة يردّ بشار بعض الوجوه إلى مزاج بشار الفارسي الذي أدى به إلى المبالغة ومجاوزة القصد الذي يعدُّ من مميزات الطبع العربي الخالص. كما يعود إلى إيراد محاولة الإبداع في التصوير مستعيناً بحس دقيق وكان مما دفعه إلى ذلك شعوره بفقده لبصره وكأنه يريد أن يثبت أنه يستطيع أن يؤلف الصورة الحسيّة.

لقد استطاع بشار في مديحه أن يضيف إلى العناصر العربية البدوية القديمة عناصر مستحدثة فقد أخذ يخفف من مشاهد الصحراء[٣] والمقدمات الطللية مكتفياً بالغزل.

ولعلّ أقدم ما وصلنا من مدائح بشار مدحه داود بن حاتم الذي ظهر في قصيدته طابع المولّد مزج القديم بالحديث، ويقول[٤]:

هَجرَ المقامَةَ لو يكونُ مُناخُه	بأغرٍ تزدحمُ الوفودُ ببابهِ
رجلٌ إذا زأرتْ أسودُ قبيلةٍ	زأر المُهلبُ وابنُهُ في غابهِ

نلاحظ أن الذين مدحهم هم القادة والولاة والخلفاء والعظماء القوم والعلماء مثل (المهلب بن أبي صفرة، وابنه، وواصل بن عطاء، وسليمان بن هاشم، وأبو جعفر المنصور، وعقبة بن سلم، عمر بن العلاء، والمهدي، وخالد بن برمك، ويزيد بن عمر بن هبيرة، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز) وغيرهم وكلهم من أعيان القوم والهدف التكسُّب[٥].

---

(١) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ١٩٧، ضيف، شوقي، تاريخ الادب، ٢١٠ص.
(٢) صغر خده: تكبّر وعتى.ابن عاشور،الديوان،ج١،ص٣١٧.
(٣) الأصفهاني،لأغاني، ج٣، ص ١٤٢.
(٤) مرجع سابق، ج٣، ص ٢٢٤، المقام: الإقامة، المناخ، النزول، أغر: أبيض. ابن عاشور، الديوان، ج١، ص٢٨٧.
(٥) فروخ، بشار بن برد، ص ٩٢-٩٩.

الهجاء:

الهجاء ميزة بشار، وكان من أول الأغراض التي مال إليها، فقد قال الشعر هو صغير، فما بلغ الحلم إلا وهو مَخشِيٌّ مَعَرّةِ اللسان(١).

وقد لاحظ قوم شدة ميل بشار إلى الهجاء واتسع قوله فقالوا له " إنك لكثير الهجاء! فقال: إني وجدت الهجاء المؤلم أخذ بضبع الشاعر(٢) من المديح الرائع ومن أراد من الشعراء أن يُكرم في دهر اللئام على المديح فليستعد للفقر، وإلا فليبالغ في الهجاء ليخاف فيعطى"(٣).

أشهر طرائق بشار التعريض والتلميح والمبالغة والتهكّم، والفحش في الكلام ولم يظهر الفحش في الهجاء إلا في صدر الدولة العباسية واشتهر بشار بهجائه المقذع الفاحش، فقد هجا بشار جماعة من أعيان الشهرة هم: أبو مسلم الخرساني، ويعقوب بن داوود وأخوه صالح لما ولي البصرة، وهجا واصل بن عطاء أيام المعتزلة، وهجا سيبويه أمام نحاة البصرة، وهجا أبا هشام الباهلي، وحماد عجرد، ولم يبق أحدٌ من أشراف البصرة إلا منِيَ بشيء من هجاء بشار أو اتقى هجاءه(٤).

أمّا الذي صبَّ عليهم بشار سوط هجائه فكانوا من الذين لا يقولون الشعر، فكانت من أجل ذلك مقاتلهم بادية له، وكان هو في مأمن منهم، وقد كان هؤلاء الذين هجاهم بشار إمّا ممدوحين لم يعطوه أو أنهم أعطوه أقل مما كان ينتظر، وإمّا أنهم كانوا علماء ونحاة يتركون لاستشهاد بشعره(٥).

وهجاء بشار الجَّدي كان محبوكاً يتضمَّن أيّ من القرآن الكريم على طريق التمثيل أو معقوداً بمثل سائراً معلّقاً بحكمة وهنا أثر المرجعية الإسلامية تبدو واضحة في شعر الهجاء عنده، يعتمد في هجائه التصوير الباعث على السخرية وعلى المبالغة، واختلاق المعايب(٦).

---

(١) الأغاني، ج٣، ص ١٤٤، فروخ، بشار بن برد، ص١٠٧.
(٢) آخذ بضع الشاعر: أكثر عونا له.
(٣) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ٢٠٧.
(٤) ابن عاشور، مقدمة الديوان، ص ٦٩.
(٥) فروخ، بشار بن برد، ص ١٠٨.
(٦) مرجع سابق، ص١٠٩.

ويقسم الهجاء وعنده إلى قسمين:

أ. الهجاء القبلي، وهو يقوم على الشتائم والهزء بالأنساب[١] وقلة جدواه وهنا يشبه تلك الأنساب بالقوارير لأنها سريعة التحطّم، وربما شبهها بقوارير الحجام إشارة إلى قذارتها، ومن ذلك هجاؤه لخلف بن أبي عمر بن العلاء[٢].

ارفقْ بعمروٍ إذا حركتَ نسبتُه فإنّه عربيٌّ من قوارير

إن جازَ أباؤُه الأنذالُ في مضرٍ جازتْ فلوسُ بُخارى في الدنَانير

نلاحظ الشعوبية وكره العرب وعلو الجنس الفارسي حتى في الهجاء ونلاحظ أيضاً حين يهجو قبلياً يبحث فيه عن مثالب العرب والبدو ويدافع عن الموالي عموماً عن بني الأحرار (الفرس) خصوصاً فيقول[٣]:

خليليَّ، لا أنامُ على اقتِسارٍ ولا آبى على مولى وجَارِ

سأخبرُ فاخِرَ الأعْرابِ عَني وعَنْه، حينَ بارز للفَخارِ

تفاخُر، يا بنَ راعيةٍ وراعِ بني الأحرارَ؟ حَسُبكَ من خسارِ

ب. الهجاء الشخصي: وفي الهجاء تظهر مقدرة بشار بالتعريض بالمهجو، بل تراه يصوره ويحلل نفسيته ليحمل الناس على الهزؤ به نحو هجاء صالح بن داوود عندما تولى البصرة ولم يعطِ بشاراً شيئاً[٤]:

وضيفُ عمرٍو وعمرٌو ساهران مَعاً عمرو لبطنَتهِ والضيفُ للجُوع

وقال بشار يخاطب يعقوب ويهجو صالحاً[٥]:

هم حَملوا فوقَ المنابرِ صالِحاً أخاكَ، فَضَجَّتْ من أخيكَ المنابرُ

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ١٢١.
(٢)الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص١٩٠. ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص٥٠.
(٣) مرجع سابق، ج٣، ص ١٦٦. ابن عاشور،الديوان،ج٣،ص٢٢٩.
(٤) مرجع سابق، ج٣، ص١٦٧، فروخ، بشار بن برد، ص١١٢. ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص١٠٠.
(٥) مرجع سابق، ج٣، ص ٢٤٤. ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص٦٦.

وقال يهجو المهدي ووزيره[١]:

ضاعتْ خلافَتِكم، يا قومُ، فالتَمِسوا   خليفةً بينَ الزق[٢] والعودِ

ومن هجاء بشار الذي يصّور المهجو متعرضاً لعاهاته الجسدية هجاؤه لواصل بن عطاء[٣].

ما لي أشايعُ غزالاً له عنق   كنقيق الدَّوِّ وإن ولّى وإن مثلاً؟

ويميل بشار في أكثر أهاجيه إلى الإقذاع، محشواً بالألفاظ البذيئة فقال بشار في سيبويه. [٤]

أسبويهِ يا بنَ الفارسية ما الَّذي   تَحدثْتَ عن شتْمي وما كنت تنبذُ

أظلت تغني سادراً في مَساءَتي   وأمّكَ بالمِصرين تُعطي وَتّأخُذْ[٥]

وكان أهل البصرة إذا أرادوا الشتيمة قالوا له: يا بن الفارسية.

الرثاء:

الرثاء: فن طارئ ويمكن أن تقسم المراثي القليلة إلى ثلاثة أقسام:

أ. رثاء أهله (ابنه وابنته) [٦]

أما مرثاةُ ابنه فيها عاطفة قوية، كما أن معانيها كبيرة ومرثية بشار مزيج بين الأسلوب القديم (العربي) والأسلوب المولّد (الفارسي)، ومظهرٌ لعاطفة الأب المفجوع أكثر منها رثاء للميت، وفي هذه المرثية شيء من التأمل والنقمة على القدر، ويقول: [٧]

أجارَتنا لا تَجْزَعي وأنَيبي   أتاني من الموتِ المطلِّ نصِيبي

بُني، على قلبي وعيني كأنه   ثوى رهن أحجار وجار قليبِ

وماتت لبشار بنتٌ صغيرة فرثاها رثاءً فيه شيء من قلّة الجد[٨].

ب. رثاء إخوانه وأصدقائه فنعرف منه مرثيتين عليهما طابعٌ مولد، وفي كل واحدة منهما وصف للخمر وتآسي.

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ٢٤٣. ابن عاشور،الديوان،ج٤، ص٤٦.
(٢) الزق: وعاء الخمر.
(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ١٤٥، ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص١٧٠.
(٤) نبذه: هزئ به. ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص٤٧.
(٥) سادراً: متحيراً، تعطي وتأخذ، شتيحة قبيحة، المضرين الكوفة والبصرة. ابن عاشور،الديوان،ج٤، ص٤٧.
(٦)الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ١٦١.
(٧) قليب: البئر. ابن عاشور،الديوان،ج١،ص٢٥٤.
(٨) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ٢٢٩.

قد رثي بشار أصدقاءه الخمسة معاً[١] فقال:

كانَ لي صاحبٌ فأوْدى به الدَّهــ ... رُ وفارَقْتُه عليهِ السلامُ

بقيَ الناسُ بعد هَلكِ نداما ... يَ وقُوعاً لم يَشْعروا ما الكَلامُ

ج. رثاء نفر من الذين كان يعجب بهم[٢] وذلك عندما رثا القائد الملقب بهزارمرد فقال:

ما بَالُ عينيك دَمعُها مسكُوب ... سَهرت، فأنتَ بدَمِها محروبُ

اكتسب الرثاء العاطفي رقة وسهولة فزاد تأثير في النفوس، وأما الرثاء المتكلّف فكان كالمدح مشحوناً بالكذب، وما ينبغي ذكرْ، أن الشعراء أكثروا من توطئه مراثيهم بالزهد والمواعظ، وذم الدنيا والتذمر على الدهر باستثناء بشار أضاف الخمر إلى الرثاء[٣].

الفخر:

شهد بشار عصر الفخر القبلي في الدولة الأموية وعهد الفخر الشخصي حينما نهض الموالي بعمود الشعر العربي، ولم يجدوا ما يفخرون به من أنسابهم، فافتخروا بأنفسهم وأشعارهم، ولقد تحيّل هؤلاء أيضاً للافتخار بالنسب تقليداً للشعراء العرب الذين كانوا يتحدونهم أو يحطون من أقدارهم.

إن أساس الفخر عند بشار فخر الإنسان بفضائل نفسه لا نسبه[٤]:

أصبحتُ مولى ذي الجلالِ وبعضُهُم ... مولى العُريبِ فَجد بفضلِكَ وافخَر

ومن أجل ذلك تراه كثيراً ما يفتخر بالصبر على المشاق وبالشجاعة وبالكرم وبالمجد الذي يضم إلى ذلك الفخر بشعره[٥].

وقد علَمتُ عُليا مَعدَّ بأنني ... أنا السيفُ أكْدى كان في مِضاءُ

تَزِلُ القَوافي عنْ لِساني كأنَّها ... حماةُ الأفاعي ريقُهنَّ قضاءُ

---

(١) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ٢٣٢. ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص١٧٨.
(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٢٣٨. محروب: محروم من النوم. ابن عاشور،الديوان،ج١،ص٣٧١.
(٣) البستاني، أدباء العرب، ص ٢٩.
(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ١٣٩. ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص٦٢.
(٥) مرجع سابق، ج٢، ص ١٤٥.ريقهن: السُّم. ابن عاشور، الديوان، ج١، ص١٢٨.

ولكنه مع ذلك كان يفتخر بأصله الفارسي وبولائه العربي، لنبي عقيل وربما افتخر بمضر دون اليمن فيقول(١):

نَمَتْ في الكرامِ بني عامرٍ　　　فُروعِي، وأصْلي قريشُ العَجمِ

ومع هذا ففخر بشار قليل إلى ما بقي لنا من شعره، ولكنه فخم جزل الألفاظ فيه مبالغة وفيه تقليد، وهو من الصَق الجديد بالقديم.

الغزل والمجون:

وبشار في غزله غير بشار في نسيبه، إذا كان بشار قد قصر أكثر نسيبه على امرأة واحدة فإنه قد وسع بغزله كل امرأة عرفها فمال إليها، وكان بشار يصرح في غزله ويفحش القول، لأن غزله كان امرأة لنفسه المندفعة إلى الفسق، وبما أن بشار ولد أكمه ولم يبصر شيئاً من الدنيا قط فكان يندفع وراء خياله المجسم متطلباً الصلة الطبيعية بالمرأة،يعبر عنها بشعر صريح والفاظ صريحة وتعابير وتراكيب مثيرة، ولقد لام بعضهم بشاراً على حب نساء لا يرى فيهن المبصرون جمالاً خاصاً.

وما دام الغزل يتناول وصف أعضاء المرأة الظاهرة فكيف كان بشار يصف النساء؟ كان بشار يعتمد في الأكثر ما يسمع في الحديث أو يروى له في الأدب، وأوصاف النساء عرفها بشار من المصادر العامة(٢).

رجُح الروادفُ، كالظباء　　　ء تعرّضتْ حوّا ووطْفا(٣)

لما طلعْنَ من الرقيق　　　على بالبَرَدان خمساً(٤)

ولكن لبشار آراء خاصة في الغزل أهمها أنه يرى جمال المرأة من طريق الأذن ثم يرى أن العين ليست أقدر على نقل الجمال إلى القلب وأصدق من الأذن وأشهر ما قاله(٥).

يا قومِ، أذني لبعضِ الحيِّ عاشِقةٌ　　　والأذْن تعشقُ قبلَ العينِ أحياناً

---

(١) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ١٣٨. ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص١٥٧.
(٢) مرجع سابق، ج٣، ص ١٩٣–٢٤٨. ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص١٠٨.
(٣) الروادف: السمينات، حو جمع حواء: سمراء الشفة، وطف: كثيفة شعر الحاجبين.
(٤) الرقيق والردان، منزلان لبشار في البصرة. ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص٨٢.
(٥)الأصفهاني الأغاني، ج٣، ص ٢٣٨. ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص١٩٤.

قالوا:" بمنْ لا تَرى تَهْذي" فقلتُ لَهُم   " الأذْنُ كالعينِ تُوفي القلبَ ما كانا"

ويتجلّى غزله المادي بالتصريح بميله إلى اللهو بالأوانس، وقضاء اللبانة من كل من وجد في نفسه ميلاً إليها، وهو في كل ذلك يصوّر الصفات التي يحبها في المرأة[١].

نزلتْ في السوادِ من حبّة القلـــــ   ـــب ونالتْ زيادَة المستزيدِ

ويقول أيضاً: [٢]

حَوراءُ، إنْ نظرتْ إليهـــ   ــك سقتكَ بالعينينِ خَمْرا

وكأنَّ تحتَ لِسانِها   هاروتَ ينفثُ فيهِ سِحْرا

وتخالُ ما جُمَعت عليــــ   ــهِ ثيابُها ذَهباً وعِطْرا

غزل بشار شديد الخطر على العفاف، لأن صاحبه تعمد فيه إغراء النساء، وحضهن على الفجور، فكان ذلك سبباً لحمل المهدي على منعه من التشبيب وقد جعل غزله بلغة سهلة لينة ليهون حفظها وفهمها، ونرى أنه لم يصدق في وصف حبه إلا من تلك الناحية التي ذكر بها اللذة وتهالكه على طلبها، وإن أثر عبدة وأحبها أكثر من غيرها[٣].

الغزل وهو يعبر عن فتنته الحسية بالنساء خلال مخالطة وخبرة فقد كان يجلس فيما يشبه الصالون العصري يتقبل النساء الراغبات في سماع شعره أو المغنيات اللواتي حفظن هذا الشعر ليتغنين به، والغرض الثاني هو المديح فانه الوسيلة التي يمكن أن تدر عليه المال الذي يحتاجه لينفقه في ملذاته ولذا كان مبالغا في مدائحه طمعًا في رضا الممدوح لإغرائه بالعطاء والغرض الثالث هو الهجاء، وكان بشار شديد الوطأة في هجائه خاصة على هؤلاء الذين يمتنعون عن عطائه وقد كان بشار يرتاد مجالس اللهو والغناء.

الوصف:

---

(١)الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ١٣٤، فروخ بشار بن برد، ص١٢٤. ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص٣٧.
(٢)ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص٥٥.
(٣)البستاني، أدباء العرب، ص٥٢.

وهو فنّ شعري يكاد يكون نادرًا في كلام العرب، وأكثر شعر بشار في هذا الفنّ يتّجه إلى وصف مجالس حبّه ولهوه، والتحدّث عن النسوة والتشبيب بهنّ وعن الخمر وملذاتة. على أنّ بشارًا لم يغفل جانب الوصف التقليدي (١).

النسيب:

وهو فنّ متصل بفنّ الوصف، أبدع فيه بشار، حتى إنه عُدّ أول من أطنب في أوصاف محاسن النساء ممّا جعلهنّ راغباتٍ في الإقبال على شعره؛ إذ وصف خلوات الحبّ وعذل العذّال ومشاكاة المتحابين وتوسّل الرّسل. ولعلّه بذلك قد فتح لمن تلاه من الشعراء، من مثل أبي نواس، بابًا واسعًا يلجونه، ومهّد لهم منهجًا رحبًا يتّبعونه (٢).

وممّا يحسُن ذكره في هذا السياق، إنّ فقدَ بشار بصره قد أدّى به إلى التميّز في هذا الفنّ خاصّة وفي سواه، وانعكس عليه إيجابًا إذ مكّن له ما لم يمكّن للآخرين أو يستطعه المبصرون.

لقد ادعى بشار أن عشق السمع كعشق البصر، وتميّز بذكر تصوير محبوبته ومناجاة صورتها.

الحكمة:

لمّا عرضت لبشار ألوان من المحن، وخبر تجارب كثيرة، فضلاً عن عميق معرفته بطبائع النفوس وأحوال الخَلق، فقد انسالت الحكمة في شعره انسيالاً؛ إذ هي منثورة في ثنايا قصائده على نحوٍ يشي بشاعرية خصبة ذات قدرة كبيرة على حُسن التأمّل وجودة التعبير.

وقد استطاع بشار أن يضمِّن كثيراً من قصائده آراء جميلة صائبة في الصداقة والمشورة والحزم والحياة والاعتقاد ويمتاز اتجاهه بالقوة والتّصلّب والصراحة، وأتى بشار بهذه الآراء في شعر سهل عذب أو في شعر فخم متين، فيقول(٣).

إذا بلغ الرأي المشورة فاستَعنْ　　　　برأي نصيحٍ أو نصيحةِ حازمِ

---

(١) عطوي، على نجيب، بشار بن برد حياته وشعره، ص١٠٢.
(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ١٥٧. ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص١٧٢.
(٣) مرجع سابق، ج٣، ص ١٥٧. ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص١٧٢.
(٤) مرجع سابق، ج٣، ص ١٥٨. ابن عاشور،الديوان،ج١،ص٢٥٢.
(٥) عطوي، علي نجيب ،بشار بن برد ،ص ١٢٣.

يقف بشار موقف الواعظ المرشد فيوجه حديثه إلى من يمتلك المال فيقول:(٢)

والصدقُ أفضلُ ما حضرتُ بِهِ ولربما ضرَّ الفَتى كذبُهُ

خذْ من صَديقِكَ غيرَ متعبُهُ إنَّ الجوادَ يؤودهُ تَعبُهُ

وجملة القول: إنّ موضوعات بشار الشعرية وفنونه القولية لا تقتصر على ما سلف؛ إذ إنّ له باعًا – ولو قليلاً – في أبواب أُخرى، مثل: الرّجز، الذي تفوّق فيه على أشهر الرّجازين[٣].

الزندقة والشعوبية

جمعت الشعر الذي قاله في المرجعيات الإسلامية والفارسية والعربية وتتبعت صدى هذه المرجعيات في شعره، ولا سيما ما تعلّق بتهمتي الزندقة والشعوبية التي ألصقت به.

أولا: الزندقة

الزندقة لغة": ز ن ق

"الزَّنَق، مُحَرَّكَةً: أسلةُ نَصْلِ السَّهْم، ج: زُنُوقٌ عَن ابْن عَبّادٍ. وَفِي الصِّحاح: الزَّنَق: موضِع الزِّناق وأنْشَد لرُؤْبَة:

(كأنَّه مُستَنْشق من الشَّرَقْ... أو مُفْرَغٌ مِنْ رَكْضِها دامِي الزَّنَقْ)

والزُّنُق بضَمَّتَيْن: العُقولُ التّامَّةُ عَن ابنِ الأعرابِيّ"[١].

الزندقة إصطلاحا":

قال الفيروزآبادي:الزنديق، بالكسر: من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية، أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان أو هو معرب: زن دين، أي: دين المرأة، زنادقة أو زناديق، وقد تزندق، والاسم الزندقة، ورجل زنديق وزندقي: شديد البخل[٢].

وقد كان يطلق لفظ الزَندقة على "من يؤمن بالمانوية ويثبت أصلين أزليين للعالم: هما النور والظلمة. ثمَ اتسع المعنى من بعدهُ اتساعاً كبيرا" حتى أُطلق على كل صاحب بدعة وكل ملحد"[٣].

واشتمل التعريف أيضا" أصحاب المذاهب التي خالفت أهل السنة والجماعة، والشعراء أصحاب المجون[٤]، وهي كلمات دخيلة أصلها فارسي، وليس في كلام العرب كلمة زنديق، وهي تقال لشخص ملحد[٥]

والزنديق اصطلاحاً: هو الذي يظهر الإسلام ويخفي الكفر، وهو المنافق الذي كان في عهد النبوة[٦].

كان بشار بن برد مولى بن عقيل البصري من كبار الزنادقة، وممن أفصح منهم في شعره عن فسقه وفجوره، وإلحاده وكفره، وقد حمله على الزندقة دوافع عديدة، فقد كان بصيراً بالديانات الفارسية بصراً دقيقاً، عارفاً بها معرفة واسعة حتى لقد وصفه حمّاد عجرد بأنه أعلم بالزنادقة من ماني[٧]، وكان شعوبياً حاقداً كارهاً للعرب كرهاً شديداً معتداً بالفرس وحضارتهم اعتداداً بعيداً[٨]،

---

(١)الغامدي،سعيد بن ناصر،المرجعية، ص٢.
(٢)الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت ٢٤٤هـ)، الرد على الجهمية والزنادقة، ط٦، ج١، تحقيق: صبري سلامة، دار الثبات، ١٤٢٦هـ.، ج١، ص ١٤.
(٣) بدوي، أحمد زكي (١٤٠٧)، معجم المصطلحات الدراسات الإنسانية والفنون الجميلة، القاهرة. دار الكتاب المصري.، ص٤٥.
(٤)عطوان، حسين، الزندقة والشعوبية، ص ٤١.
(٥) لسان العرب مادة زندق، ابن منظور، ١٤٦/١٠.
(٦) عطوان، حسين، الزندقة والشعوبية، ص ٤١.
(٧) الأصفهاني،الأغاني، ج٤، ص ٣٢٨.
(٨) مرجع سابق، ج٣، ص ١٣٩.

وكان مثقفاً بمعارف عصره من الفلسفة والمنطق وعلم الكلام، فجعله ذلك حائراً متخبطاً[١]، وكان فوق ذلك كله مشوه الخلقة معتل النفس، متبرماً بالناس، يائساً مخذولاً[٢].

فإذا هو تحت تأثير هذه الدوافع يستحيل زنديقاً مارقاً من الدين، مرتكباً للكبائر، مستهتراً، مجاهرًا بالتعهّر والتهتك.

وليس من الضرورة لكي يكون زنديقاً أن نعزوه إلى هذه المذاهب أو ذاك من المذاهب الفارسية المنافية للإسلام، فإنه وأضرابه من الزنادقة لم يكونوا يعكفون على الماثوية أو المزدكية فقط، بل كانوا يعكفون عليهما وعلى غيرهما من الملل الفارسية وينهلون منها، ويخضعون في فكرهم وسلوكهم لها ومن أجل ذلك نراه مشوشاً في حياته وعقيدته، شاكاً في البعث والحساب غير مؤمن إلا بما عاينهُ وما وقعت حواسه على مثله[٣]. ونراه بتأثير العقائد الفارسية ينحاز إلى غلاة الشيعة[٤].

وينتظم في فرقة الكاملية وهي من أكثر فرق الشيعة إمعاناً في التطرّف والغلو، ويدين بالرجعة، ويكفّر جميع الأمة [٥].

وكل أولئك قرائن تثبت إلحاده وجحوده وإطلاعه على الملل الفارسية غير أن بجانبها شواهد تدلُّ على زندقته دلالة قوية فقد كان يقدّس النار، وينوه بعبادتها ويفضلها على الأرض، بمثل قوله[٦].

الأرضُ مظلمةٌ والنارُ مشرقةٌ   والنارُ معبودةٌ مذ كانت النارُ

وكان يقدم إبليس مخلوق من النار على آدم لأنه مخلوق من الطين، ويصوّب رأي إبليس في امتناعه في السجود لآدم، كما هو واضح في قوله: [٧].

إبليسُ خيرٌ من أبيكم آدم   فتنبهوا يا معشَر الفجار

(١) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ١٤٧.
(٢) مرجع سابق، ج٣، ص ١٤١، البكري، أبو عبيدة (١٩٣٦)، سمط اللآلئ في شرح الآمالي، مصر: لجنة التأليف والترجمة والنشر.، ص ١٣٩.
(٣) مرجع سابق، ج٣، ص ١٤١،االبكري الأمالي، ص ١٣٨.
(٤) مرجع سابق، ج٣، ص ١٥٦.
(٥) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ٣٠-٣٥.
(٦) مرجع سابق، ج١، ص ٢٩. ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص٧٨.
(٧)الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ١٨٥. ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص٧٨.

إبليس منْ نارٍ وآدم طينةٌ　　　والأرضُ لا تَسمو سمّو النارِ

ولعله لذلك كان مستخفاً بالدين، مضيعاً للفروض، إذ كان يدّعي الخروج إلى الحج، لينفي عنه تهمة الزندقة، ثم يعرج على الحانات فيقضي وقت الحج بين القيان والخمر، حتى إذا قربت عودة الحجيج حلق رأسه واندس بين القافلين المارين به منهم، لكي لا يشك الناس في أمره كما كان يبيح لنفسه ترك الصلاة مع الجماعة مدّعياً أنه لا يبصر ولا يتقن أداءها مع المصلين إذا يقول[١].

وإنني في الصلاةِ أحضُرُها　　　ضحكةُ أهلِ الصلاةِ إنْ شَهِدوا

اقعدُ في سجدةٍ إذا ركَعوا　　　وارفعُ الرأسَ إنْ هُم سَجَدُوا

ويبدو أنه لم يكن صادقاً في دفاعه عن نفسه واقناعه للناس بعدم التعرّض له لتخلّفه عن صلاة الجماعة، فإنه كان لا يصلي في بيته إذ يقول بعض أصحابه:" كنا نكون عنده، فإذا حضرت الصلاة قمنا إليها، وجعلنا على ثيابه تراباً حتى ننظر هل يقوم يصلي، فكنا نعود والتراب بحاله وما صلى[٢].

ومما يوثق اتهامه بالزندقة تعاطفه مع قتلى الزنادقة، ورثاؤهُ لهم، وحزنه عليهم فهو يقول في جماعة فهم[٣]:

كيفَ يَصفو ليَّ النعيمُ وَحيداً　　　والأخَلاءُ في المقابرِ هامُ

نفستُهم عليّ أمُّ المَنايا　　　فأنامتهم بعنفٍ فناموا

لا يغيضُ انسجامُ عِيني عَليهم　　　إنَّما غايةُ الحزينِ السَّجامُ

ومن المظاهر العملية لزندقته خلاعته ومجانته، وافحاشه في غزله افحاشاً شديدا نهاه المهدي عنه، لإفساده الفتيان والفتيات وهو غزل كان يتعهّر في بعضه تعهّراً، ويفجر فيه فجوراً

---

(١)البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت ٣٢٠هـ)، المحاسن والمساوئ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر: دار المعارف، ١٩٩١.، ص ٣٥٨. . ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص٧٨. . ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص٤٧.

(٢)الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ٢٢٢، الأمالي، ج١، ص ١٣٨.

(٣)عطوان،حسين، الزندقةوالشعوبية،ص٤٤. ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص١٧٨.

كما في هذه الأبيات التي صور فيها تغريره بفتاة صغيرة وعبثه بها، وتزيينه لها أن تخفي أمرها على أمها بحيلة دلّها عليها ويقول(١):

قدْ لامَني في خَليلتي عُمَرُ	**واللومُ في غيرِ كُنْهِهِ ضَجَرُ**
حَسْبي وحَسْبُ الذي كلفتُ به	**مني ومنهُ الحديثُ والنظرُ**
أو قبلة في خلال ذاك وما	**بأسٌ إذا لم تَحَلَّ لي الأزُر**

إنه لا يكترث في غزله لخلقٍ، ولا كان يرعى دينا، ولا كان يخشى سلطاناً. فقد جعل همه فيه أن يصف مباشرته للمرآة وصفاً سهلاً مفصلاً، محبباً إليها أن تنجرف في تيار الإثم والفسق، وأن تميل نحوه وتلين له، وتتهالك عليه.

ولعراقة زندقته وإباحته حاول الاحتجاج للمعصية، فأحلّ القبلة واجتناء زهرات الجسد، دون اكتراث للناس أو اتقاء لألسنتهم فالحياة فرصٌ، واستمتاع جسدي، بل هجوم على هذا الاستمتاع وما يطوي فيه من لذة(٢) ويقول(٣):

لا خيرَ في العيشِ إنْ كُنا كذا أبداً	**لا نلتَقي وَسبيلُ المُلتَقى نَهجُ**
قالوا حرامُ تلاقِينا فقد كذبوا	**ما في التزام ولا في قُبلةٍ حَرجُ**
من راقب الناس لم يَظفَر بحاجتِهِ	**وفازَ بالطيباتِ الفاتك اللّهجُ**

وعندما سمع المهدي بشار يؤذن وهو سكران أمر بضربه بالسوط سبعين مرة ومات على إثرها بشار ولم يقتل لأنه زنديق بل قُتل لمجونه.

الشعوبية:

"الشعوبية هي حركة ثقافية حضاريةٌ مناهضة للعرب، كان العراق هو المسرح الذي ظهرت عليه، وترعرعت فيه، لأنه كان ملتقى العنصر العربي الغالب بالعنصر الفارسي المغلوب"(٤) كما

---

(١) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، ص ٢١٨. ابن عاشور،الديوان،ج٣،ص١٧٠.
(٢) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ٢٠٠.
(٣) النهج: الطريق الواضح. اللهج: المقدام. ابن عاشور،الديوان،ج٢،ص٧٥.
(٤) عطوان، حسين، الزندقة والشعوبية، ص١٤٩.

أنها حركة بدأت في منتصف النصف الثاني من القرن الأول هجري، وبقيت مستمرة خلال العصر الأموي حتى سقوط الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية[١].

الشعوبية كما ذكر عبد العزيز الدّوري"أنها كما يظهر، حركة تنادي باسم المبادئ الإسلامية الداعية إلى مساواة الموالي بالعرب"[٢].

ولم تشع الشعوبية بين الموالي الفرس فقط، بل امتدت إلى سائر الأمم التي أذعنت للعرب، كالقبط، والزنج[٣]وغيرهم، وجمع بين هؤلاء الشعوبية على اختلاف أصولهم وأجناسهم وفي الدولة العباسية زاد عددهم وتولوا المناصب الرفيعة.

لعل بشار بن برد هو أكبر ممثّل للشعوبية إذ يرسم شعره التطوّر التاريخي لحركتهم، مصوراً انبثاق شعورهم القومي، وانبعاث تطلعهم إلى الظهور والتميّز من العرب، والتخلّي عن الولاء فيهم، ومشخصاً تصاعد إحساسهم بكيانهم وبداية معارضة للعرب، وقد ارتفعت منزلتهم في عهد أبي جعفر المنصور[٤]. وقد افتخر بشار بماضيه وسخطه على العرب.

فلما أطاح العباسيون بالأمويين، وقوضوا سلطانهم عندها رفعوا من قدر الخرسانيين، لذا ضعف شعور بشار بالانتماء إلى العرب وأخذ يتأثر بالشعارات الإسلامية التي أطلقها العباسيون معلنين فيها أنّ العرب وغيرهم من المسلمين متكافئون متساوون في الحقوق والواجبات، لا فرق بينهم[٥]. فمهد ذلك إلى التبرؤ من ولائه للعرب فإذا هو يهتف أنه مولى لله، وأن الاعتصام بحبله خير من مُحالفةِ أعز القبائل وأقواها كقريش إذا يقول[٦].

أصبحت مولى ذي الجلالِ وبعضُهمْ   مولى العُريبِ فَجد بفضْلِكَ وافخرِ

مولاكَ أكرمُ من تميمٍ كلّها   أهلُ الفَعالِ ومَنْ قريشِ المَشْعَرِ

فارجعْ إلى مولاكَ غيرَ مدافعِ   سُبحانَ مولاكَ الأجلِّ الأكبرِ

وبذلك يصور تنازله عن ولائه في بني عقيل، وتنكره للعرب، وادعاؤه الالتجاء إلى الله والاعتماد عليه، المرحلة الأولى من كفره بالعرب، ثم إنه عندما رأى العباسيين يستمرون في

(١)عطوان، حسين، الزندقة والشعوبية، ص١٤٩.
(٢)الدوري، عبد العزيز، (١٩٨٦)، الجذور التاريخية للشعوبية، ط٤، بيروت :دار الطليعة.، ص ١٢.
(٣)عطوان، حسين، الزندقة والشعوبية، ص١٥٢.
(٤) الطبري، تاريخ الطبري، ج٨، ص ٩٢.
(٥) تاريخ الطبري، ج٧، ص ٤٢٧.
(٦)الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ١٣٩. ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص٦٢.

تألفهم للموالي والخراسانيين، راح يصرّح بنسبة الخرساني ويفتخر به، مدَّعيا أنه من سلالة ملوك العجم فيقول[١].

أنا ابنُ ملوكِ الأعجمين تقطّعتْ   عليَّ ولي في العامرينَ عمادُ

وحتى رسخ وجود الفرس في المجتمع العباسي، لم يعد يعبأ بالعرب، ولا يبالي بلومهم، وأسفر عن شعوبيته الحاقدة البغيضة، وكفر بالعرب والعروبة.

إذ يقول[٢]:

وإني لَمنْ قومٍ خراسانُ دارَهمُ   كرامٍ وفرعي فيهم ناضرٌ بسقُ

وأصبح يهاجم الأعراب مزرياً بحياتهم الوعرة القاسية، ومآكلهم الفظة، وملابسهم الغليظة، وأنسابهم المغمورة، معلياً نفسه عليهم فيقول[٣]:

وإنكَ من قومٍ عَليهم غضاضةٌ   ترى غَيراً بالنفسِ من عَيشها النَكدِ

وذكر المهدي نفسه بأنهم هم الذين انتزعوا الخلافة له ولقومه، وأنهم هم الذين رفعوه إلى الملك، وأحاطوا به يذودون عنه، ويقول[٤]:

دونَ الخليفةِ منا ظلٌّ مأسدة   ومن خراسانَ جندٌ بعدَ أجنادِ

في كلِّ يومٍ لنا عيدٌ وملحمةٌ   حتى سبأنا بأسيافٍ وأغمادِ

حتى ضَرَبنا على المَهدي قُبَتهُ   فُسطاط ملكٍ بأطنابٍ وأوتادِ

وهو يبلغ بذلك أقصى غاية للشعوبية، ويعبر عن أعلى درجات الوعي القومي الفارسي الخرساني، وفي ذلك ما يكشف على أن بشار كان من أخطر دعاة الشعوبية، فقد كان من أشدهم حقداً على العرب، وأكثرهم إزراء لهم، وأطولهم افتخاراً بالفرس، ولم يقف في شعوبيته ضد العرب بل كان يثقف الموالي ويوعيهم بضرورة العودة إلى أجناسهم والتمسك بتراثهم.

وشعر بشار في الشعوبية يشتمل على بعض مسائل الخلاف بين العرب والموالي[٥].

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج٣، ص ١٠٥.
(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣، ص ٥٧. ابن عاشور،الديوان،ج٤،ص١١٥.
(٣) الأصفهاني،الأغاني، ج٣، ص ١٤٩.
(٤) ابن عاشور، الديوان، ج٢، ص ٣٠٣.
(٥) عطوان، حسين، الزندقة والشعوبية، ص ١٧٧.

الفصل الثالث

القراءة النقدية الثقافية

الصدق والكذب

الانسجام والتناقض

أساليب الإثبات والنفي

النقد والتحليل وسيلة لسبر أغوار نفس الشاعر وإظهار مكنوناته الداخلية لنكتشف عمق الفكرة والقدرة على إثبات ما يذهب إليه في المعتقد، والتحليل يسهم في كشف هوية الشاعر وأيدولوجيته ونظرته للحياة، وما يحمله من طروحات وأفكار، ومن مشاعر وأحاسيس مدفونة.

إن استخدام أساليب الجمل في الشعر تسعى لإقناع المتلقي بمكنونات نفسه بأسلوب متوافق عقلياً مع جمال التوافق بين اللفظ والمعنى .

وسنسعى في هذا الفصل إلى الكشف عن تلك المعتقدات عبر بيان منازل الصدق والكذب ليتبين لنا بعد ذلك انسجام بشار بن يرد مع نفسه أو تناقضه عبر عرض الشعر على بعضه ليكون ذلك جليًا في الأساليب التي اتبعها لإثبات ما ذهب إليه أو نفي ما لا يعتقد به.

الصدق والكذب

مفهوم الصدق والكذب

الصدق: مطابقة الكلام لمقتضى الحال، أي مخاطبة كل إنسان بما هو عليه ويستحقه.

والصدق: مطابقة الواقع وهو أن يعد لكلّ معنى ما يليق من لفظ.

القصد للصدق: يعني اكتمال الصفة، بحيث لا يمكن الزيادة عليها(١).

الكذب: مخالفة الواقع، وهو ضرب من ضروب الخيال (الاتساع والتّخيُّل).

الغلو: عندما يصل الخيال إلى مرحلة يتجاوز الحد المعقول عادة وعقلاً، والغلو هو الإفراط في الكذب.

المبالغة الممقوتة: خروج الشاعر عن نواميس الطبيعة وتجاوز الحدود إلى مبالغات تخطاها إلى المستحيل (حتى يشيب الغراب).

يقول بشار بن برد(٢):

إذا ما غَضِبنا غَضبةً مُضريةً   هَتَكْنا حجابَ الشمسِ أو نقطر الدما

---

(١) ابن طباطبا، محمد بن أحمد (١١٣٥هـ)، عيار الشعر، تحقيق: طه الهاجري، المكتبة التجارية، ص ١٤٧.
(٢) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ١٦٣.

إن دلالة هذه المبالغة في تؤكد غضبه ،فكان صدى عدائه لمضر كبيرًا مجلجلًا ،بل إن هذا البيت يتكرر على لسان من هم في مثل تلك الحال في الفخر على العدو على الرغم من أن المبالغة في الفخر تُجافي الواقع بل مبالغة ممقوتة بغيضة إلى النفس لا سيما حين استخدم الجملة (هتكناهُ)، والهتك التب تتصل بالعرض والشرف ألا أن أثرها يؤكد معرفة الشاعر منازل ذلك عند العرب .

ويرى ابن طباطبا أن الصدق أنواع[١]:

- الصدق الأخلاقي: نقل الحقيقة الأخلاقية على حالها في المدح والهجاء وهو عيارٌ لحسن الشعر ومطابقة الحال.
- الصدق الذاتي: يكشف المعاني المختلجة في النفس والتصريح بما يكتم فيها، والاعتراف بالحق في جميعها (تجربة الشاعر).
- الصدق الفني: مطابقة اللفظ والمعنى، والموافقة بين الفهم والمعنى وهو أصالة الشاعر في تعبيره عن نفسه لا إلى العبارات الموروثة.
- الصدق التاريخي: وهو نقل الأحداث بأمانة دون زيادة أو نقصان.
- الصدق التصويري: صدق التشبيه، تشبيه الشيء بمثله صدقاً ومطابقة للحال.
- الصدق في الصورة أو الصدق في التشبيه، الالتقاء بين المشبه والمشبه به (مطابقة الكلام بمقتضى الحال) أي مخاطبة الملوك بما يستحقونه من جليل المخاطبات، كما يبتعد عن أن يرفع العامة إلى درجات الملوك.

وصدق التشبيه هو أن يعد لكل معنى ما يليق من الألفاظ. ومعيار الصدق عند النقاد تعبير عن الأشياء كما هي مما تدركه الحواس وتؤثر على عواطفنا.

والصدق عند ابن طباطبا: صدق طبع الشعر الحديث بطابع الشعر القديم والصدق في الشعر لديه قرينان[٢].

---

(١) ابن طباطبا، عيار الشعر، ص ١٤٩.
(٢) مرجع سابق، ١٤٩

آراء النقاد القدامى في الصدق والكذب:

يقول الجرجاني:" الصدق ترك الإغراق والمبالغة والتجاوز إلى التحقيق والتصحيح، واعتماد ما يجري من العقل على أصل صحيح أحب إليه وأثره عنده"[١].

ويقول قدامة بن جعفر:" مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين، بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً ثم يذمه بعد ذلك ذمّاً غير منكر له، ويرى الصدق هو التعبير عن أصالة الشاعر ورجوعه إلى ذاته"[٢].

ويقول أبو هلال العسكري:" إن الشعر أكثرُه قد بني على الكذب والاستحالة من الصفات الممتنعة والنعوت الخارجة عن العادات لاسيما الشعر الجاهلي وليس يراد منه إلا حسن اللفظ وجودة المعنى"[٣]

ويقول ابن سنان الخفاجي:" الشاعر عليه أن يختار كلمات تقربه من الحقيقة من مثل (كاد) وما جرى معناها"[٤].

ابن الأثير من أنصار أعذب الشعر أكذبهُ حيث جعل الكذب درجات مستحسن وغير مستحين[٥].

ويقول أحد النقاد: "ومن قال أعذب الشعر أكذبه ذهب إلى الصنعة حيث يعتمد على الاتساع والتخيل ويدعي الحقيقة فيما أصله التقرير والتمثيل ويذهب بالقول مذهب المبالغة والإغراق في المدح أو الذم، وهذا يجد الشاعر فيه سبيلاً إلى أن يبدع ويزيد من احترام الصور"[٦].

---

(١) الجرجاني، عبد القاهر (١٩٩١)، أشهر البلاغة، تحقيق محمد شاكر أو فهر، مصر، مكتبة الخانجي، ص ٢٠٠.

(٢) قدامة ابن جعفر (١٩٤٨)، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مصر، مكتبة الخانجي، ص ٨٧.

(٣) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، تحقيق، علي محمد البيجاوي، القاهرة، دار إحياء المعارف، ص ١٧٥.

(٤) الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان الحلبي، (١٩٨٢)، سر الفصاحة، مصر، دار الكتب العلمية، ص ١٨٧.

(٥) ابن الأثير، ضياء الدين، نصر الله بن محمد (٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب، تحقيق أحمد الحوفي، القاهرة: دار النهضة، مصر للطباعة، ص ٩٧.

(٦)عطوي،علي ،بشار بن برد،ص١٢٩.

ابن طباطبا من أنصار أعذب الشعر أصدقه" حيث جعل الصدق من أهم عناصر الشعر وأكبر مزاياه"[١].

والنقاد على العموم يفرقون بين صدق الواقع ووصف وقائع الأحداث كما هي، والصدق الفني الذي يعني أصالة الكاتب في تعبيره ورجوعه إلى نفسه.

ويقول ابن طباطبا[٢]:" وبحسن الشعر فيقول الفهم إياه، وهي موافقته للحال التي يعد معناه لها"، كالمدح في حال المفاخرة، والتحريض على القتال عند التقاء الأقران وطلب المغالبة والصدق الغني هو البلاغة ومجيء الكلام موافقاً كحال السامعين".

ولما قيل لأبي عمرو بن العلاء[٣]، من أبدع الناس بيتاً وصدقاً؟ فقال: الذي يقول[٤]:

لم يَطِلُ ليلي ولكنْ لمَ أنمْ	**ونفى عني الكرى طيفَ ألم**
رَوِّحي عني قليلاً واعلمي	**أنني يا عبدُ من لحم ودمْ**

بينما نرى أن أبا عمر بن العلاء تفاخر بهذه الأبيات نرى الجرجاني يقول نقيض ذلك، فقال: "لم أنم ثم رغم الطيف ألم به، وهو لا يلمُ إلا بنائم وهذا النوع من الكذب."

ويقول المزرباني: "أن بشاراً بارعٌ في الوصف وهناك مبالغة في شعره، حين يجعل ممدوحه يجمع بين الشجاعة الخارقة والكرم الذي لا حدود له، فهو يدافع عنها من شر الأعداء "فهو يقول[٥].

فتى لا يبيتُ على دمعةٍ	**ولا يشربُ الماءَ إلى بَدمْ**
يحبُ العطاء وسفك الدماءِ	**فيغدو على نغم أو نِعَمْ**

---

(١) ابن طباطبا العلوي، محمد بن أحمد (١١٣٥هـ)، عيار الشعر، تحقيق: الهاجري، المكتبة التجارية، ص ١٤٥.
(٢) مرجع سابق، ص ١٤٦.
(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ١٤٢.
(٤) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص١٦٦.
(٥) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص١٤٩.

ويرى الأصمعي:" أن بشاراً جاد وهازل، والجدية والهزل عند الأصمعي أمر طارئ يمكن أن يتكيف معه الإنسان ساعة ما يريد"(١).

ولم يكن النقاد القدامى هم وحدهم المعجبين بشعر بشار بل كان هو نفسه متفاخراً به أمام الناس(٢).

وكان متكبرًا كثير الاعتداد بنفسه، لا يرى فوقه شاعرًا ولا عالمًا، وتكبره جعله شديد الافتخار بنسبه، حتى لا يجد له معادلًا غير قريش وكسرى، وجعله يشبب بجمال صورته على ما فيها من دمامة وقبح، وبغضه للناس جعله كثير التهكم بهم، والسخرية صفة لازمة لبشار، فإنه يستهزئ بكل شيء. والصدق كما يراه الباحث حسن استخدام التعبير المناسب وحسن تجاوب الشاعر مع مجتمعه، وحسن التعبير عن عاطفته ونفسه، وحسن تصوير أحاسيس مجتمعه، فالشاعر الصادق مرآة لما في مجتمعه من أحداث يتعلمها بعاطفة صادقة، ومنطق عقلي راقٍ.

أما الصدق عند بشار فمعاييره متعددة ومختلفة في آن واحد، فإذا شهد العقل بصحة الكلام فهذا صدق، والكذب مرادف للغلو وهو قائم على التخيّل فليس فيه من الأقاويل البراهنية من دليل وهناك مقاربة كبيرة بين الكذب والتخُيّل (٣).

والصدق عند بشار في الرثاء يكون نابعاً عن عاطفة ولا سيما عندما يرثي بحرقة صادقة كتلك التي قالها حين فقد ولده، وأما المدح والهجاء فلا يخلو من المبالغة والتخيل بهدف التكسب، هذا الهدف الذي كان يسعى إليه جعله لا يحفل بالممدوح حقًا إلا بمقدار العطايا التي يدرك أنه سيجنيها، وبشار كان يتخذ المدح آلة للتكسب، لا شغفاً بمناقب الممدوح أو كلفاً به، فهو لا يملك عاطفة تهز فؤاده ولا يخلص في مدحه لأحد فقد مدح سليمان بن هشام فلما استقل عطاءه هجاهُ، ومدح المهدي فلما أعرض عنه لم يحجم عن هجوه والقول فيه" كذب أملي لأنني كذّبت في قولي، فهو يعترف بأنه مدحه كذباً" (٤).

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ١٦٣
(٢)عطوي، بشار بن برد، ص ١٣١
(٣) العقاد، أدباء العرب ، ص٥٢.
(٤) مرجع سابق ، ص٥٠.

وتظاهر بالتشيع للعلويين شأن أبناء الفرس فلما ثار إبراهيم بن الحسن على المنصور أرسل إليه قصيده ومدحه بها ويهدد الخليفة فلما علم أن إبراهيم قُتل لم يأنف في إنكار تشيعه فغيّر، القصيدة وجعلها في مدح المنصور هذه حقيقة الكذب(١).

الصدق في شعر بشار

في مرثاة ابنه نجد عاطفة قوية صادقة، وأن معانيها كبيرة، ومرثية بشار مزيج بين الأسلوب القديم (العربي) والأسلوب المولد (الفارسي)، ويظهر عاطفة الأب المفجوع بفقدان ولده وفي هذه المرثية نجد نقمة على القدر ويقول (٢):

أجارتنا لا تَجزَعي وأنيبي   أتاني من الموتِ المُطِلِّ نصيبي

بنى على رغمي وسُخطي رُزئتُه   وبُدلَ أحجاراً وجالَ قليبِ

وكان كريحان الغصونِ تخالهُ   ذوى بعد إشراق، يَسُرّ، وطيب

ويقول العقاد" لم يصل من رثاء بشار إلا شيء قليل، ونحسب أن الشاعر لم يجعل بهذا الفن لقلّة الانتفاع به، فهو إنما كان يعني بإرضاء ممدوحه حياً ليتكسب منه، ولم يكن يهمه أن يمدحهُ ميتاً ألم يتوقع خيراً بعد ذلك"(٣).

وسبق وقلنا أن من صور الصدق موافقة المشبه للمشبه به في الصدق التصويري وهذا يتفق مع قول بشار حيث لا يذكر بشار إلا ذكر معه على الفور بيته المشهور(٤):

كأنَ مثارُ النقع فوق رؤوسهم   وأسيافنا ليل تهاوى كواكبُهُ

وبالرغم من أنه أعمى فقد أحسن التشبيه، حيث صور الحرب والسيوف والسهام تتساقط فوق الرؤوس كصورة الشهب والكواكب المتناثرة في الليل، ووجه الشبه شيء أبيض في محيط أسود وهي صورة صادقة وجميلة ولعله ومن أجمل ما قاله بشار.

---

(١) العقاد، أدباء العرب، ص٥٠.
(٢) ابن عاشور الديوان، ج١، ص٢٥٥.
(٣) العقاد، أدباء العرب ، ص٥٥.
(٤) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ١١٣. طه حسين، حديث الأربعاء، ص ١٩٣.

ولعله كان يصدق في موضعين اثنين في شعر، يصدق حين يهجو، لأنه يضع يده على موضع العيب في أخلاقهم وسيرتهم، وإنما أريد أنه يصدق حين يهجو لأنه يصف نفسه ويمثل سخطه من الناس ويصدق حين يذكر نفسه وسوء مكانه من الناس، وعند حرمانه من العطايا فيصدق في هجائهم ما أحسب أنك تخالفني في استحسان هذه الأبيات وصدق الشاعر فيها، وهي التي قالها حين مدح المهدي، وألح في مدحه، فحرمه المهدي وألح في حرمانه(١):

خليليَّ إن العُسرَ سوف يفيقُ   **وإن يساراً في غدٍ لخليقُ**

وما كنت إلا كالزمان إذا صَحا   **صحوتُ وإن ماقَ الزمان أفوقُ**

خليلي إنّ المال ليس بنافع   **إذا لم ينل منهُ أخٌ وصديقُ**

ألست تحسن معي أن الشاعر صادق متأثر؟ وأن تأثره هذا مؤثراً أيضاً ولا يتكلف الشاعر الكرم لأنه لم يكن بخيلاً وإنما كان كريماً(٢).

ويتجلى الصدق في التصوير حين يحسن جمع المعاني وتكثيفها في لفظ موجز يوصل المعنى المراد بأقل لفظ وانظر إلى حسن التشبيه وموافقة المشبه والمشبه به حين يصف عذاب الهوى له فقد أضناه روحاً وجسداً، ثم يعمق في غربته النفسية فيذكر إعراض الصحب عنه.

واعتزاله ليالي السمر، مشبهاً نفسه بالطير الظمآن الذي حبس فلا يستطيع ورود الماء، ليصل إلى مقاربه حاله تلك بأنه يرى شفاءه وما به يداوي آلامه إلا أنه يحول بينه وبين شفائه أهوال ومصاعب شاقة، فلا الشفاء يأتي ليخلصه من ألآمه، ولا الهوى يترك في نفسه وجسده شيئاً لشده وقعه واستعار ألمه فيقول(٣):

لمَّا رأيتُ الهوى يبري بمُد يته   **لحمي وحلاتي الزوار السمرُ**

أصبحت كالخاتم الحرانِ محتبساً   **ولم يقضِ وردٌ ولا يرجى له صدرُ**

يرعي الشفاء وأهوالاً تروعُهُ   **دون الشقاء فلا يأتي ولا يذرُ**

---

(١) طه حسين، حديث الأربعاء، ص ١٩٤، ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ١١٣.
(٢) مرجع سابق، ص ١٩٤.
(٣) ابن عاشور، الديوان، ج٣، ص ١٥٩.

الكذب في شعر بشار

لقد تنازل بشار عن ولائه للعرب، وتنكر لهم وراح يصرخ بنسبه الفارسي ويفتخر به، مدعياً أنه من سلالة الملوك (ملوك العجم) فقال(١):

أنا ابن ملوك الأعجمين تقطّعت   علي ولي في العامرين عمادُ

وهذا ليس صحيحاً فبشار والده طيناً ومن أسرة فقيرة، واخترع تخيلاً لهذا النسب لأن العرب لا تعرف إلا سَيَّر الملوك.

ويقول بشار أنه يرى المال لا يكسب العز والحمد بل عمله الصالح هو الذي يرفع قدره ويقول في البيت(٢):

وما كنتُ إلا كالأصمِّ أبُ جعفرٍ   رأى المالَ لا يبقى فأبقى له حمداً

فهو يريد أن يشبه نفسه بجعفر بن سليمان، حيث يرى أن المال لا يبقى الذكر الحسن وحده إذا لم يقرن عمله بالصالحات وسيرة بشار تكذب فهو يسعى إلى التكسب حتى في الهجاء فضلاً عن زندقته وكفره، ومجاهرة فكيف يصدر منه ما ينافي سلوكه الفعلي.

وهو الذي يقول(٣):

والأرض مظلمةٌ والنار مشرقةٌ   والنارُ معبودةٌ مذ كانت النار.

ويقول بشار(٤):

يصدقُ في دينه وموعدهِ   نعم ويعطي الندى على كذبهِ

الشاعر يثنى على ممدوحه حيث يعطي الجوائز التي يعدُ بها، وأن موعده نافذ لا يخلفه والخليفة يكرمه بالعطايا على كذبه، والمراد بالكذب شعرهُ الذي يشتمل المبالغات والتجاوز، فهو لا يصدق في كلامه ولا يحمل محمل الجد، الخيال ومخالفة الواقع كثيراً الكذب.

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج٣، ص ١٠٥.
(٢) مرجع سابق، ج٣، ص ٥٨.
(٣) مرجع سابق، ج٤، ص ٧٨.
(٤) مرجع سابق، ج٢، ص ١٨٢.

ويقول بشار[١]:

كلُّ أمرئ تاركٌ أحبتَه   وصائرٌ تُربة من البلدِ

يعطى نفسه جرعة من الزهد ليخفف من تبعات هذا الحب، ولذلك يدعو نفسه أن تتعظ بالموت وهو قريب، وهو يركز على مفارقة الأحباب، وأنه لا بد من ترك الإنسان أحبته فمصيره الموت، فهو يزهد بالدنيا وزخرفها ويدعو للاستعداد للآخرة وهذا بيت وأن صدق اللفظ والمعنى إلا أنه لا يوافق واقع بشار فهو يخاف الموت،ولكن لا يستعد له فيهرب منه إلى الملذات والمتع الجسدية. كما أنه غزله مادي حرف فهو يصرح بميله إلى إليها، فمعظم شعره في الغزل بعيد عن العاطفة.

انظر إلى محبوبته التي قال البيت السابق بها ماذا يقول فيها[٢]:

وقالت سلمى، فيك عنا جلادة   محلك دانٍ والزيارة عن عُفرِ

أخي في الهوى، ماليّ أراكَ جفوتنا   وقد كنتَ تقفونا على العسرِ واليُسرِ

ويقول بشار[٣]:

إذا لم تخشّ عاقبة الليالي   ولم تستح فافعلْ ما تَشاءُ

يرغب الشاعر في خلق الحياء والنظر في مآلات وعواقب الأفعال التي يقوم بها، فخلق الحياء هو المانع للنفس عن دناءات النفس فهو حصن حصين، وإذا انتزع خلق الحياء من النفس فإنها لا ترتدع عن فعل أي شيء ترغبه وإن صدق اللفظ والمعنى لكن الواقع يكذبه فتهالكه على اللذة والمجاهرة بها لا يوافق واقع البيت الشعري.

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ٢٧٣.
(٢) مرجع سابق، ج٤، ص ٧٤.
(٣) مرجع سابق، ج٤، ص ٧.

المبالغة والغلو في شعره

في الهجاء يسرف في هجائه المقذع فيهجو عالم النحو سيبويه، وذلك أن سيبويه كان قد أخذ عليه المآخذ واللغوية وهو يقول[١]:

أسبيويه يا بن الفارسية والذي ... تحدّثنا عن شتى وما كنت تنبذ

أظلت تغني سادِراً في مساءتي ... وأمك بالمصربين تُعطي وتأخذ

نلاحظ الإفراط والغلو في الهجاء وكثرة جريان الألفاظ البذيئة على لسانه.

استخدام جملة يا بن الفارسية للتحقير، والفارسية امرأة تتزين للرجال، وإذا أراد أهل البصرة شتيمة إنسان قالوا له(يا ابن الفارسية). وذلك لأنه لم يستشهد بأشعار بشار. وقيل إن سيبويه عاب على بشار بعض الحروف خطأ، ومعنى ذلك أنهم عدّ بشار منحطًا لا يجوز الاستشهاد بشعره ، غير أن المرزباني يقول: "كان بشار أشد عصبية للفرس من أن يقول هذا أو يعنيه"(٢)

ومن الأشعار التي حملت المبالغة كقوله في الاستجلاء وطلب العطايا[٣]:

إن في بُردى جِسماً ناحِلاً ... لو تَوَكَأتْ عليه لا نهدم

فهو يدعي أنه ضعيف الجسم نحيل، ومن شدة ضعفه أنه لا يحتمل أن يلمسه أحد أو يتوكأ عليه فهو سينهار مع أنه من صفاته الجسدية أنه ضخم قوي البنية.

ومن الغلو في الهجاء للعرب والمبالغة في الإساءة لهم يقول[٤]:

وكنتُ إذا ظَمِئتُ إلى قراحِ ... شَرَكْتُ الكَلبَ في ذاكَ الإطَارِ

وهذا تحقير للإعراب وسخرية هزيلة منهم واصفًا نفسه حين كان يعيش في البادية حياة الكفاف وهو يصور نفسه متخلّف حين يشارك الكلب في شرب الماء وهذا مبالغة في تحقير العرب والادعاء كذبًا بتخلفهم.

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ٤٧.
(٢) الأغاني ج٣،ص١٢١. المرزباني، الموشح،ص٢٤٧.
(٣) ابن عاشور، الديوان، ج ٤، ص ١٦٦.
(٤) مرجع سابق، ج٤، ص ٢٣١.

وقال أبان بن عبد الحميد:" يا أبا معاذ أنت القائل[١]:

إن في بُردى جِسْمَاً ناحِلاً لو تَوَكأتْ عليه لانـهدمْ

وأنت القائل[٢]:

في حلتي جسم فتى ناحلٍ لو هبت الريحُ به طاحا

قال: نعم، قال: مما حملك على هذا الكذب؟ والله إني لأرى لو أن الله بعث الرياح التي أهلك بها الأمم الخالية ما حركتك من موقعك ولكن ما سلب الله سراجي أحد لا عوضه منها ذكاء وقلباً أو شجا صوت فما الذي عوضك الله منها؟ فقال: بشار عدم النظر إلى ابن فاعله مثلك منذ أربعين سنة. أكثر بشار من وصف نحوله على ضخامة جثته حتى أخذ الناس يضحكون منه، ويعاتبونه نكاية له، وهذا من الكذب الذي يدل على نفس طماعة مع هذا نبيت صورة ليست بعيدة وكاذبة من هذا الرجل الذي لم يكن جذاباً ولا خلاباً لا من الوجهة المعنوية ولا من الوجهة المادية[٣].

ويقول طه حسبن: " أخبار بشار تمثله منافقاً في سيرته يداري الناس ويتقيهم ليعيش ثم ينذرهم ويخفيهم لينعم بعيشه، ثم يسخر منهم متى أتيح له ذلك، وإذن فهو أقل الناس حظاً في صدق اللهجة والعاطفة، وإذا قرأت شعر بشار فلا ينبغي أن تبحث فيه عن شعوره وعواطفه، ولا عما يحس أو يؤمل بينه وبين نفسه، وإنما ينبغي أن تبحث فيه عما يريد أن يظهره، أو عما يريد أن يتكلف للناس من العواطف والشعور، والميل، ليس شعره شفافاً كشعر أبي نواس وحماد عجرد وإنما هو شعر كثيف صفيق لا يدُّل من نفس صاحبه على شيء، وهو كاذب أبداً لا يحفلُ بالكذب"(٤).

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ١٦٦.
(٢) مرجع سابق، ج٢، ص ١٥٢.
(٣) طه حسين، حديث الأربعاء، ص ١٩٥
(٤) مرجع سابق، ص ٢٠٢.النويهي، شخصية بشار،١٦١.

ويقول" هو إذن ليس بشاعر مخلص ولا صادق حين يمدح ولا حين ويتغزّل ولا حين يرثي"[١].

الأشعار التي تساير معتقداته:

كثيراً ما أعلن بشار آراء تخالف ما يقول به الإسلام، لقد أجمعت الأديان على أن آدم أفضل من إبليس وخصوصاً الإسلام، ومع ذلك رفع بشار صوته قائلا[٢]:

إبليسُ خيرٌ من أبيكمُ آدم　　　فتَنبهوا، يا معشر الفُجارِ

إبليسُ من نارٍ وآدم طينة　　　والطينُ لا يسمُو سُمو النارِ

ولم يكتف بذلك بل كفَّر المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكم بالكفر على الخلفاء الراشدين وخصَّ علياً بحملةٍ عنيفة[٣].

وكان بشار مستخفاً بالدين مضيعاً للفروض وكان يبيح لنفسه ترك الصلاة مدعياً كذباً أنه لا يقدر على أدائها مع المصلين لأنه أعمى[٤]:

وإنني في الصلاة أحْضُرُها　　　ضِحكَة أهلِ الصلاةِ إنْ شَهِدوا

اقعدُ في سَجدةٍ إذا ركعوا　　　وارفعُ الرأسَ إن هم سجدوا

ويبدو أنه لم يكن صادقاً في دفاعه عن نفسه واقناعه للناس بعدم التعرض له لتخلفه عن صلاة الجماعة كان يختلق الأعذار كذبًا ،فكونه أعمى يعجز عن متابعة الإمام ويساير حركات المصلين ، يحاول اقناع الآخرين بهذا العذر الواهي .

ويقول بشار[٥]:

فقلت لها ألقي الصلاة وأنثي　　　شفاعة من يأوى لحران مقصد

---

(١) طه حسين، حديث الأربعاء، ص ٢٠٢.النويهي ،شخصية بشار،١٦١.
(٢) ابن عاشور، الديوان، ج١، ص ٢٤٠.
(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ٢٩، الأصفهاني، ج٣، ص ١٤٥.
(٤) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص٤٧.
(٥) مرجع سابق، ج٢، ص ٢٠٧.

جلس مع محبوبته لطلوع الفجر فطلبت منه الصلاة، فأجابها أنني سألقي الصلاة وأتركها لأني سأعتمد على شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم التي خصها لأهل الكبائر فإنها ستشمله وهذا مبالغة في الاستخفاف بالقيم الدينية.

ويقول بشار[(١)]:

طبعتُ على ما فيّ غيرَ مُخيرٍ	**هوايَ ولو خيرتُ كنتُ المُهَذبا**
أريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد	**وغيّب عني أن أنا المغيبا**
وأصرف عن قصدي وعلمي مُبصرٌ	**فأمسي وما أعقب إلا التعجبا**

فقضية الإيمان بالقضاء والقدر واضح في أبياته هذه لكن ليس على الطريقة الإسلامية التي ترى أن الإنسان في بعض الوجوه مجبر لا مخيَّر في صنع أفعاله بل هو موجود على هذه الأرض أو في هذه الدنيا رغماً عنه، وأنه يعطى ما لا يريد ويحرم لما يريد كما أنه حائر في أمره كما أنه يسأل عن الأمور المحيطة فلا يجد جواباً وكل ما يعرفه هو ما عاينه في الأمس القريب أما عدا ذلك فهو يثير عنده التعجب فقضية الشك بالدين أو الممارسة الدينية ماثلة في ثنايا كلامه فإن كان متشككاً مكذبا بما يحيط به أو يسمعه فكيف يطلب منه القيام بالطقوس الدينية في وقتها ففكر بشار الحر الذي لا يخضع لغيره.

وانظر في الغلو والإفراط في غرور بشار أن جعل كلامه ككلام الخالق بل هو أحسن منه ولم يختر من كلام الله تعالى إلا سورة الحشر وسبب اختياره سورة الحشر لأن معناها في عنوانها فهي تذكرة بالموت وما بعده وأيدي بشار مليئة بالآثام ويقول[(٢)]: حين سمع جارته تغني شعره

إن الخليفة قد أبى	**وإذا أبى شيئاً أبيتهُ**
فخضب رخصي البنا	**ن بكى عليَّ وما بكيته**

طرب وقال: " هذا والله أحسن من سورة الحشر".

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج١، ص٢١٤٦، الأصفهاني، الأغاني، ص ٣، ص ٢٤٧.
(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ٢١١، ابن عاشور، الديوان، ج٢، ص ٢٥.

هل يخضع الشعر لمثالية الصدق والكذب؟

يقول طه حسين: "على أن صدق بشار قليل ونادر، وهو إن أخطأ الصدق والإخلاص فلن يخطئه الفن وحسن الصناعة فهو شاعر يعمل شعره ولا يصدر الشعر عنه عفواً، وبخاصة الشعر الجيد يستحق أن يبقى يروى فقد كان يصدر عن بشار في غير تكلّف ولا عناء، ويزعم بشار أن شعره الجيد لا يقل عن اثني عشر ألف بيت، ونجد في شعره متانة وجودة ورقة"[١].

ويقول الجرجاني:" أن القيمة في الشعر لا تتركز على المصداقية التي تتصف بها الموضوعات من عدمها، فإن اعتمد الشاعر الكذب فقد قصد الاتساع والتخيل وهناك يجد الشاعر سبيلاً إلى أن يبدع ويزيد ويشرع في اختراع الصور فتظهر قوته في الصياغة وتمهر في الصناعة"[٢].

ويقول ابن طباطبا:" وليس يعد شعراً من حيث هو صدق، ولا من حيث هو كذب بل من حيث هو كلام مخيل"، فهو يرى أن المسألة منطلق من طبيعة الشعر نفسها وابن طباطا في كتابه عيار الشعر طاف حول عدة معان للصدق لكنها كلها تؤمن بأن الأصلح للشعر هو الصدق[٣].

وان طباطبا أول من أثار قضية الصدق والكذب في الشعر وأنه يرى الجمال في التناسب والصدق صنو للتناسب الجمالي في القصيدة ثم إن التناسب عمل ذهني يعرض على العقل ليقبله أو يحكم فيه والعقل لا يطمئن إلا إلى الصدق ويستوحش من الكلام الجائر الباطل، ومن أوجه الصدق فهم المعنى فكل الأمور فيه مألوفة للنفس فالصدق مجيءُ الكلام موافقاً لحال السامعين[٤]:

وخلاصة القول إنه لا يمكن الوقوف بالصدق عند الحد المعروف له وهو مطابقة الواقع والكذب مخالفة الواقع، وخاصة حين نتحدّث عن فن له شأن خطير بالحياة، وهو الشعر لأن الواقع في دنيا الناس لا يجب أن يكون بالضرورة واقع دنيا الشعراء إذ لا مجال إلى الطعن في واقع الشعر، فالشاعر يتخيّل وبسبب الخيال يتشكل العمل الأدبي بإبداع، ويرسم الشاعر بخياله صوراً يجسد فيها فكرة أو عملاً فنياً.

---

(١) طه حسين، حديث الأربعاء، ص ٢٠٨.
(٢) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ٢١١.
(٣) ابن طباطا، عيار الشعر، ص ١٤٧.
(٤) مرجع سابق، ص ١٤٨.

والشعر كلما كانت فيه الصور مبتكرة ومتعددة الإيحاءات كان الشعر أكثر تأثيراً في الملتقى وإن كانت صورة تجافي الواقع، الكذب ميدانه التخيّل والتمثيل وقد يبنى الشعر على المبالغات والمجازات والاستعارات التي تعطي الشعر حلاوته وروحه وغموضه وأثره في المشاعر.

فأرى أن الصدق في الشعر وانسجامه مع الفن يحقق الترابط والصدق هو صدق التأثير على نفس المتلقي، وهو صدق الواقع بأجنحة الخيال المطلوب المعقول حتى يصل إلى الابداع والابتكار.

الانسجام والتناقض

لا شك أن ثَمَّة أموراً كان الانسجام فيها واضحاً في شعر بشار وشخصيته، وبعض الأمور كان التناقض فيها سيد الموقف، وسوف نتطرّق لأوجه الانسجام في شعر بشار وشخصيته وأوجه التناقض مركزين على بعض الحقائق التي توصلنا إليها مما سبق من الدراسة، وهي تفضيل بشار الفرس على العرب لأنه كان يفضل العقل عند الفرس أكثر من العرب، وبيان القيم العربية والفارسية المنسجمة والمتناقضة، والتركيز على مدى الكره والحب للعرب، من خلال المدح والهجاء.

كان بشار عالماً ً متكلّماً، ولولا اتهامه بالزندقة لعدَّ من كبار أئمة الدين وعرف بطول باعه في معرفة الغريب والوقوف على أساليب العرب الفصحاء وينتقد الشعر ويميّز صحيحه من منحوله، وصدق ظنه في تقدير جوائزه، فقد كان يزنه بمعيار تأثيره في نفس الممدوح، وأتيح لبشار أن يملك الشعر من ناحيته العبقرية والفن، فهو شاعر قوي يعود إلى الماضي ويربطه مع الحاضر بانسجام عجيب فيدعو القوافي فتستكين إليه سلسلة القيادة وهو شاعر مجدد ومطوّر مرهف الإحساس بالجمال الفني، ويتصرّف في الألفاظ والتعابير فيأتي بها ظريفة دقيقة المدلول مزدانة منتقاة[١].

نعم إنه كان عالمًا متكلمًا فقد رافق واصل بن عطاء كبير المعتزلة فبرع بعلم الكلام ،فضلًا عن ذلك فقد اجمع النقاد القدامى والدارسين المحدثين على أنه كان عالمًا بأحوال العرب وملمًا بوقائع التاريخ ومطلعًا على علم الأنساب لذا نجده منتقداً وناقدًا لشعر معاصريه.

---

(١) العقاد، أدباء العرب، ص ٤٧.الأصفهاني ،الأغاني، ج٣،ص١٥٥.

ومع ذلك كان شاعراً مضطرباً متحيّراً متشككاً حاقداً على العرب مفتخراً بأصله الفارسي محباً للحياة، مرتبكاً عند تذكُّر الموت، يعيش صراعات جعلت متنفسه المجون والشروع نحو لذة الجسد والمغامرة بذلك.

التناقض في المدح والهجاء

يمدح المهدي في الوقفة الطللية ولكنه لم يوفق في براعة الاستهلال لأن تحدث عن الفناء في مقام المدح(١):

واعضدُ أخَاهُ لا تتركنَّها   كساعد مفردٍ ليست له عَضُدُ

فاعقد له يا أميرَ المؤمنينَ   ولا تَنظر بذاك غداً، لا يغرُرنك غدُ

إنَّ الليالي والأيامُ فاجَعِةٌ   والمرءُ يفنى لا يبقى له الأبدُ

ويقول مادحاً المهدي(٢):

فإن جَزَوك بشكرٍ فالوفاء بهِ   وإن جَحدتَ فعادٌ قبلهم جَحَدوا

وقال بشار يهجو المهدي بعد أن أنشده قصيدة يمدحهُ بها ولم يحظ منه ما يريد فيقول(٣):

خليفةٌ يزني بعمامتهِ   يلعبُ بالدّبوق والصَّولجانِ

أبدّلنا اللهُ به غيرهُ   ودسَّ موسى في حُرِّ الخيزران

أية جرأة يمكن أن تصل إلى هذا المستوى عند بشار، وأية ألفاظ أشدُ إيلاماً من ألفاظه في هجائه، فالمهدي يلعب بلعبة حقيرة يلعب بها الصبيان، ثم تعرض لزوجته الخيزران ويبدو جلياً التناقض في مدح المهدي وهجائه.

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج٢، ص ٢٩٥.
(٢) مرجع سابق، ج٢، ص ٢٨٨.
(٣) مرجع سابق، ج٤، ص ٢٠٧.

التشيّع بين المدح والهجاء

ومن أوجه التناقض، مدح بشار واصل بن عطاء وفضّله على غيره من الخطباء الذين خطبوا عند عبد الله بن عبد العزيز لما تولى البصرة[١] حيث قال[٢]:

تكلّفوا القولُ، والأقوامُ قد حَفلوا وحبّروا خطباً ناهِيك من خُطبِ

قام مرتجلاً تعني بداهتُهُ كمرجِلِ القيَن لما حُفّ باللهبِ

وجانبَ الراءَ لم يشعر به أحدٌ قبلَ التصفّح والإغراق في الطَّلبِ

وكان الخوارج قد كفروا الإمام علياً فحمل عليهم واصل بن عطاء المعتزلي وأصحابه وجميع الشيعة وأهل السنة، فقام إليه بشار فهجاه معترِّضاً لعاهاته الجسدية[٣] فيقول[٤].

مالي أشايعُ غَزّالاً له عُنقٌ كنيق الدّو إنّ ولّى وإن قتلا

عُنقُ الزرافة مِا بَالي وبَالكم تكفرُون رجالاً كَفَّروا رَجُلا

يقول النويهي:" بشار لم ينته إلى الإلحاد أو الكفر، بل ظل متشككاً في كل شيء وهذا أساس بليتهِ، أنه ظل متردداً متشككاً لم يستطع أن ينتهي إلى الإيمان، ولم يستطع أن ينتهي إلى الإلحاد وبين التناقض يظن أنه وصل مرتبة الإيمان، فيقول[٥]:

كيف يبكي لمحبسٍ في طُلولِ مَن سَيفضِي لحبسِ يَومٍ طَويلِ

إنّ في البعثِ والحسابِ لشُغلا عن وقوفِ برسمِ دارِ مُحيلِ

ولكنه لا يلبث أن يعود إلى شكه القديم.

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٣٦.
(٢) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ١٤٠.
(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ٢٤٤.
(٤) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ١٤.
(٥) النهويهي، شخصية بشار، ص ٧٨، ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ١٥٢.

ويقول العقاد:" أنه يفتخر بتفقهه بالدين، وتضلعه من علم الكلام ورغم ذلك لا يصلي ولا يأبه للفروض وقد يدين بالجبرية ثم لا يلبث أن ينقضها فيقر بالبعث والحساب، وربما حنَّ إلى أصله المجوسي، ففضل النار على جميع العناصر وفضّل إبليس على آدم وبنيه[١].

الأرضُ مظلمةٌ والنارُ مشرقةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانت النارُ

يفتخر بالعرب عامة وقومه خاصة ويقف مدافعاً عن قومه ضد خصومه فيقول[٢]:

إذا ما غضبنا غضبةً مُضريّةً هتكنا حجابَ الشمسِ أو تقطرُ الدّماً

إذا ما أعرنا سيداً من قبيلةٍ ذُرى مَنبر صلَّى عَلينا وسلَّما

فبشار يفتخر بانتمائه إلى مُضر بأشد ما يكون الافتخار والعصبية القبلية، فغضبة بشار فيها العزة والقوة حتى درجة المبالغة في وصفها.

وها هو يفتخر بولائه في قيس ويقول[٣]:

آمنت مضرة الفحشاء أني أرى قبساً يشبُ تضره ولا يضارُ

كأنَّ الناسَ حينَ تغيبُ عَنهم نباتُ الأرضِ أخلفها والقِطارُ

هذه الصورة التي نرى فيها بشارًا يفتخر بالعرب ويعدد خصالهم الحميدة ،لكنه سرعان ما ينقلب عليهم فتراه ينتفض لكرامته انتفاضة المتألم من شيء جرحه، فها هو يحتقرُ العربُ ويظهر كرهه لهم فيقول[٤]:

وكنت إذا ظمئت إلى قراحٍ شركتُ الكلبَ في ذاك الإطارِ

وتُدلج للقنافذِ تدرّيها وينسيك المكَارمُ صيدُ فارِ

---

(١) العقاد، أدباء العرب، ص ٥٦، ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ٧٨.
(٢) ابن عاشور، الديوان، ج١، ص ٤٣.
(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ١٩٠، ابن عاشور، الديوان، ج٣، ص ٢٥٢.
(٤) ابن عاشور، الديوان، ج٣، ص ٢٣١.

بل تمادى بشار ليهجو أهل السلطان من العرب فيقول[١]:

ظلّ اليسارُ على العباسِ ممدودُ　　　وقلبهُ أبداً بالبخلِ معقودُ

وللبخيل على أموالهِ عِلِلٌ　　　زرقٌ العيونِ عليها أوجُهٌ سودُ

ولشدة كرهه للعرب، كان يتحين الفرص للنيل منهم انتقاماً.

وقد اختص بمدحه من العرب قيساً أو مضراً، فمدح قيس عيلان إلا أن شعره كان كثير التلوّن والتناقض في ولائه، شديد التعصب للعجم فمرة يفتخر بولائه لقيس ويتبرأ من ولائه للعرب فيقول في مدح قيس[٢]:

وقد عركَتْ بتدمُر خيلُ قيسٍ　　　فكان لتدمُرِ فيها دَمَارُ

بَحيّ من بني عجلانَ شوسٌ　　　يَسيرُ الموتُ حيثُ يقالُ سَاروا

ويقول متبرئًا من ولائه العرب[٣]:

أصبحتُ مَولى ذي الجلالِ، وبعضُهم　　　مولى العُريب فجدُ بفضلك وافخرِ

مولاك أكرم من تميم كلّها　　　أهلُ الفعالِ ومن قريشِ المعشرِ

وتتدرج أسباب كره بشار للعرب، أنه كان مولى وأعمى ،والموالى كانوا متخلفين في المجتمع الأموي، وكان فقيراً بائساً، فاندلع ينفس بفخره بعشيرته وأصولها وفي العصر العباسي تحوّل إلى الشعور بالعصبية، وحتى إذا رسم وجود الفرس في المجتمع العباسي، لم يعد يعجب بالعرب، ولا يبالي بلومهم، ولا يكترث لغضبهم فألقى عن وجهه القناع، وكفر بالعرب والعروبة فإذا مدح كان بالعنصر الفارسي.

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج٣، ص ١٢٧.
(٢) مرجع سابق، ج٣، ص ٢٥١.
(٣) مرجع سابق، ج٤، ص ٦٢.

أما عروبة منشئة وزيه ولسانه فأسقطها وأغفل ذكرها[١] إذا يقول[٢]:

وإني لمن قوم خرسانِ دارهم   كرامٌ   وفرعي فيهم ناضرُ بَسَقْ

ويقول مهاجماً العرب (الأعراب) مرزياً بحياتهم الوعرة بعد ما كان يمدحهم ومعلياً نفسه عليهم وملحقاً بها بأنباء ملوك الفرس والعجم فيقول[٣]:

تقولُ ابنتي إذا فاخَرتها غَريبةٌ   مؤزَرَةٌ بالوبر في شوذرٍ قددْ

لشتان ما بيني وبينك في التُّقى   وفي الحسبِ الزاكِي وفي العيشِ والحفَدْ

تحيّزه للفرس:

أن بشاراً كان فخوراً بأصله الفارسي إذ يعتقد أنه ينتمي إلى ملوك الفرس، وكذلك افتخر بأهل طخارستان عند المهدي، وكثيراً ما كان يضم إلى افتخاره بأصله الفارسي من جهة أبيه بأصله العربي من جهة أمه ويتعلق في شعره بولائه لعقيل بن كعب كقوله[٤]:

إنني من بني عُقيل بن كعبٍ   موضع السيف من طُلى الأعناق

ومن المواقف المشهورة التي تعرض لها بشار بن برد، موقفه مع المهدي عندما سأله، قائلاً: فيمن تعتد يا بشار؟

فقال:" أما اللسان والزّي فعربيان وأما الأصل فعجمي[٥] ثم أنشد يقول[٦]:

ألا أيُها السّائلي جَاهِداً   ليعرفني أنا أنفُ الكرم

نَمَت في الكرام بني عامرٍ   وفروعي وأصلي قريشُ العجمِ

---

(١) عطوان، الزندقة والشعوبية، ص ١٧٣.
(٢) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ١١٥.
(٣) مرجع سابق، ج٣، ص ١٥١.
(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ١٣٨، ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ١١٨.
(٥) مرجع سابق، ج٣، ص ٩٥.
(٦) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ١٥٦.

إن وجود الانسجام بين العرب والفرس وشعره الذي ألقاه في مواقف محدودة ليّدل على أن طبيعة بشار لم تكن بسيطة ولا ساذجة، فقد كان فارسي الأصل ورث حدة المزاج فهو يجيب بقدر السؤال، وقد سأل المهدي بشاراً من أي العجم أنت؟ فقال من أكثرها في الفرسان وأدهها على الأقران أهل طخارستان، فقال: بعض. فقال بعض القوم: أولئك الصَعد فقلت: لا، الصُغد تجارُ فلم يرد المهدي"(١).

وهو يفتخر ذاكراً قبيلته التي ينسب إليها في بلاد فارس وهي الحمراء من قبائل العجم، فيقول (٢):

أحين أشارت بي الأكفُ مُعيدةً وحقت بي الحمراءُ خرقاً مُعصباً

فهو يتحيّز دوماً للفرس ويمدحهم.

لا يكتفي بشار بالتهكّم من العرب ،وتحديه لهم بل أنه يجعل كله ممهدات للإعلاء من شأن أحسابه وأنسابه مجاهراً بعلو حسبه ،ومفاخراً بنسب الأبوي للفرس فيقول(٣):

كَم لي وكْم لي من أبٍ بتاجهِ مُعتصِبِ

أشوسُ في مجلسهِ يُجثي له بالرُكبِ

وهذا يعني أن بشاراً يثبت لنفسه نسباً تليداً من ملوك العظماء .

يمدح بشار أحد الولاة العباسيين ،ويبين أحقيته بالخلافة لما يتميّز به من حسن نسب فهو من سلالة العباس، معللاً أن الملك من نسب العباس ،وهو بناء على عقيدة العباسيين أن الأحق بخلافة النبي صلى الله عليه وسلم هو وارثة عمه ،وتظاهرا بنوهم أن خلافة الأمة كالوراثة ،وبناء على هذا الزعم ادعى بنو العباس أنهم أولى بالخلافة من بني علي بن أبي طالب ،لأن علياً محجوب من أرث النبي صلى الله عليه وسلم بعمه العباس، فيقول(٤):

يغدُون للحرب بأقرانها صيدٌ إذا هابَ العَواويرُ

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ٣٨.
(٢) ابن عاشور، الديوان، ج١، ص ٢٤٦.
(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ٢٢١، ابن عاشور، الديوان، ج١، ص ٣٧٧.
(٤) مرجع سابق، ج٣، ص ١٠٥، مرجع سابق، ج٣، ص ١٩٧.

للملك عباسٌ وأبناؤهُ **قدماً وللحُشِّ الخنازيرُ**

تفضيل الفرس على العرب

إن افتخار بشار بأصله الفارسي وهويته الفارسية التي تعرَّضت لمحوها، وانتقاصها من قبل العرب حين امتد نفوذ العرب المسلمين في كامل البلاد الفارسية، وشعروا بنشوة النصر على الفرس وإخضاعهم لسلطتهم وثقافتهم، حيث تمرَّد بشار على هوية الموالي التي تظهر ضعفهم وتبعيتهم المطلقة للعرب الذي مارسوا الاضطهاد والإقصاء لهم(١).

لذا لجأ إلى المجاهرة بالتفاخر بأصوله الفارسية من خلال التحّدي، ورفض الوصاية في الولاء العربي، ورفض التبعية الثقافية، وإعلان انفصاله عن الرموز العربية، واتصاله بالرموز الفارسية(٢). ويقول(٣):

هل مَنْ رسول مخيرٍ **عني جَميعُ العَربِ**

منَ كانَ حياً منهو **ومن ثوى في التربِ**

بأنني ذو حسبٍ **عالٍ على ذي الحسبِ**

جَدي الذي أسْمو به **كِسرى، وسَاسَان أبي**

وقيصرُ خُالي إذا **عَدَدت يَوماً نَسبي**

فهو يفتخر بنسبه ،ويجمع بين الفرس والروم بجامع الملك والحضارة الذي سبقوا إليه العرب. وها هو يفتخر بالفرس ويحتقر العرب فيقول(٤):

---

(١) احتاج الأمراء المسلمون لإنشاء ما يسمى (الحرس الخاص) أو جنود لحماية ملكهم وإمارتهم، وحمايتهم من الاغتيال ولمنع الانقلابات، لهذا لجأ الكثير منهم إلى استقدام المسلمين وغير المسلمين من مختلف المناطق التي تحت الحكم الإسلامي وهذا ما زاد من تواجد الموالي في بلاد المسلمين، ومن أهم الأجناس نجد "الأتراك" و"الفرس" والذين كانوا يشتغلون في الجيش والسياسة والعلوم، هذه الحملات التي كان يقوم بها الأمراء شخصيا كانت تعمل على تهجير نسب كبيرة من الجنسيات الأخرى إلى أرض المسلمين العرب وخاصة إلى العاصمة (بغداد، ودمشق)(في هذه المرحلة أصبح الموالي لهم رتبة أقل من رتبة المسلمين العرب أصحاب البلاد، وذلك لأنهم كانوا ينظرون للموالي المستقدمين على أنهم مرتزقة وجنود السلطان).(
في هذه المرحلة أصبح الموالي لهم رتبة أقل من رتبة المسلمين العرب أصحاب البلاد، وذلك لأنهم كانوا ينظرون للموالي المستقدمين على أنهم مرتزقة وجنود السلطان. انظر إلى . المقدادي، محمود(١٩٨٨) الموالي ونظام الولاء من الجاهلية إلى أواخر العصر الأموي،دمشق،دار الفكر،ص.٢٢٢

(٢) عطوان، حسين الزندقة والشعوبية، ص ١٧٠.

(٣) ابن عاشور، الديوان، ج١، ص ٣٧٨، فنك: حيوان يشبه الثعلب، الهبانيق، وصيف الملك.

(٤) مرجع سابق، ج١، ص٣٧٧.

مُستفصلٌ في فَنك **وقائمُ في الحُجبِ**

يسعى الهبانيق له **بآنِيات الذهبِ**

ولا آتى حنظلةً **يثقبها من سَغَبِ**

ويقول معرضاً تعريضاً نفذ منه إلى الافتخار بأصله الخرساني أهل الترف والأطعمة اللذيذة والملابس الفاخرة واصفاً بعد ذلك حياة العرب بالحياة المتوحشة القاسية، وبالسخرية من العرب داعياً لهم بالهلاك فيقول(١):

سأخبرُ فاخَر الأعرابِ عَني **وعنه حين بارز للفخار**

أنا ابنُ الأكَرمين أباً وأماً **تنازعني المرزاب من طُخار**

تفاخر يا ابن راعيةٍ وراع **بني الأحرارَ حَسبُك من خسار**

مَقامُك بيننا دنسٌ علَينا **فليتك غائبٌ في حَرَّ نار**

كان بشار من أشد الشعراء حقداً على العرب، وأكثرهم إزراء بهم وأطولهم افتخاراً بالفرس فقد كان يحرض الموالي على الانفصال عن أحلافهم والرجوع إلى أصلهم الفارسي، وصل الأمر به بأن ذكر المهدي نفسه بأنهم هم الذين انتزعوا الخلافة له ولقومه ووهبوها لهم وهم الذين يدافعون عنه (٢):

سُقنا الخلافة تَحدوُها أسنتُنا **والقاسطون على جهدٍ واسهادِ**

حتى ضربنا على المهدي قبتهُ **فسطاط مُلك بأطنابٍ وأوتادِ**

ويقول بشار في مدح مروان بن محمد(٣):

حليف السّرى لا يلتوي بمفازةٍ **نساهُ ولا تعتلّ منها حوَالبه**

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج٣، ص ٢٢٩.
(٢) مرجع سابق، ج٢، ص ٣٠٤.
(٣) مرجع سابق، ج١، ص ٣١٠.

غيورٌ على أصحابه لا يرومه **خليطٌ ولا يرجو سواء صواحبُهُ**

وعندما مدح مروان بن محمد فلم يعطه ووعده وأخلف وعده له، فهجاه[١]:

لمروان مواعدٌ كاذباتٌ **كما برقَ الحياءُ وما استهلا**

التناقض الذاتي

أن الشاعر يحب الحياة ويتمنى الخلود فيها، لكن شبح الموت يفسد عليه ذائقته بها ولكي لا يخرج من الحياة صفر اليدين، نراهُ يتمنى أن يسهو عند الردى، بينما يتمتع بالحياة ولذاتها ويقول[٢]:

آملُ العيشَ ويقول[٣]:

اسقني يا ابن أسعدا **قبل أن ينزل الردى**

آملُ العيشِ تارةً **وأرى الموت أسودا**

يتخذ بشار من مقدمات بعض قصائده التقليدية منحى ميدانياً فيقف على الأطلال محدقاً فيها، مستذكراً أهلها الذين رحلوا عنها بالموت، فقد سلك في المديح مسلك السلف متصلاً بالقديم مع الحديث كنوع من الانسجام، فيبدأ بوصف الأطلال والناقة ثم يتعّرض للمدح واصفاً القصور والأنساب، أنه يختار ألفاظه لتكون ملائمة، كما أن اللغة ميراث من التقاليد وبشار أراد أن يعبر عن المعاني الجديدة بلغة حية سلسلة تناسب الواقع الحضاري الذي كان يعيش في إطاره وهذا يدل على اقتداره على الأشكال التقليدية وانسجامها مع جمالية الطبع وحسن الذوق والحسن المرهف ليؤكد للتقليديين أنه قادر على النسج على منوالهم لكنه وجد نفسه مشدوداً إلى الماضي في تراث العرب على ما يعيش في حاضره[٤] فيقول[٥]:

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ١٥٣.
(٢) مرجع سابق، ج٢، ص ٢٠٠.
(٣) مرجع سابق، ج٢، ص ٢٠٠.
(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ١٧٥.
(٥) ابن عاشور، الديوان، ج٢، ص ٢٧٧.

أقوى وعُطِّل من فرّاطه الثمدُ　　　فالربعُ منك ومن ريَّاك فالسَنَدُ

فالهضبُ أوحش مَمن كانَ يسكُنُه　　　هضبت الوراق فما جادت له الجَمَدُ

وَخلّفوا لك أثاراً مُدَعَثرةً　　　ما حولها سَبَدٌ منهم ولا لَبَدُ

وربما هجا العرب مراراً، ومن أجل ذلك فإن شعوبية بشار لم تكن متأصلة في نفسه أو منحدرة من أجداده، ولكنها موقف خلقه العرب أنفسهم في نفس بشار حينما كان أحدهم يحط من شأن الشاعر أو الأديب لأنه لم يكن عربياً خالصاً أو بدوياً قحاً[١].

إن افتخار بشار بأصله الفارسي وهويته الفارسية التي تعرضت لمحو وانتقاصها من قبل العرب والمسلمين حين امتد نفوذ العرب المسلمين في كامل البلاد الفارسية، وشعروا بنشوة النصر على الفرس وأخضعوهم لسلطتهم وثقافتهم، كان موقف بشار واضحاً إذ سعى إلى التمرّد على هوية الموالي النمطية التي تظهر ضعفهم وتبعيتهم المطلقة للعرب الذين مارسوا بحق الموالي اضطهاداً وإقصاءً شاملين[٢].

فقد لجأ بشار إلى المجاهرة بالتفاخر بأصوله الفارسية من خلال التحدّي الذي يعلن فيه إصراره على الخروج من إطار صورة الموالي النمطية ،ورفض الوصاية الاجتماعية في الولاء العربي، فبشار يصدر عنه رغبة حادة في رفض التبعية الثقافية، وإعلان انفصاله عن الرموز العربية واتصاله بالرموز الفارسية .إن رغبة بشار في إسماع صوته جميع العرب وإخبارهم بموقفه الثقافي ليكشف عن موقف طافح بالتمرّد والتناقض من جهة ،وعن إحساس مرير بالاضطهاد من جهة أخرى.، ذلك أن الإنسان المتمّرد يحمل إرثاً كبيراً من القمع الذي يحرضه على تجاوز الاستبعاد الذي لحق به كما أن حركة التمرد في التعبير عن النفي الذي تعرّض له تتجاوز مقدار الضيم والقهر اللذين لحقا به، ومقدار السخرية من العرب الذين يصرّون على تفوقهم الحضاري والعرقي، فبشار لا يريد تأكيد شعوبيته وانفصاله عن العرب ثقافياً فحسب بل إنه يسعى إلى إخبار العرب بهذا الانفصال، وكأن بشاراً بصدد إعلان براءته من الثقافة العربية براءة تامة وتنصله من الانتماء لها بعد أن كان يفاخر بولائه العربي إذ قال[٣] :

---

(١) عطوان الزندقة والشعوبية، ص١٦٩.
(٢) مرجع سابق، ١٧٠.
(٣) الحاجري طه، بشار بن برد ص٥٥، عطوان، حسين، الزندقة الشعوبية، ص١٧٣.

إني من بني عُقيل بن كعبٍ   مَوضع السيفِ من طَلَى الأعناق[١].

إن بشاراً لا يسعى إلى مساجلة العرب مساجلة فردية فحسب، بل إنه يسعى إلى تحريض العناصر الفارسية على التمرّد ،وتأليبها على مواجهة الهوية العربية المتعالية عن طريق دفعها إلى الانحياز إلى الهوية الفارسية المتميِّزة حضارياً، وهو بافتخارهِ بالفرس يؤكد حقيقة سمو العرق الفارسي التي عمل العرب على إنكارها والتقليل من شأنها[٢].

بل إن بشارًا يصدر عنه موقف مُعلن يحمل التهكم العميق من جميع العرب والاستهانة بهم والاستخفاف بدورهم والانتقاص من هيبتهم، فهذا التمرّد الساخر يعبّر عن امتلاء المتمرّد وروحه المفعمة بالرفض والاحتجاج[٣].

لقد مارست الثقافة العربية التفاخر بالأنساب والتعالي العربي على الموالي وبشار يدحض عن نفسه الدونية الحسب من خلال إثبات تفوّق حسب أجداده وآبائه على حسب العرب حيث قال[٤]:

بأنني ذو حَسَبٍ   عالٍ على ذي الحَسَبِ

فهو يؤكد رفعة شرف آبائه، وسمو مفاخر أجداده في إطار مفاضلة مع الأحساب العربية، وهنا يظهر بشار رغبة في تفوّق حسبه وتفويض أحساب العرب ومفاخرهم.

ولا يكتفي بشار بالتهكم من العرب وتحديه لهم بل إنه يجعل كلامه ممهدات للإعلاء من شأن أحسابه وأنسابه مجاهراً بعلو حسبه على ذوي الأحساب الرفيعة، فبشار يثبت لنفسه نسباً لمجابهة الضيم الاجتماعي الذي يتعرَّض له، كما أنه يفاخر بأصوله ويعلي من شأنها ليتمكن من مقارعة خصومه فها هو في سياق مفاخرته بنسب الأبوي فهو يأتي على وصف تيجانهم ومجالسهم وتقاليد ملكهم فيقول[٥]:

كْم لي وكْم لي مِنْ أبٍ   بتاجهِ مغتصبِ[٦]

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص١١٨.
(٢) الحاجري طه، بشار بن برد ص٧٦.
(٣) عطوان الزندقة والشعوبية، ص١٧٠.
(٤) ابن عاشور الديوان، ج١، ص٣٧٧.
(٥) عطوان، الزندقة، الشعوبية، ج٣، ص٩٥
(٦) الاصفهاني، الأغاني، ج٣، ص٢٢١، ابن عاشور، الديوان، ج١، ص ٣٧٧.

أشوسَ في مجلسهِ **يجثى له بالركَبِ**

مستفضل في فنكٍ **وقائمٌ في الحُجبِ**

وهنا يفتخر بسمو نسبه الأبوي وعراقة هذا النسب ورسوخه في التاريخ والحضارة إن حضور التيجان وآنيات الذهب لتدّل على رفعة نسب بشار وعراقتهِ، مما يعني أن بشار يثبت لنفسه نسباً تليداً من ملوك الفرس العظماء(١).

إن بشارًا يريد أن يحشد الأدلة الواقعية التي تثبت تخلف الحياة العربية و تأثيرها على العرب، كما أنه يسعى إلى قلب معيار المفاضلة ليجعل الفرس أكثر تفوقاً على العرب أحساباً وأنساباً وثقافة(٢).

يفرَّق بشار بين العرب والإسلام، فالإسلام دين للجميع ولا يملك أحدٌ الحق في الاستحواذ عليه ،أو امتلاكه لذلك قام بشار بحسم مسألة الولاء للإسلام ،وهنا الانسجام واضح بين المرجعية الفارسية بوصفها اصلًا ،والإسلام بوصفه دينًا للجميع، ويستند بشار إلى جوهر الإسلام الذي يفاضل بين الناس على أساس التقوى، في حين أن العرب يعتمدون العرق والنسب معياراً للمفاضلة مستندين في مفاضلتهم إلى قيم جاهلية تُعلي من شأن القبلية والجماعة، ورغبة في الانحياز إلى مبدأ التقوى والتمسك بما يتمخض عنه من العمل ووجوب طاعة الإمام، فإن بشاراً يفاخر بأن الفرس والخرسانيين هم الذين صنعوا الدولة العباسية ،ونهضوا بها وقهروا الدولة الأموية التي يرون أنها اغتصبت حق أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم في الخلافة ثم يأتي على إيراد مآثر الفرس في استرداد دولة بيت النبي صلى الله عيه وسلم ثم نشر الدعوة في أرض المغرب ومصر(٣).

إن معارضة بشار لاستبداد العرب كان عاملاً مهماً في تقويض هذا الاستبداد وأنّ دعوته للموالي أن يعتزوا بكرامتهم البشرية كانت ذات أثر قوي في إنهاضهم من ذلهم واستكانتهم وتشجيع ضعاف القلوب منهم حتى زالت تلك الوصمة من صفحة الدولة الإسلامية وتحققت المساواة الجنسية التي أقرها الإسلام من بدايته، وقد أعطى بشار برؤيته هذه معنى جديداً للموالي

---

(١) الأصفهاني، الاغاني، ج٣، ص٢٢١.
(٢) عطوان، الزندقة والشعوبية، ص ١٧٤..
(٣) الجاحظ الحيوان، ج١، ص٢٠٧، عطوان الزندقة والشعوبية، ص١٧٣.

إثر قيام الدولة العباسية فلا يمكن لمسلم أن يكون مولى مسلم، والجميع موالي ذي الجلال وهو بهذا يستنهض همم الموالي لافتاً نظرهم إلى الواقع الجديد(١).

ولقد توصلت إلى أن بشار كان ينسجم مع القديم والحديث، ويلتزم بأسلوب السلف والابتعاد عن كافة مظاهر الخروج عن المألوف ويبني قصيدته على منوال الشعراء القدماء في بناء فني جديد.

وبما أن شخصية بشار شخصية معقدة حائرة متخبطة حادة المزاج وتملأ نفسه الشك والحيرة فإن عنصر التناقض يبدو جلياً في حياته فهو سرعان ما ينقلب على أصدقائه، وسرعان ما يتبدل المذهب والملّة، غايته التكسّب واللهو والمجون فلا شك أن مثل هذه الشخصية ستكون على تناقض تام، فها هو يمدح أصله ويهجو العرب مع أنه كان يمدحهم ،وها هو يدعي الإسلام، ويتحايل على الفروض بل يتمادى ليسخر من القيم الدينية أنه يجاهر بالمعصية ويفتخر بأنه قام بها انتقاماً لماضيه.

أساليب الجملة: الإثبات والنفي

تقسم الجملة إلى نوعين:

أ. جملة خبرية		ب. جملة إنشائية

أ. **الجملة الخبرية:** هي التي لها واقع تطابقه أو لا تطابقه، وتحتمل الصدق والكذب لذاتها ويقال عنها صح أو خطأ.

ب. **الجملة الإنشائية:** هي التي لا تقرر واقعاً، فهي لا تحتمل الصدق والكذب.

أنواع الجملة الإنشائية: نوعان

١. **الجمل الطلبية:** وهي التي يطلب بها الشيء غير حاصل وقت الكلام وأقسامها (الأمر، والنهي، والتمني، والاستفهام).

٢. **الجمل غير الطلبية:** وأقسامها (التعجب، القسم، والمدح والذم).

ومن أساليب الجمل أسلوب النفي

معنى النفي: إخراج الحكم المثبت إلى ضده، وتحويل ذهني فيه الإيجاب والقبول إلى حكم يخالفه إلى نقيضه.

---

(١)عطوان، الزندقة الشعوبية، ص١٧٥.

والنفي أسلوب لغوي يفيد النقض والإنكار ويستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب[١].

ويقسم إلى قسمين:

أ. النفي الصريح: وهو الذي يُسبق بإحدى أدوات النفي(ليس، غير، لا، لم، لما، لن، لام الجحود، إن، ما).

ب. النفي الضمني: ضرب من ضروب النفي ويكون لغير أدوات النفي ويحدث بأحد الأساليب الآتية:

١. أسلوب الاستفهام (غير، سوى، إلا)

٢. أسلوب الشرط (لو، لولا، لمّا).

٣. أسلوب التمني (ليت).

٤. (أم، بل، كلا).

والجملة الخبرية تأتي على ثلاثة أضرب[٢]:

١. خالية من أدوات التأكيد.

٢. فيها مؤكد واحد (أنّ)

٣. مؤكد بمؤكد أو بمؤكدين (القسم، إنّ، لام الابتداء).

والغرض من الجملة الخبرية إفادة السامع في أمور كان يجهلها نحو (العظة، والسخرية، والمدح، والتحسُّر، والفخر، والاسترحام).

---

(١) لسان العرب، (نفى)، ٣٣٦/١٥.
(٢) الراجحي، عبده، التطبيق النحوي، (٢٠٠٧)، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ص ٢٧٥-٣٠٠.

الإثبات والنفي:

كان بشار من شيعة الأموية، نبع في زمانها، وامتدح خلفاءها ثم كان من شيعة إبراهيم بن الحسن بن علي، وكان من المتساهلين في دينهم، المتظاهرين بالفواحش(١).

ونسب إلى بشار أنه كان يدين بالثنوية والمجوسية، ونسبه غيرهم إلى الرافضة وإلى الشعوبية وإلى مذهب الرجعية، القائلين بأن علي بن أبي طالب سينزل مرة ثانية كما سينزل عيسى عليه السلام، ونسب إلى الإلحاد والتعطيل، ونسب بشار إلى دين المانوية، لأنه في الأصل فارسي يتعصب للفرس ونسب بشار إلى الشعوبية لعلها كانت تبدو منه في محادثاته ومجالسته وبعضهم نسبه إلى الكاملية وهم أصحاب أبي كامل الذي كان يدين بتكفير الصحابة لتركهم بيعة علي وبتكفير علي لتركه قتالهم(٢).

وقد كان أشد الناس عليه في التشويه بسوء اعتقاده واصل بن عطاء رئيس المعتزلة فإن بشاراً كان من أشياعه ومداحيه انقلب عليه وهجاه هجاءً قاسياً، وانتصر للخوارج فلذلك أضمر له واصل غيظاً شديداً وهدده بالإغراء بقتله(٣).

إلا أن الحقيقة من أقواله وأفعاله فقد كان من كبار الزنادقة، وممن أفصح في شعره عن فجوره، إلحاده وكفره، وقد وصفه حماد عجرد بأنه أعلم بالزندقة من ماني (٤) وكان شعوبياً حاقداً كارهاً للعرب كرهاً شديداً معتداً بالفرس وحضارتهم، وكان مثقفاً عارفاً بمعارف عصره، فجعله ذلك متخبطاً(٥).

كان المهدي قد انبرى لتطهير مملكته من المخالفين وشدد التنقيب على الذين ينسبون إلى الزندقة، ولا شك أنه كان يرائي بذلك، فإن بشار مدحه بقوله(٦):

يصبُ دماءَ الراغبينَ على الهَدى　　　　كما صبَّ ماءَ الظبيةِ المترْجرجُ

والمهدي كان يريد إماته نزعة التظاهر بالعصبية الفارسية، وكانوا يسرون الكفر لذا وصم ابناءُ الفرس بالزندقة وفي البيت السابق إثبات من بشار بأنه بعيد عن الزندقة.

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ١٣٨.
(٢) عطوان، الزندقة والشعوبية، ٤٥.
(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ٣٢٨.
(٤) مرجع سابق، ج٣، ص ٢٢٩
(٥) عطوان، الزندقة والشعوبية، ص١٧٢.
(٦) ابن عاشور، الديوان، ج١، ص ١٧.

ويقول في معرض الإثبات في صديقه صالح بن عبد القدوس، نادباً له، وقد قتله المهدي وصلبه على الزندقة، مصرحاً بأنه يذرف الدموع عليه خفية حتى لا يفتضح أمره ولا يساق إلى حتفهِ[١] ويقول[٢]:

لقد عشتُ مبسوط اليدين مبرزاً وعُوفيت عند الموت من ضغطةِ القبرِ

فطوبى لمن يبكي أخاهُ مجاهراً ولكنني أبكي لفقدك في سرّي

استخدم قد مع الفعل الماضي (عشتُ) إنما تفيد التحقيق والإثبات لما يجول ذهنه من حزن على الزنادقة وأمثاله.

ويقول في معرض النفي في وما يوثق اتهامه بالزندقة تعاطفه مع قتلى الزنادقة ورثاؤه لهم وحزنه عليهم[٣] فهو يقول في جماعة منهم[٤].

كيف يَصفُو لي النعيمُ وحيداً والأخلاء في المقابرِ هَامُ

لا يغيض انسجام عيني عليهم إنما غايةُ الحزينُ السِّجامُ

فهو دائم الحزن وعينه باكية عليهم، لأن البكاء والحزن عليهم محبة لهم يستخدم أسلوب الاستفهام نافياً ضمنياً صفاء نعيم الحياة والأصدقاء في المقابر، لاحظ التوافق بين اللفظ والمعنى واللغة البسيطة التي تحمل الإحساس الصادق.

ويقول في معرض النفي[٥].

لا تُبالي إذا أصبتَ من الخمرِ عتيقاً أن لا تكون عَتيقاً

فقد استهزأ من توبة صديقٍ له وعدها حمقاً وغباوة، ودعا إلى ترك الصلاة والصوم أو التحايل على الثاني بصوم رقيق، وشجعه على شرب الخمر.

---

(١) عطوان، الزندقة والشعوبية، ص ٤٤.
(٢) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ٧٦.
(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ٢٣٦.
(٤) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ١٧٨.
(٥) مرجع سابق، ج٤، ص١١١.

ويقول في معرض النفي[١].

لا خيرَ في العيش إن كنا كذا أبداً … لا نلتقي وسبيل المُلتَقى نَهَجُ

قالوا حرام تلاقينا فقد كذبوا … ما في التزام ولا في قبلةٍ حرج

من راقب الناسَ لم يظفر بحاجتهِ … وفاز بالطيبات الفاتكُ اللهجُ

ولعراقة زندقته وإباحته حاول الاحتجاج على المعصية فأحل القبلة واجتناء زهرات الجسد، واقتطاف ثمراته، دون اكتراث للناس واتقاء ألسنتهم، فالحياة فرص واستمتاع جسدي، بل هجوم على هذا الاستمتاع وما يطوي فيه من لذة.

والنفي هنا يفيد السخرية من القوانين والأعراف والتقاليد والتمرد على القيم الاجتماعية، أنه لا يكترث في زندقته لخلق ولا يراعي ديناً ولا قيماً.

ويقول في معرض الإثبات[٢]:

وإنني في الصلاة أحضرها … ضُحكةً أهلِ الصّلاةِ إن شَهدوا

اقعدُ في سجدةٍ إذا رَكعوا … وأرفع الرأسَ إنْ هم سَجَدوا

اسجدُ والقوم راكعون معاً … وأسرعُ الوثبَ إن هم سجدوا

يثبت استخفافه بالدين بجمل مثبتة وأنه مضيع للفروض، انظر كيف يتهكّم في أداء أعظم فريضة الصلاة واصفاً بسخرية ومتهكماً على الصلاة وما يلزمها من خشوع.

وتبدو سخرية بشار الدينية في مظاهر مختلفة، بدأها بخلق آدم عليه السلام وفضل عليه إبليس، وجعل أساس المفاضلة طبيعة الخلق، فإبليس خلق من نار، أما آدم فخلق من طين فهو يصوّب رأي إبليس في امتناعه عن السجود لآدم[٣] فيقول[٤]:

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج١، ص٧٥.
(٢) مرجع سابق، ج٤، ص ٤٧.
(٣) الوافي بالوفيات، ج٢، ص١٣٨.
(٤) ابن عاشور، الديوان، ج١، ص ٣٤.

إبليسُ خير عن أبيكم آدمُ **فتنبهوا يا معشر الفجارِ**

إبليس من نارٍ وآدم طينةٌ **والطينُ لا تسموا سُمُوَ النارِ**

ويقول ساخراً من شهر رمضان(١):

قل لشهر الصيام انحلت جسمي **إن ميقاتنا طلوعُ الهلال**

اجهدْ الآن كلَّ جهدك فينا **ستَرى ما يكونُ في شَوَّال**

في هذه الجملة المثبتة بالأبيات يسخر من شهر رمضان، ويتوعده بأن يأخذ منه بالثأر بقطر خارج عن المألوف، من مبالغة في الطعام والشراب وجاء ذلك في إطار الإنذار والتهديد.

ويقول مثبتاً اعتقاده بالجبرية(٢):

خُلقت على ما في غير مخيرٍ **وهوايَ ولو خُيرتُ كنت المُهذَّبا**

أريدُ فلا وأعطى وأعطى ولم أردْ **وقصرَّ علمي أن أنال المُغيبا**

يؤكد أن هناك رأياً ديناً واحداً مع كل شكه وتحيره، قد آمن به إيماناً تاماً وذلك هو رأي الجبرية، يريد أن يقول إننا بشر نضعف أمام ما نريد مغالبته ولكنه يغلبنا في أحوال كثيرة، قد نكون أثبت الناس علماً بما فيه خيرنا وقد نسعى له قاصرين ثم تصرفنا عنه بسبب بشريتنا الفاجرة فكلنا يخطئ.

استخدام نوع من النفي الضمني في معرض الإثبات فهو يبين لنا حقيقة الجبرية وعدم اختياره لما يريد وفي الوقت نفسه استخدم أسلوب الشرط (لو) تفيد التأكيد على نوعية الاختيار وعلى الإثبات أنه مجبر رغم محاولته إلا أن النفس هي التي تغلب في النهاية.

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ١٠٢، ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ١٥٤.
(٢) ابن عاشور، الديوان، ج١، ص ٢٤٦.

السخرية من العرب

ومن شدة كرهه للعرب يسخر بالألفاظ النابية المليئة بالغيظ والكره وهنا يقول بمعرض الإثبات لكرهه العرب(١):

سأخبر فأخبر الأعراب عني	وعنه حِينَ بَارزَ للفخَار
أنا ابن الأكرمين أباً وأماً	تنازعني المِرازبُ من طُخار
تُفاخِرُ يا ابن راعيةٍ وراع	بني الأحرار حسبك من خَسَار
وتغدو في الكَراء لنَيل زادٍ	وليس بسيّدِ القومِ المكَاري
مقامك بينا دنِسٌ علينا	فليتك غائبٌ في حر نَار

يبحث بشار عن عيوب في واقع الحياة العربية لتكون مادة سخريته فالتقط بعض مظاهر الحياة، وهاجم العرب كلهم، وللنظر إلى بشار يدور دوماً في حلقة مادية (الطعام والشراب والملبس) يقلبها ويقارن بين العرب والفرس، وقد استغل سخريته من العرب ذلك الرصيد السيء الذي عاشه عندهم، وهنا يثبت بتهكّم على حياته المتوحشة الماجنة عند العرب يوم أن كان حليفاً هجيناً يشرب مع الكلب في إناء واحد ويرتاد مجاهل الصحراء بحثاً عن قوت يقيم أودهُ، ويختم سخريته باستهجانه العرب وداعياً عليهم بالهلاك لأنه يريد جميع العرب.

ويقول في معرض الإثبات بفخره بالفرس(٢):

حتى سقيْنَاها وما	نَبَدهُ نهريْ حَلَبِ
حتى إذا ما دوَّخْت	بالشام أرض الصُّلبِ
حتى استلمنا مُلكَها	بملكنا المستلبِ
حتى رددنا الملكَ	في أهلِ النبي العَربي

(١) ابن عاشور، الديوان، ج٣، ص ٢٢٩.
(٢) مرجع سابق، ج١، ص ٣٧٩.

ويثبت بشعره بجمل مثبتة ويغلب التكرار عليها ليؤكد حقيقة أن الفرس هم الذين نصروا الدولة العباسية وفي خرسان بدأت الدعوى العباسية واستخدام الضمير (نا) يعود إلى الفرس وهو يصرح مثبتاً أنهم عدوا استيلاءَهم على مصر تعويضاً عن ملكهم المسلوب.

وهم كانوا ينظرون إلى إقامتهم للدولة العباسية انتقاماً من العرب الذين هدموا ملكهم والذين أسرفوا في تحقيرهم، وأنهم أعادوا الملك إلى الجديرين به من بني هاشم بعد أن اغتصبه الأمويون منهم.

ويقول في معرض الإثبات[١]:

أنا ابن فرعي فارسٍ **عنها المحامي العَصبِ**

نحن ذوُو التِّيجان والمــُ **لك الأشمِّ الأغلبِ**

لقد سجل في إثباته هذا بالضمير المتكلم بالمفرد والجماعة أنسابه إلى بلاد فارس وفخره بهم وبملكهم وسجل عنجهيته وغلظته وسوء أدبه من خلال تعصبه الجنسي، وينادي بدفاع عن النبي وأهله وهو يُعلي الفرس على العرب. والإسلام لا يُعلي جنسا ًبشرياً على آخر إلا بالتقوى.

ويقول في معرض النفي: [٢]

لم يسق أقطاب سقّى **يَشْرَبُها في العُلبِ**

أنه لم يكن يشرب اللبن كالبدو وينفي عنه ذلك لأنه فارسي الأصل ويريد بذلك أن يحقر العرب.

ويقول أيضاً[٣]:

ولا حدا قطُ أبي **خَلفَ بعيرٍ جربِ**

ولا أتى حنظلةً **يثقُبها من سغبِ**

ولا أتى عُرفطةً **يخبطها بالخَشَبِ**

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج١، ص٣٨٠.
(٢) مرجع سابق، ج١، ص ٣٧٨..
(٣) مرجع سابق، ج١، ص ٣٧٨.

ولا شَوينا ورلاً	**مُنضضاً بالذّنبِ**
ولا تقصَعْتُ ولا	**أكلتُ ضبَّ الحِزَبِ**
ولا أصطلي قطَّ أبي	**مفحجاً للّهبِ**
ولم بايد نمياً	**ولا هوى للنُّصُبِ**
كلا، ولا كَان أبي	**يركب شرجي قتبِ**

إن روح العداء التي يظهرها جعلتهُ يتغاضى على كل مظاهر الحضارة العربية واتصالها بالحضارات الأخرى وسعى جاهداً للتقليل من شأن العرب والسخرية منهم، فقد استغلّ معرفته بطبيعة الحياة العربية في الصحراء، فالتقط بعض المواقف وضخمها وزينها للوصول إلى غرضه، وساعد ذلك الظروف السياسية، كما أنه ركّز على الجانب المادي مقارناً بين حياة العرب في البادية، وحياة الفرس، فسخر منهم وسخر من طعامهم ولباسهم وشرابهم ونلاحظ أنه تجنب الجانب الفكري ذلك لأن الثقافة العربية هو نشأ عليها واستوعبها.

إن استخدام أسلوب النفي المتكرر ليؤكد حقيقة شدة كراهيته للعرب وأنه أراد أن ينال من كل العرب بهذه السخرية.

ويقول أيضاً في محض السخرية من العرب(١):

وتقضمُ هامةَ الجعلُ المُصلّى	**ولا تعنى بدرَّاج الديارِ**

أنه يتهكم بسخرية لاذعة من مظاهر الحياة البدوية، بكل تفاصيلها (الملابس، الطعام، البيت) مقارناً مع الفرس وحياتهم.

كان شديد الشغب والتعصّب للعجم" ، وقد روي أنَّ المهدي سأله: فيمن تعتدّ يا بشار؟ فقال : أمّا اللسان والزيّ فعربيان، وأمّا الأصل فعجمي، كما قلتُ في شعري يا أمير المؤمنين .ويقول في معرض الإثبات(٢):

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج٣، ص ٢٣١.
(٢) عطوان، الزندقة والشعوبية، ص ١٦٩، ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ١٥٧.

وُنبئت قوماً بهم جُنَّةٌ يقولوَن من ذا وكنت العلم

ألا أيها السَّائلي جَاهداً ليعرفَني أنا أنفُ الكَرَمْ

نَمَت في الكِرامِ بني عامرٍ فُروعي وأصلي قُريشُ العَجَمْ

جاء فخره بأصله الفارسي على حساب العرب إذ يمزجه بالتعالي ويسعى جاهداً للحط من الجنس العربي عامة، وهو دائماً يقارن بين حياة الفرس وحياة العرب مقارنة ظالمة يثير فيها تحامله وغيظه.

ويقول(١):

قيصر خالي إذا عَددتُ يوماً نَسبي

جَدّيَ الذي أسمُو به كسرى، وسَاسَان أبي

أشوسُ في مجلِسْهِ يُجثى له بالركبِ

يغدو إلى مجلِسهِ في الجوهر الملتهب

مستفضل في فتكٍ وقائم في الحُجِبِ

يسعى الهبانيقُ له بآنيات الذهبِ

لقد استخدم الألفاظ الفارسية (قصير، كسرى، ساسان، الهبانيق) بجمل مثبتة غايتها تأكيد الصيغة الخطابية العدائية الهجومية المغذاة بحسٍ عدائي للعرب، فهو يقارن أصله الفارسي وحضارة فارس المتقدمة والتي ينتسب إليها بحضارة العرب التي يتعمد الحط من قدرها.

ويقول في معرض الإثبات(٢):

هل من رسولٍ مُخبرٍ عَني جميع العُربِ

---

(١) ابن عاشور، الديوان، ج١، ص٣٧٧.
(٢) مرجع سابق، ج١، ص ٣٧٧.

من كان حياً منهم ومن ثوى إلى التُربِ

بأنني ذو حسبٍ عال على ذي الحسب

استخدم أسلوب الاستفهام ليفيد السخرية والتهكم فهو يثور على الناس، ويرفض التقاليد والسلطة فقد تهيأت له أسباب السخرية وجعلت وسيلته استشعاراً للقوة. كما أنه يتطرّف في فخرهِ فلا وجه لانتسابه إلى الروم، وهو يريد إثبات ذلك فقد كانت أمه عربية من بني عقيل بن كعب بن عامر، إلا أن يكون أحد آبائه قد تزوج بامرأة رومية وهو ما لم يثبت وهنا يريد أن يجع بين الفرس والروم بجامع الملك والحضارة الذي سبقوا به العرب.

ويسخر من نسب عمرو الظالمي فيقول(١):

ارفِقْ بعمُرو إذا حَركت نَسبته فإنهُ عربيٌ من قوارير

إن جاز أباؤُه الأنذالُ من مضرٍ جازت فلوس بخارى في الدنانير

فعمر في نظر بشار عربي سريع الانكسار مثل الزجاج، وذو نسب رديء مثل فلوس نجارى التي يضرب المثل في رداءَتها.

واستخدام أسلوب الشرط ذا الدلالة الواضحة بعدم تحقق الجواب وبعض الرفض المُطلق للنسب العربي، راح بشار يبحث عن بديل تعويضي للنسب الذي عاداه فتوجه إلى خرسان ويقول:

وإني لمن قومٍ إلى خرسَان دارُهُم كِرام وفَرعي فيهم ناضرُ بسق(٢)

ويتدرج حتى يصل إلى مرحلة متقدّمة من مراحل التحدِّي والاستهزاء، تجاوز تحقير الجنس العربي لطعن في أصولهم وانتمائهم، ووصل إلى انتزاع بعض من مظاهر الحضارة العربية ومعالمها وردها إلى جذورها وأصولها إلى قومه في الفرس ويقول(٣):

أحين لبستَ بعدَ العُرى خَزّاً ونادَمتَ الكرامَ على العقارِ

لعمر أَبي قد بدّلتَ عيشاً بعيشكَ والأمورُ إلى مَجَارِ

---

(١) الأغاني، ج٣، ص ١٣٣، ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ٥٠.
(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص ١١١، ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ١١٥.
(٣) ابن عاشور، الديوان، ج٣، ص ٢٣٠

ومما لا شك فيه حرص الموالي في هذه المرحلة على التنكرّ للانتساب إلى العرب، كما كان الشأن في الماضي، بل كَثُرَ ادعاؤهم الانتساب إلى كسرى ،وأهل القرى كلّهم ينتمون لكسرى ، وازدادت صراحة شعرائهم في الفخر بآبائهم الأقدمين، ليس هذا فحسب، بل تحقير العرب، والتهكمّ من هوان ماضيهم وجفاء عيشهم. ولعل خير من يمثّل شعراء الشعوبية الذين كانوا يتكلمون بلسان الموالي ويعبّرون عن اتجاهاته وآرائه أصدق تعبير هو بشار بن برد، وقد يكون المتحدّث الرّسمي باسم الشعوبيين في القرن الثاني[١].

إن روح العداء التي يضمرها بشار جعلته يتغاضى عن كُلّ مظاهر الحضارة العربية التي عُرفت في مدن الحجاز، والمدينة، ومكة ،والطائف، خاصة فيما يتصل بعضها بالتجارة والزراعة، والاتصال بالحضارات الأخرى، وسعى جاهداً لإعلاء الذات الفارسية، والتقليل من شأن العرب والسخرية منهم، وقد استغل في ذلك معرفته بطبيعة الحياة العربية في الصحراء، فالتقط بعض المواقف والمظاهر وضخمها وزيفها للوصول إلى غرضه، وساعده في ذلك الظروف السياسية التي ارتفعت بالصوت الشعوبي عالياً، لكنه ظلّ واضحاً أن تركيز بشار كان على الجانب المادّي وحده، فقارن بين طبيعة الحياة المادّية المرفهة عند الفرس في مقابل الحياة البسيطة عند العرب، فسخر من طعامهم وشرابهم وآنيتهم، لكنه تجنّب الجانب الفكري والفني؛ وربّما يعود ذلك لإحساسه أنّ الثقافة العربية هي ثقافته التي نشأ عليها، ونهل من ينابيعها المتعددة، ولذلك لم يستطع مهاجمة الفكر الذي تربّى عليه أو الثقافة التي استوعبها منذ أن كان صغيراً، ولا مهاجمة تلك العناصر التي كانت أداته فيها عربية[٢]. يقول[٣]:

خليليَّ، لا أنامُ على اقتِسارِ ... ولا آبى على مولى وجَارِ

سأخبرُ فاخِرَ الأعْرابِ عَنّي ... وعَنْه، حينَ بارز للفَخارِ

تفاخُر، يا بنَ راعيةٍ وراع ... بني الأحرارَ؟ حَسُبكَ من خسارِ

فظلَّ بشار يبحث وينقّب عن عيوب في واقع الحياة العربية، لتكون مادّة سخريته وتهكّمه، فالتقط بعض المظاهر وهاجم بها العرب كلّهم.

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص ١٦١.
(٢) مرجع سابق، ج٣، ص ٢٤٣.
(٣) ابن عاشور،الديوان،ج٤، ص. ٤٦

وقد يلجأ بشار إلى ألفاظ نابية جارحة ،تعبّر عن نفسية مليئة بالغيظ والكره ، ومن ذلك قوله في السخرية من قبيلة عربية وفي ذلك اثبات على شعوبيته الضيقة[١]:

يفاخــرنا ونعمتنا عليـــــه	**وفيم الباهليّ من الفخـــــــار**
أقول له ولي فضل عليـــــه	**كفضل القسوريِّ على الوبار**
على استـــاه سادتهم كتـــاب	**موالـــــي عامــر وسم بنـــار**

ويريد بشار في إلحاحه على سلب العربي كل مظاهر التحضر، والحطّ من شأنه، والسعي إلى فرض نمط اجتماعي وثقافي جديدين ،لذلك تتشابه اللغة عندهما وتتداخل وبخاصة في إعطاء البديل التعويضي[٢].

ويمكن القول إن تهكم بشار هي شخصيته ونفسيته ،وهي ثورته على الناس وضيقه، وهي رفضه للتقاليد والعقائد وللسلطة التي تمثلهما. وبمعنى آخر فقد تهيأت لبشار أسباب التهكم ،وتجمعت له الظروف التي جعلت من الهجاء والسخرية وسيلة ناجعة له في تحقيق وجوده، والدفاع عن نفسه، ووسيلة لاستشعار القوة.

أساليب الجملة العربية[٣]

١- أسلوب الأمر.

وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويقصد بالاستعلاء ،أن ينظر الآمر على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه، سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا، وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي، للدلالة على معان أخرى يحتملها لفظ الأمر، وتستفاد من السياق وقرائن الأحوال، ومن هذه المعاني الدعاء والالتماس، والتمني، والنصح، والإرشاد، والتخيير، والإباحة والتعجيز، والتسوية والإهانة والتحقير.

---

(١) ابن عاشور ،الديوان ،ج٣،ص.،٢٤٤
(٢) القسوري :الأسد ، الوبار جمع وبْر ،دويبة تشبه الأرنب تجترّ كالأرانب.
(٣) السامرائي،فاضل صالح، (٢٠٠١) الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر للنشر،ص١٧١-١٧٨.

ويلاحظ أن فعل الأمر ة قد خرج في معظمه عن معناه الأصلي لأداء غرض الإهانة والتحقير التي تهبط بالمهجو وتؤذيه،ومن ذلك قول[(١)]:

ارفقْ بعمُرو إذا حَركت نَسبته فإنهُ عربيٌ من قوارير

٢- أسلوب الاستفهام

وأحيانا تكون غايته الإنكار والتوبيخ ويأتي أحيانا للتهكم والتحقير ومن ذلك قوله[(٢)]:

هل من رسولٍ مُخبرٍ عَني جميع العُربِ

من كان حياً منهم ومن ثوى إلى التُربِ

٣- أسلوب النفي

والغاية من شيوع هذا الأسلوب نفي الصفات وإثبات نقيضها ومنه[(٣)]:

ولا تقصَعْتُ ولا أكلتُ ضبَّ الحِزَبِ

ولا أصطلي قطَّ أبي مفحجاً للّهب

ولم بايد نميا ولا هوى للنُّصُب

كلا، ولا كَان أبي يركب شرجي قتب

٤-أسلوب الشرط

جاء هذا الأسلوب منسجما مع غاية التهكم والتوبيخ من خلال امتناع تحقق الجواب، ذلك لأن السخرية تقوم على المبالغة ، والافتراضات البعيدة ،وكلها تدور في إطار سلبي لا يعود على المهجو إلا بمزيد من التهكم[(٤)]:(فهو يقول أنت مكروه عندي حتى لو كنت سيفا لي.)

لوكنت لي سيفًا غداة الوغى طبتُ به نفسًا لأعدائي

(١) ابن عاشور ،الديوان،ج٤،ص٥٠
(٢) مرجع سابق، ج١، ص٣٧٧
(٣) مرجع سابق، ج١، ص٣٧٨
(٤) مرجع سابق، ج٤، ص٤٧.

٥-أسلوب المقابلة

ويساهم هذا الأسلوب في تعميق المعنى وتوسّيع الدلالة ،ومن أمثلته(١):

وإنني في الصلاة أحضرها ضُحكةً أهلِ الصّلاةِ إن شَهدوا

اقعدُ في سجدةٍ إذا رَكعوا وأرفع الرأسَ إنْ هم سَجَدوا

اسجدُ والقوم راكعون معًا وأسرعُ الوثبَ إن هم سجدوا

٦-أسلوب الحوار

إنّ شيوع الحوار يجعل من القصائد الشعرية قصّة يمكن تمثّلها وتخيلها، ويساعد على إبراز المعنى الذي يقدمه الشاعر ويعدّ بشار الأكثر بروزاً في هذا المقام يلجأ إليه ليناقش المسألة التي يتحدث منها، ويقلّبها من وجوه عدّة، ويشعر المتلقي أنّه ملاحق في آرائه ومواقفه ولهذا فهو يحاور ويناقش، ويغرق في ذلك ،حتّى يظن أحيانا أنه لم يكن في صحوه ،وأنه غير مسؤول عما يصدر عنه، يقول(٢) :

قالوا العَمَى مَنظرٌ قَبيح قلنا بفقْدي لكمَ يهونُ

تاللهِ ما في البلاد شيء تأسى على فقدِهِ العيونُ

٧- أسلوب السرد القصصي ، وفي هذا الأسلوب يتولى الشاعر نقل ما يجري بمفرده ولا تخرج لغة الخطاب من زمامه، وهذا أسلوب تسجيلي تصويري. ومن أمثلته.

سُقنا الخلافة تَحدوُها أسنتُنا والقاسطون على جهدٍ واسهادِ

حتى ضربنا على المهدي قبته فسطاط مُلك بأطنابٍ وأوتادِ

ومما سبق يتضحُ لنا بأن بشاراً قد أجاد في استخدام أساليب النفي والإثبات لإقناع السامع بمكنونات نفسه بأسلوب متوافق عقلياً مع جمال التوافق بين اللفظ والمعنى بهذا قد أثبت بأنه قادر على مجاراة العرب بمنزلة الإثبات والنفي بل أنه تجاوز ذلك.

(١) ابن عاشور، ديوان بشار،ج٤،ص٢١٣.
(٢) مرجع سابق، ج٤، ص٢٠٤.

لقد استخدم ببراعة أسلوب الجملة المثبتة لتأكيد ولائه للفرس ومدحهم والمجاهرة بمعتقده (الزندقة) كما أنه أحسن استخدام المقدمات الطلليّة مثبتاً قدرة على ربط القديم بالحديث ومجاراة فحول الشعراء في استخدام الأسلوب القديم الذي سارت عليه القصيدة العربية القديمة مطوراً لها ومازجاً الأسلوب الحضاري المتمثل بالمرجعية الفارسية.

ولا ننسَ الشواهد التي ساقها الباحثون ليست إلا مجرد تماجن وزندقة فهو ينتقل من مذهب إلى آخر فهو تارة يدين بالثنوية، وتارة يقنط للقمر، وأخرى يناصر إبليس وتارة من المرجئة، وأخرى من الدّهرية وتارة من المرجعية والكاملية، وما رافق ذلك من أفعال حول ترك الصلاة والصيام والتحايل على الحج وتفضيل شعره عن الفوز بيوم القيامة لتدل دلالة ثابتة لا شك فيها على أنه زنديق ماجن.

نتائج الدراسة:

١. كان بشار من كبار الزنادقة، وقد أفصح في شعره عن فسقه وفجوره وإلحاده وكفره وكان شعوبياً حاقداً كارهاً للعرب كرهاً شديداً معتداً بالفرس وحضارتهم.

٢. الزندقة كانت سبب مقتله مع أنه هجا المهدي وهجا وزيره إلا أنني أجد أن المهدي كان يحارب الزنادقة، وقد نهاه أكثر من مرة، ومع مختلف الروايات حول مقتله إلا أنني أرجح أن الزندقة قادته إلى حتفه.

٣. ارتكب الخلفاء والحكام في عصر بشار خطأ فادحاً بأن جعلوا العنصر العربي يستأثر بالجيش والدولة وتركوا الدواوين والكتابة للعجم، فنبغوا بها وألفوا الكثير في ذلك لذا لا تدري مدى مصداقية ما وصل إلينا وبخاصة أن ولاء بعضهم ظلّ لأصوله الفارسية.

٤. كان دقيقاً في اختيار شوارد كلماته متناسقاً في التدقيق في ألفاظه البليغة وملائمتها للمعاني الشريفة وأنغامها الإيقاعية الشجية،وما تنوع بشار بين النفي والإثبات في اللغة إلا دليلُ على قوة الإقناع وزيادة التأكيد.

٥. الأحداث التاريخية التي بلورت نفسية بشار وبالتالي موقِفَه من الحياة، فالرق والقبح والعمى حوافز للبحث عن مكانة اجتماعية؛ وبالتالي جاء الشعر والهجاء خاصة. وتذكير الناس له بعوامل النقص هذه كان سبباً في توليد التعالي والجرأة والمجون والتهتك والشعوبية. والولاء السياسي عنده تأكيد لفكرة السير في ركب الأقوى. والمذهب الديني رفض وتشكيك وسخرية من التقاليد والعقائد والسلطة. وشعره بعد كل هذا حياته التي لا يقبل أن يشاركه فيها أحد والتي يحقق فيها ذاته وفق رؤيته للحياة .

٦. ويمكن القول إن تهكم بشار هي شخصيته ونفسيته ،وهي ثورته على الناس وضيقه، وهي رفضه للتقاليد والعقائد وللسلطة التي تمثلهما. وبمعنى آخر فقد تهيأت لبشار أسباب التهكم ،وتجمعت له الظروف التي جعلت من الهجاء والسخرية وسيلة ناجعة له في تحقيق وجوده، والدفاع عن نفسه، ووسيلة لاستشعار القوة.

٧. لقد بالغ بشار في نسبه الفارسي حتى عد نفسه من سلالة الملوك في حين أن شعره أشار إلى فقره وفقر أسرته المادي والمعنوي وإحساسه بالنقص ولّد كراهية للعرب.

٨. كان للمرجعيات الدينية مفهومًا عميقًا، يرتبط بتكوين شخصية بشار ويتّخذ في التعبير عن إشعاره أساليب متعدّدة، فاقت في تأثيرها التعبير الصريح المباشر، أمّا عن تأصيلها، فيمكن القول إنّها لم تظهر بوصفها ظاهرة إلّا في العصر العباسي على الرغم من وجود أنماط محافظة لم تستغل الحرية التي شاعت في ذاك العصر.

٩. كان بشار عالمًا متكلمًا، ولولا زندقته لعد من كبار أئمة الدين، فيتبين لنا من ذلك أن بشارًا طبع على الشعر منذ حداثته، وطبع معه حب التكسب والسخرية بالدين والناس، فقد عرف بذكائه الفطري، ولم يتورع من العبث بآية القرآن، فأولها إلى غير معناها، وجعل الأعمى بريئا من الإثم إذا اقترفه. ويبدو لي أن بشارًا كانت علاقته بالإسلام علاقة مصالح علاقة تخبط وسخرية وهو بعيد عن التديّن، وهو متناقض في انتمائه للمذاهب والفرق الدينية أيضًا.

الخاتمـــــــة

تعددت الموضوعات التي تناولها بشار في شعره، فعبّر فيه عن هموم ذاتية ودار كثير منه في موضوعات اجتماعية، وآخر في موضوعات سياسية، وغيرها في موضوعات دينية وحضاريّة.وتعددت الدّوافع التي كانت وراء زندقته وشعوبيته فقد كان ساخطاً على النظام الاجتماعي وكان ساخطاً على النظام السياسي، وهو الزنديق والشعوبي الذي جعل من السخرية إطاراً فكرياً، كشف فيه عن أحقاد وضغائن تجاه الدين الإسلامي والمجتمع العربي الذي جعله متشائماً متطيّراً .

وأمّا أشعاره فأقيمت في مجملها على المبالغة، والافتراضات والتدرج في المعاني وتقليبها، وعقد علاقات بين أشياء متباعدة متنافرة، جمع بينها وألفها خيال الشاعر، وربط القديم بالحديث مطوراً ومولداً أنماطا جديدة من الشعر شهد بها له نقاد عصره والدارسين لأشعاره .

واستطاع أن ينقل الشعر العربي نقلة أخرى فيها كثير من الاتساع والتنوع والتطوّر في المعاني الحضارية بلغة اتسعت أفاقها وتعددت مسالكها وتحررت أساليبها، ولا شك في أن اتساع المعاني وتنوعها يؤدي إلى اتساع التعبير وإلى تطويع اللغة المستخدمة ومن أطرف ما يدّلنا على سر تقدم بشار على شعراء عصره ما جاء هو على لسانه، كما يقول " لأني لم أقبل كل ما تورده على قريحتي ويناجيني به طبعي ويبعث فكري، ونظرت إلى مغارس الفطن ومعادن الحقائق، ولطائف التشبيهات، فسرت إليها بفكر جديد وغريزة قوية، فأحكمت سيرها وانتقيت حرها وكشفت عن حقائقها".

وخلاصة القول لقد مضى بشار يعلن زندقته لا يزدجر مصرحاً بأنه لا يؤمن إلا بالعيان وما شهده الحس، فهو لا يؤمن بجنة أو نار ولا ببعث ولا حساب، ويحاول أن يثير الغبار في وجه واصل وغيره من المعتزلة ، فيعلن أنه يعارض ما يذهبون إليه .كان إمام الشعراء المولدين، ومن المخضرمين حيث عاصر نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية. كان ضريرًا، دميم الخلقة، طويلا، ضخم الجسم. كان هجّاءً، فاحشًا في شعره، هجا الخليفة المهدي ووزيره يعقوب بن داود. حتى العلماء والنحاة فقد عرض بالأصمعي وسيبويه والأخفش وواصل بن عطاء. اتهمه بعض العلماء بالشعوبية والزندقة. وبرأه البعض من ذلك لغيرة العرب من الفرس عند بداية العصر العباسي وقيام الفرس بشؤون الدولة. تعلم في البصرة وننتقل إلا بغداد.أتهم في آخر حياته بالزندقة. فضرب بالسياط حتى مات. ودفن بالبصرة. وكانت نهايته في عصر الخليفة المهدي.

كان جريئا في الاستخفاف بكثير من الاعراف والتقاليد ،كان مقبلا على المتعة بصورها المتعددة الشراب والنساء ، عاش بشار بن برد ما يقرب من سبعين عاما قبل أن يقتله الخليفة العباسي المهدي متهما اياه بالزندقة، وكان بشار إلى جانب جرأته في غزله يهجو من لا يعطيه .كان بشار يسخر من عصره انتقاما لاحتقار بني جنسه، فلما جاءت الدولة العباسية قرب الفرس اعترافا بدورهم في القضاء على الدولة الأموية، أساء بشار فهم الحرية والعصر الجديد، ويبدو أن عاهته وقبحه كانت كلها وراء هذه الجرأة في التهام الحياة والتنعم بها غير مبال بشيء وكأن حياته كلها ليست الا ردا متماديا في القسوة على الرزايا التي وجد نفسه مقيدا بنارها.

عرف بشار بن برد ان الإقبال على الحياة فالمديح عنده الوسيلة التي يمكن أن تدر عليه المال الذي يحتاجه لينفقه في ملذاته ،ولذا كان مبالغًا في مدائحه طمعًا في رضا الممدوح لإغرائه بالعطاء، وفي الهجاء وكان بشار شديد الوطأة في هجائه خاصة على هؤلاء الذين يمتنعون عن عطائه .

أن بشارًا طبع على الشعر منذ حداثته، وطبع معه على الهجاء والشر وحب التكسب والسخرية بالدين والناس.

وكان متكبرًا كثير الاعتداد بنفسه، لا يرى فوقه شاعرًا ولا عالمًا، وتكبره جعله شديد الافتخار بنسبه، حتى لا يجد له معادلًا غير قريش وكسرى، وجعله يشبب بجمال صورته على ما فيها من دمامة وقبح ،وهذا الكبر ولد فيه احتقارًا للناس، كما ولد فيه العمى كرها لهم، فكان شديد النقمة عليهم لتمتعهم بالنظر دونه وهو يرى أنه خيرهم، وكل ذي عاهة جبار، وبغضه للناس جعله كثير التهكم بهم، قليل الأدب في مجالستهم ،والسخرية صفة لازمة لبشار، فإنه يستهزئ بكل شيء.

وهو على بغضه للناس يحب أبناءه ويرأف بهم .

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت: ٦٣٧هــ) **المثل السائر في أدب الكاتب**، تحقيق أحمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة

ابن المرتضى، أحمد بن يحيى، **طبقات المعتزلة**، تحقيق سوسنة ديفلز، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله، **طبقات الشعراء**، تحقيق الستار فراج، دار المعارف، مصر.

ابن النديم، أبو الفرج بن اسحق الوراق البغدادي، **الفهرست**، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت.

ابن برد، بشار، **ديوان بشار بن برد**، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.

ابن جعفر، قدامة، **نقد الشعر**،تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر.

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، **وفيات الأعيان**، تحقيق إحسان

ابن رشيق،القيرواني،(ت: ٠٧ ١٩) **العمدة في الأدب ونقده**،ج١، مكتبة الخانجي، مصر.

ابن طباطبا العلوي، محمد ابن أحمد (ت: ١١٣٥)، **عيار الشعر**، تحقيق طه الهاجري، المكتبة التجارية.

ابن قتيبة، الدينوري، عبد الله بن مسلم، **الشعر والشعراء**، تحقيق كمال مصطفى، مصر: مكتبة الخانجي.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن حسين، **الأغاني**، تحقيق إحسان عباس ورفاقه، ط١، ج٣، دار الكتب،القاهرة.

الآمدي، الحسن بن بشر (ت: ١٩٦١)، **الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري**، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر.

بدوي، أحمد زكي، **معجم المصطلحات الدراسات الإنسانية والفنون الجميلة**،: دار الكتاب المصري، القاهرة.

برد كلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، تحقيق عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر.

البستاني، بطرس، **أدباء العرب في الأعصر العباسية**، مكتبة دار المعارف، بيروت.

البستاني، كرم، **بشار بن برد أخباره وشعره**، مكتبة دار صادر، بيروت.

بعلبكي، رمزي عنبر، **معجم المصطلحات اللغوية**، دار العلم للملايين، بيروت.

البغدادي، أبو بكر محمد علي الخطيب، **تاريخ بغداد**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي.

البكري، أبو عبيدة (ت: ١٩٣٦)، **سمط اللآلئ في شرح الآمالي**، مصر: لجنة التأليف والترجمة والنشر.

البيهقي، إبراهيم بن محمد، **المحاسن والمساوئ**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر: دار المعارف. (١٩٩١).

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن عمر، **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة :لجنة التأليف والترجمة والنشر.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو، بن عمر، **الحيوان**، ج١، تحقيق عبد السلام هارون.

الجرجاني، عبد القاهر، **أسرار البلاغة**، تحقيق: محمود شاكر، مصر: مكتبة الخانجي.

الجرجاني علي، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار إحياء الكتب العلمية.

الجمحي، محمد بن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة: دار المعارف للطباعة والنشر.

جمعة، بديع محمد، من **روائع الأدب الفارسي**، دار النهضة العربية، بيروت.

الحاجري، طه، **بشار بن برد**، سلسلة توابع الفكر العربي، دار المعارف، مصر.

حجاب، محمد نبيه ، **مظاهر الشعوبية في الأدب العربي**، القاهرة: مكتبة النهضة.

حسنين، سيد حنفي، **بشار بن برد، دراسة نظرية وتطبيقية**، القاهرة: دار الثقافة.

حسين، طه، (ت: ١٩٥٤)،**حديث الأربعاء**، مصر: دار المعارف.

الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، **سر الفصاحة**، القاهرة: دار الكتب العلمية.

خليف، يوسف، **الشعر العباسي نحو منهج جديد**، القاهرة: دار الثقافة.

الدوري، عبد العزيز، **الجذور التاريخية للشعوبية**، ط٤، بيروت: دار الطليعة.

الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة(ب،ت)،**الشعر والشعراء في العصر العباسي**، تحقيق أحمد محمد شاكر.

الراجحي، عبده، **التطبيق النحوي**، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان.

الزركلي، خير الدين، **الإعلام**، دار العلم للملايين، بيروت.

الزيات، أحمد حسين، **تاريخ الأدب العربي**، ط٦، دار الثقافة، بيروت.

زيدان، جرجي، **تاريخ آداب اللغة العربية**، مطبعة الهلال، القاهرة.

السامرائي،فاضل صالح، **الجملة العربية تأليفها وأقسامها**، دار الفكر للنشر، عمان.

شريف، محمد بديع (ت: ١٩٥٤)، **الصراع بين الموالي**، دار الكتاب العربي، مصر.

الشكعة، مصطفى (ت: ١٩٧٥)، **الشعر والشعراء في العصر العباسي**، دار العلم للملايين، بيروت

الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت: ١٤٢٦هـ)، **الرد على الجهمية والزنادقة**، ط٦، ج١، تحقيق: صبري سلامة، جدة: دار الثبات.

صالح، عبد الفتاح، **الصورة في شعر بشار بن برد**، عمان: دار الفكر.

صبحي، محي الدين، **من قتل بشار**، وزارة الثقافة، دمشق.

ضيف، شوقي، **العصر العباسي الأول**، ط٦، مصر: دار المعارف.

ضيف، شوقي، (ت: ١٩٦٥)، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، القاهرة: دار المعارف.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **تاريخ الأمم والملوك**، ط١، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعارف، القاهرة.

عايش، ياسين، النزعة الوجدانية الجهنمية في شعر بشار،(٢٠٠٤) **مجلة دراسات دراسات العلوم الإنسانية**، مجلد ٣١، العدد ٣.

العسكري، أبو هلال (ت: ١٩٥٢)، **الصناعتين**، ط١، تحقيق: علي محمد البيجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

عشماوي، محمد زكي، **موقف الشعراء من الفن والحياة في العصر العباسي**، دار النهضة العربية، بيروت.

عطوان، حسين، **الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول**، بيروت: دار الجيل.

عطوي، علي نجيب، **بشار بن برد حياته وشعره**، بيروت: دار الكتاب العلمية.

العقاد،عباس محمود،(د،ت) **مراجعات في الآداب والفنون**، المطبعة المصرية، مصر.

الغامدي، سعيد بن ناصر، المرجعية معناها وأهميتها وأقسامها، العدد ٥٠، **مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية**، رجب، (١٤٣١هـ).

الفحام، شاكر، **وقفة مع ديوان بشار بن برد**،، دمشق: دار طلاس.

فروخ، عمر، **دراسات في الآداب والعلم والفلسفة**، بشار بن برد، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت.

فوزي، فاروق عمر، **دراسات حول زندقة بشار بن برد**، دار الحرية للطباعة، مجلد٥.

قدامة بن جعفر، أبو الفرج، **نقد الشعراء**، تحقيق: كامل مصطفى، مصر: مكتبة الخانجي، مصر.

القطاوي وعبد الله، **قضايا واتجاهات**، ط٢، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.

القيرواني، إبراهيم بن علي الحصري، **زهرة الأدب**، تحقيق: علي محمد البيجاوي، عيسى البابي الحلبي.

كحالة، عمر رضا (ت: ١٩٧٧)، **معجم المؤلفين**، منشورات المكاتب العربية، دمشق.

المازني، إبراهيم عبد القادر، **بشار بن برد**، بيروت: دار إحياء الكتب العربية.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، **الكامل في اللغة العربية والآداب**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر: مكتبة نهضة.

محمد، محمد سالم، **بشار بن برد بين القدماء والمحدثين**، رسالة ماجستير غير منشوة، جامعة دمشق، دمشق، سوريا.

المقدادي، محمود، **الموالي ونظام الولاء من الجاهلية إلى أواخر العصر الأموي**، دمشق: دار الفكر.

المرزباني، محمد بن عمران، **الموشح**، تحقيق: علي محمد البيجاوي، مصر: دار النهضة.

المقدسي، أنيس، **أمراء الشعر في العصر العباسي**، بيروت :المطبعة الأمريكية.

مناع، هشام، **بشار بن برد حياته**، بيروت: دار الفكر.

منصور، أحمد حسين، **بشار بين الجد والمجون**، القاهرة:الرحمانية.

الموافي، محمد عبد العزيز، **حركة التجديد في الشعر العباسي**، ط٤، القاهرة: مكتبة الشباب.

نافع، عبد الفتاح، **الصورة في شعر بشار**، عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع.

النويهي، محمد، **شخصية بشار** الخرطوم: دار الفكر.

هوارة، محمد مصطفى (ت: ١٩٦٣)، **اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري**، دار المعارف، القاهرة.

الواد، حسين، **نظرة في شعر بشار**، تونس: دار الجنوب.

الملاحق

الأبيات التي تخص المرجعية الإسلامية:

كانَ يُبكي لمحبسٍ في طلولِ   منْ سيقْضِي لحبسِ يومٍ طويلِ

إن البعثَ والحسابَ لشُغلا   عن وقوفٍ بكلِ رسمٍ محيلِ

فأطعمْ وكلَّ من عارةٍ مستردةٍ   ولا تبقيها، إنَّ العواري للرد

أخذ المعنى من قوله تعالى:" فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر".

لا أحملُ اللومَ فيها والغرامَ بها   ما كلّف اللهُ نفسًا فوقَ َما تَسعُ

يتناص بشار في هذا البيت مع قوله تعالى " لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها ..." (سورة البقرة:٢٨٦)

دعهُنَّ للمُسهَبِ الضَلّينِ موردهُ   يا قلبُ كُلُّ امرئ رهنٌ بما اكتَسَبا

ويتناص هذا البيت مع قوله تعالى " كلُّ امرئ بما كسب رهين"

وإنّي لِمُستشفي عُبيدَة إنَّها   بدَائي وإن كاتَمتُهُ لطبيبُ

كَقارُورَةِ العَطارِ أو زادَ نعتُها   تَلين إذا عاتَبتُها وتَطيبُ

وصف المرأة بالقارورة ويتناص فيه مع الحديث النبوي .عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه" يا أنجشة، رفقًا قودًا بالقَوارير"

ويأتي بشار بصيغة (تالله) في القسم حين يقول

قالوا العَمَى مَنظرٌ قَبيحٌ   قلنا بفقْدي لكمَ يهونُ

تاللهِ ما في البلاد شيءٌ   تأسى على فقدِهِ العيونُ

واللهُ ربٌّ محمدٍ   إنّي ببانَه معجبُ

ولقد أتانِي أنَّها   باتتْ عليِّ تلهبُ

وربُ منى لقد كذَّبوا عليْها   كما كَذَبَ الوشاةُ على الغرابِ
دعوا عوراً بمقلته ويغدو   صحيحُ المقلتينِ من المَعَاب

حلفتُ بمن حَجّ الملبّون بَيْتهُ   وبالخيفِ والرّامينَ للجمراتِ
لتقبيل خديّها ومصٌّ لسانِها   ألذُّ من الباكين في عرفات

إني حلفتُ يمنياً غير كاذبةٍ   عند المقامِ ولم أقْرب له فَنَدا
لو خيَّر القلبُ منَ يمشي على قدمٍ   لاختارَ سُعدى ولم يعدلْ بها أَحَدَا

يا عبدُ أقسمُ بالذي أنا عبُده   وله المقامُ وما حَوتْ عرفاتُ
لا أصطَفِي أبداً سِواك خليلةً   فثِقي بذلكَ والكرامُ ثِقاتُ
يا عبدَ باللهِ ارحمي عَبَدك   وعلّليهِ بمنى وعدَكِ
يصبحُ مكْروباً ويُمسي به   وليسَ يدرِيْ مَالهُ عندكِ
ماذا تقولينَ لربِ العُلا   إذا تخلّيتِ بهِ وَحْدكِ

وعَهد اللهِ والمِيثاقُ   بين السِترِ والمنبّرِ
أجارتَنا لا تجْزعي وأنِيبي   أتانِي من الموتِ المطلِ نَصِيبي
بُنيَّ على قَلبي وعيني كأنَهُ   ثوى رهَن أحجارٍ وجارٍ قليبِ

كأنَّي غَريبٌ بعدَ موتِ محمدٍ وما الموتُ فينا بعدهُ بغريبِ

إلى الله أشْكو حاجةً قَدْ تَقَادَمَتْ على حَدَثٍ في الْقلبِ غَيْر مُريبِ

غَدَا سَلَفٌ مِنَّا وهجَّرَ رَائِحٌ على أثَرِ الْغادينَ قَوْدَ جَنيبِ

فَقَضى الله أنْ يَمُوتَ كما مَا ت بَنُونَا وسالِفُ الآباء

أقمْنا عَلى هذا وَذاك نِساءهُ مَآتِمَ تَدْعُو للبُكا فتُجَاوِبه

ولَقَدْ أقُولُ غَدَاةَ يَنْأى نَعْشُها صَلى الإله عَليْكِ أمَّ مُحَمَّدِ

فَمَا صَاحِبِي الْحَيُّ ولَكِنْ صَاحِبِي الْمَيْتُ

المال زَيْنٌ وفي الأولاد مَكْرُمَةٌ والسُّقْم يُنْسيكَ ذكْرَ المال والولد

ويمُوت راعي الضَأنِ عند ثُمامِه مَوْت الطبيب الفيلسوف العالمِ

فعِش خائفاً للموتِ أو غيرَ خائفٍ على كلِّ نفسٍ للحِمامِ دليل

فما أعتبتني الْعيْنُ مِنْ فيْضِ عبْرةٍ ولا يرعوني قَلْبي إلى دَعَواتِ

لَهُ حُكْمُ لُقمانٍ وحزْمُ مُوقَّقٍ وللْموت منْه مَخْرجٌ حين يَغْضبُ

كأنّ في طَرفِ عَينيه بناظِرِ عُقداً من سَحَرِ سَبّاح

يَصدُق في دينهِ وموْعِدهِ نَعَمْ وَيُعْطى النَّدى على كَذِبِهْ

صفا لهُم مَنْحرُ الْهَدِيِّ فبَـــــيْت الله فالموقفان فالسُّورُ

فالْــمَسْعى فذاك الْمقامُ مُحْتظَرُ فَزَمْزَمٌ فالجمارُ فالْحوْضُ

إنَّ الخليفة ظِلٌّ يُسْتَظَلُّ بهِ عالٍ مع الشَّمْس محفُوفٌ بِأطْوادِ

يَحثى لهذا وذا وذاك ولا يحْسبُ معْروفهُ كَمَنْ حَسَبا

إنَّ وعْد الكريم ديْنٌ عليْه فاقْض واظْفرْبه على الغُرماء

إذا دَنَا الْعيْشُ فَمَعْروفُهُ دانٍ بِعيْشِ الْقَانِعِ الْمُثْرِبِ
وّاقدّحْ بِحِلْمٍ ولا تقدح بشحناءِ لا تَبْغ شَرَّ امرئ شَرًّا من الدَّاء
سَأعْتِبُ خُلاني وأعْذِرُ صاحبي بما غَلَبَتْهُ النَّفْسُ والغُلوَاءُ
خُذْ مِنْ صديقكَ غَيْرَ مُتْعِبِهِ إنَّ الْجَوادَ يَؤُودُهُ تَعبُهْ

فاعْذِرْ أخاك ودَعْ ملامتَهُ إنَّ الملام يَزيدُهُ تَعَبا

وراجعَتْ نفْسي حجاها عُقْبا فالْحمدُ لله الَذي أهبَّا

إنَّ البَغيضِ إلينا لا نُطالِبُهُ يتجلَّى عنْ باطلٍ مكْذُوب

الصَّدقُ أفْضلُ ما حضرتَ به ولرُبمَا ضرَّ الفتى كذبُه

لَعمْري لَقَدْ هَذَّبْت قوْلي ولم أَدَعْ مَقَالاً لِمُغْتَابٍ وَدعْوى لِمَنْ لَحا

حَمَلْتُهُ في رُقْعةٍ منْ جِلْدي صَبْراً وتنْزيهاً لِما يُؤَدّي

ولقد قلتُ إذا أطَلَّ على القَومِ ثقيلٌ يُربي على ثهلانِ

ربما يثقلُ الجليسُ، وإنْ كا نَ خفيفاً في كفةِ الميزانِ

كيفَ لا تحملُ الأمانة أرضٌ حملتْ فوقَها أبا سُفيان

الأبيات التي المرجعية الفارسية

الأرضُ مظلمةٌ والنارُ مُشرقةٌ   والنارُ معبودةٌ مذْ كانتِ النارُ

إبليسُ أفضلُ من أبيكم آدمُ   فتَنبهوا يا معشَرَ الفجارِ

إبليس من نارٍ وآدم طينةٌ   والطينُ لا يَسمو سُمو النارِ

ألا أيها السائِلي جاهداً   ليعرفَنَي أنا أنفُ الكرمِ

نَمَت في الكرامِ بني عامرٍ   فروعي، وأصْلي قريشُ العجمِ

أحينَ أشارتْ بي الأكفُّ مُعيدةً   وحقَّتْ بي الْحمْراء خرْقاً مُعصَّبا

سحرْتُ ريفاً لبفزول فدامجه   إذْ ألّفتْ فيه بيْن الشّاةِ والذِّيب.

وكأنَّها شربتْ سُلافة بابلٍ   بالسَّاهريَّة خالطتْ قِنْديدا.

ومُرقَّلين على العشيرةِ أصبْحوا   سبْقاً مرازبة العراقِ قُعُودا.

تركْنا بهِ كلْباً وقحْطان تبْتغي   مُجيراً من القتْل المُطلِّ مقانُبُهْ

ولمَّا رأيت النَّاس تهْوى قُلُوبُهُمْ   إلى مَلكٍ يُجْبى إليْه الشّمرَّجُ.

دون الخليفةِ مِنَّا ظلٌّ مأسدَةٍ   ومنْ خُراسان جُنْدٌ بَعْد أجْناد

لله درهم جُنْدًا إذا حمِسُوا   وشبَّتِ الْحرْبُ نارًا بعْد إخْمَادِ

مثْل الْمقنَّع في ضرْبٍ لهُ سلفُوا   أذباح أصْيد للأبْطال صيَّادِ

أخالدُ لمْ أخبِطْ إليْكَ بِنعْمةٍ   سِوى أنَني عافٍ وأنْتَ جَوادُ

فإنْ تُعْطني أُفْرِغْ إليْكَ محامدي   وإنْ تأب لا يُضْرَبْ عليْكَ سِدادُ.

أنّا ابْنُ مُلُوكِ الأعْجمينَ تقطّعتْ علىَّ ولي في العامَرين عِمادُ

أسبْويه يا بن الفارسيّة ما الذي تحدثْتّ عن شتمي وما كُنتَ تنْبذُ

أظلتَ تغنيّ سادرًا في مساءتي وأمّك بالمصرين تعطِي وتأخذُ.

أنَا ابْنُ الأكْرمينَ أباً و أمًّا تَنَازعَني المَرَازبُ منْ طُخارِ

أبي خُراسانُ وأدْعُو عَامِرَا أكرم حَيٍّ أولاً وآخرا.

منْ خراسان وبيْتي في الدَّرى ولدى المسْعاةِ فرْعي قدْ سَبَق
وإنّي لمنْ قَوْمِ خُراسان دارُهُمْ كِرام ، وفرْعي فيهمُ ناظِرٌ بَسَقْ

هل من رسولٍ مخبرٍ عنّي جميع العرب

من كان حيّاَ منهمُ ومن ثوى في الثُّربِ

بأنني ذو حسبٍ عالٍ على ذي الحسبِ

جدّي الّذي أسمو بهِ كِسْرى ، وساسانُ أبي

وقيصرٌ خالي إذا عددتُ يوماً نسبى

كَم لي وكَم لي من أبٍ بتاجهِ معتصبِ

أشوسَ في مجلسهِ يجثى له بالركب

مُستفضلٌ في فنكٍ وقائمٌ في الحجُبِ

يسعى الهبانيقُ لهُ بآنياتِ الذّهبِ

لم يُسق أقطابَ سِقىَ يشربها في العُلبِ

ولا حدا قطُّ أبي خلف بعيرٍ جَرِبِ
ولا أتى عُرفطةً يخبطُها بالخشب
ولاشَوَينا ورلا مُنضضاً بالذّنبِ
ولا تقصَّعتُ ولا أكلتُ ضَبَّ الحِزَبِ
ولا اصطلى قطُّ أبي مُفحِّجًا للَّهبِ
ولم بايد نَمَيا ولا هوى للنُصُبِ

كلا ولا كان أبي يركبُ شرجي قتبِ
إنَّا ملوكٌ لم نزَل في سالفاتِ الحقب
نحن جلبنا الخيلَ من بلْخٍ بغير الكذبِ
حتى سقيناها وما نبدهُ نهريْ حَلبِ
حتَى إذا ما دوخت بالشَّام أرض الصُّلُب
سِرنا إلى مِصرَ بها في جحفلٍ ذي لجبِ
حتى استلمنا مُلكها بمُلكنا المُستَلبِ
وجادت الخيلُ بنا طنجةَ ذات العجبِ
حتى ردَدَنا المُلك في أهل النبَي العربي
يهْزُ أبا الفضل بها أولى قُريشٍ بالنَبي
من ذا الذي عادى الهُدى والدَين لم يُستلب؟

وَمن ومَن عاندُه ... أو جار لم يُنتهبِ
نغضبُ لله وللـــــ ... إسلام أسرى الغضب
ما فرْخُ مُعْلجةٍ كنجْلِ متوَجِ ... هيْهاتَ ذا ملِكٌ وذا ناطُورُ.

بلوْت بني زيد فما في كبارهمْ ... حُلوم ولا في الأصغرين مُطهَّر (١)
هُمْ قعدوا، فانتقموا لهم حسباً ... يدخلُ بعدَ العشاءِ في العَربِ
حتّى إذا ما الصباحُ لاحَ لهُم ... بيَّن ستَوقهُم من الذهبِ
والناسُ قد أصبحوا صيارفةً ... أعلمُ شيءٍ بزائفِ الحسبِ
أصبحتُ مَولى ذي الجلالِ وبعضُهم ... مَولى العُريب فجدْ بفضلِك وافخرِ
سأُخبرُ فاخِر الأعراب عنَي ... وعنه حين بارز للفَخَار.
أحين لُبست بعد العُرى خزًّا ... ونادمت الكرام على العُقارِ
تُفاخرُ يا بن راعيةٍ وراعٍ ... بني الأحرار حسبُكَ من خسارِ
وكنت إذا ظمئت إلى قَراحٍ ... شركتَ الكلبَ في ذاك الإطارِ
وتدلجُ للقنافذِ تدّريها ... ويُنسيك المكارمَ صيدُ فارِ
مُقامُك بيننا دَنَسٌ علينا ... فليتك غائبٌ في حرِّ نارِ
وفخرُك بين يربوعٍ وضبٍ ... على مثلي من الحدثِ الكُبارِ
من خُراسان وبيتي في الذُّرى ... ولدى المسعاة فرعي قد سبَق
يا طلل الحيِّ بذاتِ الصَّمْدِ ... بالله حدِّث كيف كُنتَ بعْدى
مولاكَ أكرمُ من تميمٍ كلِّها ... أهلُ الفَعالِ ومن قُريش المشْعرِ

(١) ابن عاشور، الديوان، ج٤، ص ٧١.

الأبيات التي المرجعية العربية

بني أمية هُبوا طالَ نومُكمُ ... إن الخلـــــيفة يعقوبُ بنُ دَاود

إننَي من بني عقيلٍ بن كعب ... موضعُ السيفِ من طُلى الأعناقِ

وما نلقاهمُ إلا صدَرنا ... بَريٍّ منهم وهم حِرارِ

ألا أيها السائلي جَاهداً ... ليعرفَنِي أنا أنفُ الكرمِ

نَمَت في الكرامِ بني عامرٍ ... فُروعِي وأصلِي قريشُ العجمِ"

أديْسمُ يا بنَ الذئبِ من نسلِ زارعِ ... أتَروي هجائِي سادِراً غيرَ مُقصِرِ

خصيْتُ عدْوان بعْدَ شيلتهِ ... والليَثُ يُخْصى ويُخْدعُ الشَّببُ

أحنُّ إلى محاسنِ أمِّ بكْرٍ ... ودُون لقائها دُكحٌ ونُكحُ

بئْسَ الشَّوانيُّ لهُ منْصب ... في آلِ نهيَا غير مرتادِ

ومِنَ العجائب أنَّ أفْرُخَ صالحٍ ... يُسْدي عليَّ كبيرُهُمْ ويُنير

صحوْتَ وأوقدت للجهلِ نارًا ... وردَّ عليكَ الصَّبا ما استعَارا

ووُلوعُ الخيال بي منْ صديقٍ ... لا أراهُ حتَّى يشيب الغُراب

لا ولا أنَّ يُقال شيمته الجـــــــو ... دُ ولكنْ طبائع الآباء

وإذا أقلَّ لي البخيلُ عذرتُهُ ... إن القليلَ من البخيلِ كثيرُ

فتًى في ذُرى قحْطان يبْسُطُ كفَهُ ... إذا شنجِتْ كفُّ البخيل المُحارد

وقامت (عُقيلٌ) منْ ورائي بالْقنا ... حفاظاً وعاقدْتُ الْهُمام الْمحجَّبا

من الحيِّ قيسِ قيْسِ عيْلان إنَّهم ... عيونُ النَّدى منْهُمْ تُروِّى سحائبُهْ

جرى اللَّهاميمٌ على إثْرِهِ ... جرْيَ الْبراذينِ خلاف الْعِرابْ

لألقى بني عيْلان   إنَّ فعالهُمْ   تزيدُ على كُلِّ الْفعال مراكبُهْ
خَدمُ الملُوكِ إذا قعدْنا في الْحُبى   قامُوا وإنْ نقْزعْ لروْعٍ يقْعُدُوا
بحيٍّ منْ بني عجْلانَ شُوسٍ   يسيرُ الْموْتُ حيْثُ يُقالُ سارُوا
نبيطٌ وأعلاج وخُورُ تجمَّعوا   شرارُ عباد الله من كلِّ غائط
وإنِّي لأرْجو أنْ أنَالَ بشتمهم   من الله أجراً مثل أجْرِ المُرابط
إنني من بني عُقيْل بنِ كعب   موْضِعَ السَّيْفِ من طُلى الأعناق
لألقَى بني عيلان إنَ فِعالهُم   تزيدُ على كلِّ الفعالِ مراكِبُه
ألاكَ الألئ شقُّوا العمى بسيُوفِهم   عن الغَيّ حتى أبْصرَ الحقَّ طالبُه
إذا ماغضبْنا غضْبةً مُضريةً   هتكْنا حجابَ الشَّمْسِ أوْ نقطُرُ الدَّما
مَن راقبَ الناسَ لم يظفَر بحاجتِهِ   وفازَ بالطيباتِ الفاتكُ اللهجُ
إذا ما غضبنا غضبةً مُضريةً   هتكنا حِجابَ الشمسِ أو نَقطُرُ دما
إذا ما أعرنا سيداً من قبيلةٍ   ذرى منبرٍ صلّى علينا وسَـــــلما
وجيشٌ كجُنحِ الليل يرجُفُ بالحَصى   وبالشَّولِ والخَطِّي حمرٌ ثعالبُهْ
غَدونا له والشمسُ في خدرِ أُمِها   تطالُعِنا والطلُّ لـــم يجرِ ذائبُهْ
كأنَ مثارَ النقعِ فوقَ رؤُوسِهم   وأسيُافنا ليــــلٌ تهاوى كَواكبُهْ
ارفقْ بعمرو إذا حركتَ نسبتهُ   فإنَّـــهُ عربيٌّ مِنْ قواريرِ
إنْ جَازَ آباؤُه الأنْذَالُ في مُضَرٍ   جازتْ فلوسُ بُخارى في الدنانيرِ
واشدُدْ يَدَيْكَ بِحَمَّادٍ أبي عُمَر   فإنَّــــــهُ نَبَطِيٌّ مــــــن زنابير

RELIGIOUS REFERENES IN BASHER BIN BORD

BY:

Ahmad Hamad Motlaq Saleh Al-Mutairi

Supervisor

Dr. Mohammed Al-Shraideh

ABSTRACT

"Religious references in the poetry of Bashar ibn Burd an analytical, critique and cultural study ", which is composed of three chapters.

The first chapter deals with the biography of Bashar ibn Burd and the most important environmental and cultural data prevailed in his time. As well as, the views of old and modern critics in Bashar ibn Burd as a poet and human being.

The second chapter focused on collecting his poetry that has been said in the Islamic, Persian and Arab references and tracing the echo of these references in his poetry, particularly relating to being accused of heresy and Shu'ubism that have been linked to him.

The third chapter illustrates the disassociate that poetry into three critiques issues that are: Harmony Symmetrical Contradiction, Truth and Lies and hyperbole and exaggeration, then the symmetrical construction in verification and negation to achieve his real s thinking system.

Bashar had been inborn for poetry from his early years and inborn inclination for satire and the love for acquirement and to mock and ridicule religion and people. He was known with his innate intelligence. Bashar kept on declaring his heretic and stating that he only believes in the eyesight and in what can be sensed, thus, he does not believe in heaven or hell nor in the resurrection or the Judgment Day and he tries to raise suspicion in the face of the Mu'tazila and opposed their believes. He was the “Imam” of mestizo poets who were born for non -Arab mothers and one of the pioneers of the Umayyad and Abbasid States, he was blind, ugly, and burly.

He was satirist and obscene in his poetry, some scholars accused him of heresy and being Shu'ubi, while other scholars absolved him from those accusations.

Most of his poems have been set up on exaggeration, the assumptions, the gradualness and turning over the meanings and convening relations between the divergent

and dissonant things, which have been gathered and composed by the poetic imagination and linking between old and modernity, developing and creating new patterns of poetry certified by the critics of his time and, by those who study the scholars of his poems.

Accordingly, the study concluded that the contradictions that have been disseminated in his poetry indicated at subjectivity tendency, represented by being controlled over by his whims and the influence of blindness, and the community rejection of his life path, he was most of the time arrogance that have been obviously seen in his movement from one thought to another and from one conviction to its contradiction.